الإستراتيجيّة السياسيّة والعسكرية لحربِ الخليج

الكتاب الثاني

إعداد

مجموعة من الباحثين

تقديم خالد بن محمد القاسمي

مؤسسة دار الكتاب الحديث دار الثقافة العربية

للطباعة والترجمة للنشر والتوزيع بيروت . لبنان

الشارقة . الإمارات العربية ص. ب ٢٤١٩

المعلومات الواردة تعبر عن وجهة نظر الكتاب

تقديم

الكويت من الاحتلال إلى التحرير

بقلم: خالد بن محمد القاسمي

باحث في شؤون الخليج والجزيرة العربية

في صباح الثاني من آب/ أغسطس ١٩٩٠ بوغتت الأمة العربية والإسلامية، ومعها المجتمع العربي بأسره بالحقيقة المرة الفاجعة: العراق العربي.. يحتل الكويت العربية!

ذلك الصباح الأسود.. صحا العالم من نومه، على أنباء الجريمة البشعة،وهي ترتاد بحناجر الإعلام مساحات الفضاء . وسط علامات الدهشة والذهول والإستنكار . معلنة ما لا يصدقه العقل: عشرات الآلاف من جحافل العراقيين المدججين المدرعين، يغتالون بدباباتهم، وبنادقهم ومتفجراتهم، أمن الكويت، وأبناء الكويت، والمقيمين في الكويت من مختلف الجنسيات العاملة فيها.

احتلال، واحلال، ونهب، واغتصاب، وممارسات غير إنسانية، اجتاحت جميعها للكويت، في غمضة عين، وفي هجمة غرصانية ضارية، تخيلناها كابوساً، فإذا هي حقيقة تجسدت فيها كل صور المأساة الخارجة على كل قوانين العقل، والمنطق والأعراف الإنسانية والدولية، بلد عربي.. يدمر بلداً عربياً.!! إنها جريمة العصر.

ما الذي فعلته الكويت لكي تتعرض لهذا الغزو الغادر من دولة شقيقة متربصة؟!

كلنا يعرف . ويعرف معنا شعب العراق . ان الكويت، وأبناء الكويت، وحكام الكويت، جيران اوفياء، وقفوا بكل ما يملكون، بجانب العراق، في محنة حربه مع إيران ثماني سنوات، من أجل العراق.. ومن أجل ارض العراق.. ومن أجل ان ينتصر العراق.

فهل هذه هي المكافأة؟. غزو غادر في منتصف الليل.

ما الذي فعلته الكويت..؟

عملت بطبيعة العربي المسلم.. فأمنت جارها.. ولم تأبه بكل ما عكّر المناخ من سحب تثق إنها كسحب الصيف.. فلم تضع جنديا واحدا على حدودها مع العراق.. لأنها لا يمكن ان تفكر مجرد تفكير في ان ما حدث سوف يحدث.

ولو فعلت لكانت ستخالف كل تراثنا الحضاري والديني والثقافي. فكيف لا يثق الجار العربي المسلم بجاره العربي المسلم؟!

كيف وقد نصره وشد من ازره زمن محنته؟؟

ثم كيف وقد اعطيت العهود والمواثيق بأنه لا يمكن ان يكون هناك اعتداء ضد الجارة العربية المسلمة.. الكويت.

لكن حدث الذي لا يمكن ان يظن مسلم أو عربي أو حتى إنسان حيّ انه يمكن ان يحدث.

أرسل صدام حسين جيوشه ليصنع بطولة على أبناء الكويت الآمنين المسالمين.

احتلال.. لا يكفي.

ولكنه سلب.. ونهب.. وقتل.. وتشريد.. ودمار.. وخراب.. واغتصاب.

إنها أول استباحة من دولة إسلامية على دولة إسلامية أخرى على مر التاريخ.

فعل جنوده ما لم يفعله من قبل جنود هتلر!

ما هذا الحقد على الكويت من صدام ومن جنوده الذين يعرف أنهم تحركوا بفعل الخوف والهلع لترجمة رغبة صدام.

ما الذي فعلته الكويت بالعراق؟

ثم ما الذي فعلته المملكة العربية السعودية بالعراق لكي يواصل تهديده وحملته المسعورة عليها وعلى بقية دول الخليج؟

هل يا ترى تحول إلى كلب شرس مسعور بعد ان مصَّ دم شعب العراق العربي المسلم.

وبعد أن ارهق دم الشعب المسلم في إيران.

وبعد أن قتل عشرات الآلاف من اكراد العراق المسلمين.

وبعد أن اعدم آلاف الدعاة والعلماء والمفكرين والاحرار في العراق.

بعد أن حول شعب العراق إلى شعب خائف مذعور لا يجد الحياة الآمنة المستقرة.

هل هي طبيعته العدوانية الاجرامية؟!

إنها جريمة العصر التي لن ينساها التاريخ.. ضمن مآسي الإنسانية الكبرى.

لقد توقف نبض الإنسانية عن الحركة لحظات وهو يرى ويسمع ما حدث في الكويت..

العالم كله وقف مذهولا لما يحدث..

المؤسسات والمنظمات الدولية والاقليمية والدول وعلماء الدين.. كلهم رفضوا هذه الهمجية التي تفوق الوصف..

لكنها النهاية التي بلغها صدام حسين.. كما فعلها امثاله من الطغاة والمجرمين، سوف يهوي بعدها إلى مزبلة التاريخ.

أمّا الكويت.. بناسها وقيمها.. فستظل خالدة باقية إلى ان يرث الله الأرض وما عليها.

عاصفة الصحراء:

لقد تجبر صدام حسين وتكبر ومضى في غطرسته وغروره، وزين له احتلاله لدولة الكويت الشقيقة إلى ان يمد قواته إلى الحدود السعودية بغية التهام بقية دول الخليج.

ورغم التحذيرات والنداءات من مختلف المنظمات الاقليمية والعربية والاسلامية والدولية إلاّ انه ظل في غيه وفي غطرسته لا يستمع لنداء ولا يرده رادع.

إلى ان جاءت اللحظة الحاسمة، بعد انذارات من الأمم المتحدة، وانطلقت عاصفة الصحراء في السادس من يناير ١٩٩١، اشتركت فيها أكثر من ثلاثين دولة.

هدفها واضح هو تحرير الكويت.. وابعاد القوات العراقية عن الحدود السعودية. كانت البداية حرباً قوية اشتركت فيها القوات الجوية من الدول الشقيقة والصديقة وحققت أفضل النتائج وبأقل نسبة ممكنة من الخسائر البشرية، حيث تم التركيز على الأهداف العسكرية والإستراتيجية، وكانت التعليمات بضرورة تجنب الأهداف والتجمعات المدنية حفاظاً على أرواح الأبرياء وتأكيداً على الأسس والمبادئ الدولية في هذا الشأن.

وبعد مرور أربعة عشر يوماً على بدء العمليات الحربية الجوية للقوات المتحالفة لدك قواعد العدوان في العراق والكويت، وفي محاولة يائسة من النظام المنهار لجر الحلفاء إلى شن الهجوم البري قبل موعده المحدد، تقدم الغزاة في الظلام بإتجاه مدينة الخفجي السعودية الخالية من السكان بهدف تسجيل نصر دعائي.

لكن القوات السعودية والقوات المشتركة تصدت لهم بالمرصاد وخاضت معارك من شارع إلى شارع استمرت ثلاثين ساعة، تمكنت في نهايتها من تطهير المدينة، وأوقعت أفراد القوة الغازية بين قتيل وأسير، فيما تمكنت أعداد قليلة من الهرب بإتجاه الأراضي الكويتية تاركة اسلحتها وعتادها في أرض المعركة.

واستمرت معركة تحرير الكويت إلى ان حققت القوات الجوية غاراتها وأصبح الطريق ممهداً للحرب البرية وبداية تحرير الكويت. وكانت القوات العربية وقوات درع الجزيرة في مقدمة القوات التي عبرت الحدود واجتازت العوائق والألغام وبدأت عمليات التحرير.

وهكذا شهدت المعركة استسلام آلاف الجنود العراقيين الذين لقوا من القوات المشتركة كل رعاية واحترام في خطوة تؤكد ان هذه الحرب لم يكن منها بدلاً لاعادة الحق إلى اصحابه. وتحررت الكويت وعاد إليها أميرها وحكومتها وخرج الأهالي جماعات وأفراداً إلى الشوارع مبتهجين بعودة حقهم المسلوب وعودة كويتهم الحبيبة.

وستبقى حرب تحرير الكويت عبرة وعظة كل من يحاول المساس بعروبة الخليج، كما أنها رادع لكل من تسول له نفسه المساس بسيادة الآخرين وسلب حرياتهم. كما أن حرب تحرير الكويت ستبقى نموذجاً لتكاتف الأسرة الدولية والمجتمع الدولي، والذي وقف ولأول مرة في التاريخ وقفة رجل واحد ضد الظلم والعدوان.

وحتى تبقى هذه الحرب درساً في ضمير الزمن، وحتى لا تنسى الأجيال القادمة ما فعله الجار بجاره، نقدم الكتاب الثاني من الاستراتيجية السياسية والعسكرية لحرب تحرير الكويت والذي يحرره كبار القادة السياسيين والعسكريين وقد تم توزيع فصوله إلى ستة فصول هي كالتالي:

الفصل الأول: حرب الخليج: حتمية لفرض الدولي الجديد.

الفصل الثاني: أهداف واستراتيجيات دول التحالف في حرب الخليج.

الفصل الثالث: العسكرية العربية ومستقبل النظام الأمني العربي بعد حرب الخليج.

الفصل الرابع: الأسلحة الذكية في حرب الخليج.

الفصل الخامس: الدعاية والإعلام في حرب الخليج.

الفصل السادس: حرب الخليج ومستقبل الكويت العسكري.

هذا وتتنوع في هذه الدراسات الكتابات والأبحاث لتصل في النهاية إلى هدف واحد وهو حتمية وقوف المجتمع الدولي في وجه الطغيان.. وأن حكم شريعة الغاب قد ولى وانتهى.

ولا مكان في المجتمع الدولي اليوم للمجرمين واللصوص والعابثين بأمن المجتمع.. ولا بد ان تكون لكل ديكتاتور نهاية.

هذه الحرب التي قال عنها صدام ستكون "أم المعارك"، أصبحت أم الهزائم له ولجيشه ولكل من وقف في وجه الحق والعدل.

وهي درس لكل من يغدر بجاره ويستبيح حرماته.

والله الموفق

خالد بن محمد القاسمي

١٩٩٣/٧/١٦

الفصل الأول

حرب الخليج:

حتمية لفرض النظام الدولي الجديد

عاصفة الصحراء..

لماذا كانت الحرب حتمية، ونتائجها متوقعة؟!١

بقلم: اللواء الركن: حسام سويلم

مضى عام على حرب تحرير الكويت التي بدأت في فجر السابع عشر من يناير ١٩٩١م والتي لم تدم أكثر من أربعين يوماً حتى انتهت بسحق العدوان العراقي الغاشم وتدمير آلة الحرب والتهديد العراقية وتحرير الكويت واستعادتها لشرعيتها، وانتصار شعبها على قوى البغي والغدر والتآمر والعدوان. وخلال هذا العام تم الكشف عن الكثير من المعلومات عن هذه الحرب، وكثرت الدراسات والتحاليل التي أجريت بمعرفة شتى المدارس العسكرية ومراكز الدراسات والبحث في مختلف أنحاء العالم، والتي شملت أبعاداً سياسية واستراتيجية وتعبوية وتكتيكية وتكنولوجية وذلك في كافة الأفرع العسكرية من برية وبحرية وجوية وأسلحة دمار شامل وحرب الكترونية. إلا انه رغم كل ذلك، فلا زالت هذه الحرب لم تكشف بعد عن كل أسرارها سواء في مجال التخطيط العملياتي أو في مجالي التطبيق وإدارة الحرب. وما نشر حتى اليوم من تحليلات ودروس مستنتجة انما بعد من قبيل الاجتهادات الاولية وغير النهائية وذلك في ضوء المعلومات التي توافرت حتى الآن وكشفت عنها الأطراف المعنية بالحرب والتي كان لها دور إيجابي في عمليات القتال، ولم تكشف هذه

---

١ الحرس الوطني . الرياض، العدد ١١٥، مارس ١٩٩٢.

الحرب كل أوراقها بعد، مما يجعل التحليل العميق لمختلف جوانب الصراع غير ممكن الا عندما يتم الكشف عن المزيد من المعلومات التفصيلية. وفي ضوء هذه الإعتبارات تأتي محاولاتنا هذه أيضاً لتشارك في هذه الاجتهادات الأولية والتي تركز انتباه القارئ على عدد من النقاط الرئيسية التي أسفرت عنها مسارات ونتائج الصراع.

لم يكن توقع العديدين منذ نشوب الأزمة في الثاني من أغسطس ١٩٩٠، من ترجيح لخيار الحرب كحل وحيد لها، ضرباً من التنبؤ أو رجماً بالغيب، بقدر ما كان استنتاجاً ينهض على تحليل دقيق للأهداف والغايات السياسية والإستراتيجية التي أرادها النظام العراقي من وراء غزوه للكويت، وطبيعة القيادة السياسية العراقية التي راهنت بكل ما تملكه من أوراق من أجل التصميم على تحقيق هذا الهدف، وخصائص شخصية هذه القيادة التي تتصف بالعناد والتكبر والصلف والغرور، ناهيك عن ضيق الأفق السياسي والاستراتيجي المقرون بالجهل والغباء. وكلها سمات وعوامل تؤكد تمسكها بالرهان على قضية خاسرة منذ بدايتها. بينما كان هناك على الجانب الآخر موقف إقليمي ودولي صلب يرفض بشدة الإستجابة لسياسة لسياسية صدام حسين في محاولاته لفرض الأمر الواقع، ويطالب ليس فقط بإزالة العدوان والإنسحاب من الكويت، بل أيضاً بضرورة إزالة كل الأسباب والعوامل التي يمكن ان تدفع القيادة العراقية مرة أخرى لتهديد جيرانها، ونعني بها تدمير وإزالة أسلحة الدمار الشامل العراقية التي ما فتئت القيادة العراقية تلوح وتهدد بها جيرانها من آن لآخر، كذا تقليص حجم المؤسسة العسكرية العراقية التي كانت دائماً أداة تهديد وعدوان ضد جيران العراق، وليس فقط ذلك، بل اداة تهديد للمصالح الحيوية للدول العظمى والكبرى في المنطقة، والتي ترفض ان تكون مصالحها الحيوية رهينة لأهواء ومغامرات نظام ديكتاتوري يفتقد للمصداقية موجود في بغداد يستهدف بسط سيطرته وهيمنته ليس فقط على الكويت أو منطقة الخليج، بل وكل منطقة الشرق الأوسط ليشكل قوة اقليمية عظمى تريد فرض ارادتها على المسرح الدولي، هذا بينما النظام الدولي الجديد الجاري تكوينه في ضوء المتغيرات الدولية الحادة التي يمر بها العالم في السنوات الأخيرة، ورفض مثل هذه الأساليب الإبتزازية، ويسعى إلى فرض الإستقرار وإيجاد حلول جذرية للنزاعات والصراعات التي تسود مناطق عديدة في العالم.

وإزاء هذا التعارض الحاد في أهداف وتوجهات الأطراف المتضادة في أزمة العدوان العراقي على الكويت، لم يكن هناك من حل يمكن ان يجبر المعتدي العراقي على الإنسحاب من الكويت، ويقضي على جذور وركائز التهديد والعدوان العراقي نهائياً، الا الحرب. وهو الأمر الذي تأكد عندما وصلت كل الجهود الدبلوماسية التي بذلت من قبل العديد من قادة الدول على المستويين

الإقليمي والدولي طوال شهور الأزمة إلى طريق مسدود. ولم يعد هناك وسيلة أخرى لكسر إرادة المعتدي العراقي إلاّ اللجوء إلى الأداة المسلحة لاجباره على الإنصياع لإرادة المجتمع الدولي. لذلك كان اندلاع الحرب في فجر يوم ١٧ يناير ١٩٩١م نتيجة منطقية لفشل كل الجهود السياسية التي بذلت طوال خمسة أشهر ونصف الشهر من أجل تليين ارادة النظام العراقي واعطائه الفرصة تلو الأخرى من أجل الخروج من الكويت محافظاً على ماء وجهه، ولكنه أبى الا ان يسير في شوط التعنت والصلف والغرور إلى نهاياته، فوضع بذلك النهاية المحتومة لنظامه الذي بدأ مؤخراً يلفظ انفاسه الأخيرة كما تشير بذلك كل التوقعات.

لماذا كانت نتائج الحرب وهزيمة العراق متوقعة أيضاً؟

بجانب ما اوضحناه آنفاً من ان الاهداف والغايات السياسية التي توخاها النظام العراقي من وراء غزوه للكويت، كانت هناك استحالة في تحقيقها أو تمريرها بالنظر لرفض المجتمع الدولي بمستوياته المختلفة لقبولها، فإن هناك أيضاً جملة من الأسباب والعوامل السياسية والإستراتيجية في التخطيط العراقي للعدوان وإدارته للأزمة سياسياً وعسكرياً أكدت فشله فشلاً ذريعاً، وأعطت تبؤاً مبكراً وصادقاً بهزيمة العدوان العراقي عسكرياً ليس فقط على أرض الكويت، بل وعلى أرض العراق ذاته. وأن العراق سيتكبد وسيعاني بسبب هذه الهزيمة العديد من الويلات السياسية والعسكرية والإقتصادية والإجتماعية.

وإذا أردنا ان نجمل الأسباب في الجانب العراقي التي أدت إلى صدق التنبؤ بهزيمة العراق، فسوف نجدها تنقسم إلى مجموعة من الحسابات السياسية الخاطئة، ومجموعة أخرى من الحسابات الإستراتيجية الخاطئة.

الحسابات السياسية العراقية الخاطئة

إذا استعرضنا سلسلة الحسابات السياسية الخاطئة التي وقع فيها النظام العراقي، سواء أثناء تخطيطه للعدوان أو إدارته للأزمة، والتي مهدت الطريق لهزيمته عسكرياً على النحو الذي جرى ويعرفه الجميع، فإنها تتمثل في الآتي:

أولاً: افتقاد النظام العراقي للرؤية الواضحة للنظام الدولي الجديد:

هذا النظام الذي بدأ ينهض على الأحادية القطبية التي تتربع عليها الولايات المتحدة، وذلك بعد انهيار الشيوعية في أوروبا الشرقية، وحرص الاتحاد السوفيتي . سابقاً . على تنمية علاقاته بالولايات المتحدة، واتفاق الدولتين العظميين على محاصرة النزاعات الإقليمية وتصفيتها. وعدم السماح للقوى الإقليمية باستقطاب أي منهما لصالحها سواء في نزاعات قديمة أو حديثة. ولم

يقتصر هذا الاتفاق على القوتين العظميين فقط، بل اتسع ليشمل دولاً كبرى أخرى راهن النظام العراقي على وقوفها بجانبه ومساندته مثل فرنسا والصين بسبب ارتباطاته التجارية القوية معهما، أو بسبب معاهدة الصداقة التي كانت تربطه مع موسكو. الا ان هذا الرهان كان خاسراً بجميع المقاييس، لأن صدام حسين لم يدرك ان جميع هذه الدول أصبحت تدور بشكل أو بآخر في فلك قطب واحد مركزه واشنطن، وان عصر الاستقطاب الدولي الذي ساد الستينيات وجزءاً من السبعينات قد انقضى زمنه، وان موسكو لن تخاطر بالدخول في مجابهة سياسية . عسكرية مع واشنطن من أجل خاطر صدام حسين تحت أي اعتبار، خصوصاً وانه يحمل صفة المعتدي وليس المعتدى عليه، ووضح بالتالي تصميم المجتمع الدولي كله على إزالة العدوان العراقي عن الكويت، وبدأت الأساطيل الجوية والبحرية لمختلف دول التحالف في التحرك نحو الخليج لردع المعتدي، ثم هزيمته عسكرياً إذا لم يرتدع.

ثانياً توقع صدام حسين بعدم دخول أمريكا الحرب:

وفي إطار الحسابات الخاطئة للموقف الأمريكي، ظن صدام حسين ان الإدارة الأمريكية لن تجازف بالدخول في حرب بشكل مباشر في منطقة الشرق الأوسط بالنظر لما تعانيه الولايات المتحدة حكومة وشعباً من العقدة الفيتنامية، والتي اعتقد صدام حسين انها لا التحكم بالمدركات الامريكية. وبالتالي ترجم صدام حسين حشود قوات التحالف في منطقة الخليج بأنها نوع من التهويش أو التهديد يستهدف ردعه والضغط عليه لاجباره على الانسحاب، وان الإدارة الأمريكية لن تجازف بالدخول في حرب تتكبد فيها عشرات الآلاف من الخسائر البشرية حيث لن تتحمل أي إدارة أمريكية مسؤولية ذلك أمام الشعب الأمريكي. لذلك ركزت أجهزة الدعاية والإعلام العراقية جهودها لتغذية هذا المفهوم الخاطئ لدى كل من الحكومات الغربية وشعوبها، فسمعنا عن تهديدات بإعادة جنود قوات التحالف إلى بلدانها في توابيت إذا ما بدرت حكومات التحالف بشن هجوم على القوات العراقية لتحرير الكويت، وتهديدات أخرى بتدمير مصالح دول التحالف بواسطة المنظمات الإرهابية التابعة للعراق والمنتشرة في مختلف أنحاء العالم، وكان هذا هو الإتجاه الدعائي الأول في الاستراتيجية الإعلامية والدعائية العراقية.

أما الاتجاه الثاني الذي صاحبه وسار موازياً له فقد استهدف مخاطبة الرأي العام العربي والإسلامي بهدف التأثير فيه واستنفاره ضد دول التحالف بوصفها تارة بأنها دول كافرة، وتارة أخرى بأنها امبريالية، ونعت الدول العربية والإسلامية التي شاركت في هذا التحالف بأنها دول عميلة للاستمرار والصهيونية لأنها تستهدف الإعتداء على دولة عربية مسلمة هي العراق.

وقد اقترنت هذه الإستراتيجية الاعلامية العراقية بترداد شعارات ديماغوجية جوفاء تدعي بأن تحرير القدس يبدأ من الكويت، والربط بين قضية الانسحاب من الكويت وانسحاب إسرائيل من الأراضي العربية المحتلة.. إلى غير ذلك من الشعارات التي نجحت فعلاً في تحريك قطاعات مغيبة وساذجة من الرأي العام العربي والإسلامي في عدد من الدول العربية رفعت رايات الرفض للوجود الأجنبي في المنطقة.

وقد ظن النظام العراقي واهما ان مثل هذه المظاهرات التي اندلعت في بعض انحاء العالم العربي والإسلامي، وحتى داخل الولايات المتحدة ودول أوروبا الغربية، من الممكن أن تؤثر على صانعي القرار في دول التحالف بما يجبرهم على العدوان عن قراراتهم في التصدي للعدوان العراقي عسكرياً. ونسي صدام حسين حقيقة هامة تقول بأن القرارات السياسية خاصة ذا الصبغة العسكرية . والتي تتخذها أجهزة صنع القرار في الدول المتقدمة . إنما تنهض على أسس من الحسابات الدقيقة التي تضع كل العوامل في اعتبارها بما في ذلك اعتبار الرأي العام العالمي والداخلي، وبالتالي فإن القرار إذا ما اتخذ فإنه لا يمكن ان يخضع بعد ذلك إلى غوغائية الجماهير في الشارع العربي أو يتأثر بها، تلك الجماهير التي تحركها أجهزة الدعاية العراقية، وان قرار الحرب إذا ما صدر فلا رجوع عنه. لأنه قرار ينهض على حسابات سليمة تؤمن حماية المصالح الدولية والإقليمية لدول التحالف.

ثالثاً: سوء تقدير النظام العراق لرد فعل المملكة ودول الخليج:

كذلك شملت الحسابات الخاطئة للنظام العراقي، سوء تقديره لردود فعل المملكة العربية السعودية وباقي الدول الخليجية العربية إزاء عدوانه على الكويت. حيث تصور غاشماً ان تهديداته وابتزازاته بتدمير المنشآت النفطية والبنى الأساسية والمناطق السكانية في هذه الدول، والتهديد بحرق الأرض تحت اقدام شعوبها . على حد تعبير أجهزته الدعائية . يمكن أن يجبر هذه الدول على الرضوخ له واتخاذ موقف سلبي من عدوانه على الكويت، أو يدفعها للقبول بمساومته للوصول إلى حلول وسط تجعله يفوز بغنيمته مقابل التعهد بعدم الإعتداء عليها، أو بمنعها من طلب الدعم والمساندة الخارجية لمواجهة التصدي للتهديدات العراقية التي تتعرض لها، الا ان النظام العراقي قد غفل حقيقة هامة مؤداها ان جميع الدول الخليجية قد أصبحت بعد عدوانه على الكويت على يقين ووعي وإدراك كامل بأن هذا العدوان العراقي على الكويت ما هو إلا خطوة أولى في مخطط عراقي عدواني متكامل يستهدف ابتلاعها جميعاً، وأن هذا النظام العراقي الذي خان كل الأمانات والعهود والمواثيق التي تعهد بالالتزام بها والمحافظة عليها، لا سبيل للوثوق في أي عهد أو ميثاق يقطعه

على نفسه بعدم الإعتداء على اي دولة خليجية أخرى في المستقبل. ومن ثم فإن حقوق شعوبها وضمان أمنها ومستقبلها يتطلب من جميع الحكومات الخليجية . بل ويفرض عليها . ان تتحمل مسؤولياتها كاملة في التصدي لهذا العدوان وإزالته مستخدمة في ذلك كل امكاناتها وقدراتها الذاتية، بالإضافة لقدرات وإمكانات دول أخرى شقيقة وصديقة. وحتى عندما تعرضت هذه الدول بالفعل لنيران الصواريخ العراقية، لم يفت ذلك في عضدها أو يدفعها لتقديم أي تنازلات للمعتدي العراقي، بل أصرت على مواصلة حرب تحرير الكويت حتى تم طرد المعتدي منها.

رابعاً: الرهان الخاسر لصدام على موقف مصر:

وقد نالت مصر نصيباً كبيراً من رهانات صدام الخاسرة، حيث اعتقد واهماً أيضاً ان اشتراكها مع العراق ودول عربية أخرى دائرة في فلكة في مجلس التعاون العربي، بالإضافة لوجود حوالي مليوني مصري يعملون في العراق، يمكن ان يجبر مصر على تبني موقف مؤيد للعدوان العراقي، أو على الأقل محايد منه. ان النظام العراقي أخطأ الحساب في ذلك أيضاً، حيث فشل في إدراك حقيقة جوهر السياسة المصرية على مر العصور والتي تدين وترفض العدوان على أي بلد عربي مسلم أياً كان مصدره، بل وتشارك بكل ما أوتيت من جهد وطاقات في دفعه، مهما كانت الإعتبارات والعوامل والإرتباطات التي يمكن في نظر الآخرين ان تحول دون ذلك. لذلك جاء الموقف المصري سياسياً وعسكرياً من العدوان العراقي منسجماً تماماً مع مبادئ وإخلاقيات السياسة المصرية، ولم تنجح أي اغراءات أو تهديدا في دفعها للعدول عن هذا الموقف أو المساومة عليه. كما كان لثقلها السياسي والعسكري على المستويات الدولية والعربية والإسلامية، الأثر البالغ في تحقيق تعبئة كاملة على كل هذه الصعد والمستويات مناهضة للعدوان العراقي، وهو ما لم يكن وارداً على الإطلاق في حساب صانع القرار العراقي.

خامساً: وحساباته الخاسرة لموقف تركيا وايران:

وعلى المستوى الإقليمي شملت الحسابات الخاطئة للنظام العراقي أيضاً الموقف من إيران وتركيا. حيث تبنى سياسة تنازلية مع إيران تمثلت في عودته للاعتراف باتفاقية الجزائر ١٩٧٥م، وسحب قواته من الأراضي الإيرانية، وتبادل الأسرى، والعمل على تطبيع سائر العلاقات، وذلك على أمل ان يؤدي هذا إلى تأمين حدوده الشرقية وسحب قواته الرابطة فيها الى حدوده الجنوبية لمواجهة قوات التحالف، ودفع الحكومة الإيرانية لتبني موقف مساند له في عدوانه على الكويت. أما حيال تركيا فقد رتب النظام العراقي موقفاً تساومياً معها يسمح للعراق باستمرار ضخ النفط عبر الأنبوب المار بأراضيها، ومحاولة أخذ تعهد من الحكومة التركية بألا تسمح لقوات التحالف

باستخدام القواعد الجوية التركية والأراضي التركية في شن عمليات عسكرية ضد العراق، وذلك في مقابل السماح للقوات التركية بمطاردة الأكراد داخل الأراضي العراقية وزيادة عائداتها من النفط العراقي المار بأراضيها، الا ان حسابات النظام العراقي ازاء هاتين الدولتين باءت أيضاً بالفشل، حيث لم يدرك هذا النظام مدى العداوة والمرارة التي خلفتها حرب الثماني سنوات في نفوس الإيرانيين تجاه العراق، وان الحكومة الإيرانية تدرك ان التراجع العراقي والتنازلات التي قدمها هذا النظام ليست سوى مناورة سياسية مكشوفة تفتقد المصداقية، وأن الفرصة قد واتت جميع الايرانيين لكي يشاهدوا لحظة الانتقام لهم من النظام العراقي على يد قوات التحالف، وليشفوا غليلهم منه، وقد تأكد ذلك بوضوح عندما هبطت الطائرات العراقية أثناء الحرب في الأراضي الإيرانية هروباً من طائرات التحالف، وذلك أمل عراقي كاذب بأنه يمكن لهذه الطائرات ان تعود يوماً إلى العراق بعد الحرب، إلا ان هذا الأمل كان في حقيقته وهماً كبيراً حيث استولت الحكومة الإيراني على هذه الطائرات واعتبرتها جزءاً من تعويضات الحرب العراقية . الإيرانية التي يتعين على العراق الوفاء بها، أما تركيا فقد فات النظام العراقي انها إحدى دول حلف الناتو، وأن مصالحها الحقيقية تكمن في الوقوف سياسياً وعسكرياً في صف الدول المناهضة للعدوان العراقي، وان بقدرتها الحصول على تعويضات مجزية نتيجة التزامها بوقف ضخ النفط العراقي عبر اراضيها، كما غفل النظام العراقي عن حقيقة هامة وهي ان كلتا الدولتين (إيران وتركيا) ليس من مصلحتها ان تجد العراق يفوز بغنيمته في الكويت ويتحول إلى قوة اقليمية عظمى تهدد أمنها مستقبلاً.

سادساً: اللعب بورقة السياسة المناهضة تجاه إسرائيل:

ولم يستثن النظام العراقي إسرائيل من جملة حساباته الخاطئة، والتي سارت سياساته ازاءها في اتجاهين متوازيين:

ـ الاتجاه الأول: اتجاه اعلامي ودعائي مخادع بدأ منذ ما قبل عدوانه على الكويت بعدة شهور، وفي شهر مارس بالتحديد، وقد استهدف الاعداد والتمهيد لهذا العدوان من خلال تحويل أنظار العالم نحو إسرائيل بعيداً عن هدف العدوان الحقيقي المتمثل في الكويت، فشن النظام العراقي حملة سياسية واعلامية ضخمة اتهمت إسرائيل بالإعداد لارتكاب عدوان ضد العراق، وأنها تدبر لذلك بالإشتراك مع دول غربية، وأن العراق في مواجهة ذلك التهديد سيضطر للدفاع عن نفسه متوعداً بحرق نصف إسرائيل بما يمتلكه من غازات الحرب الكيمياوية.

. الاتجاه الثاني: وقد تمثل في إجراء اتصالات سياسية تحتية مكثفة مع الحكومة الإسرائيلية لطمأنتها بأن هذه التهديدات العراقية انما هي على سبيل الدعاية فقط والتي تستهدف الحصول على

دعم مالي من دول الخليج، وان إسرائيل في حقيقة الأمر خارج اهتمامات السياسة والاستراتيجية العراقيتين، وليس فيه نية العراق أن يهاجم إسرائيل، بل يريد ان يؤمن تعهدات موثقة بعدم اعتداء أي منهما على الآخر.

ولابد من الاعتراف بأن النظام العراقي كسب كثيراً من هذه السياسة المتناقضة تجاه إسرائيل، حيث نجح فعلاً في خداع العالم كله عن نواياه في العدوان الذي كان وشيك الوقوع على الكويت، والذي كانت الاستعدادات العسكرية تجري له على قدم وساق داخل العراق، كما نجح في إثارة الشعوب والحكومات العربية والإسلامية ضد إسرائيل والدول الغربية الكبرى (الولايات المتحدة وبريطانيا) وتعبئة الرأي العام العربي والإسلامي لصالحه ومساندته ودعم سياسته حتى وصل الأمر إلى عقد قمة عربية طارئة في بغداد، اعراباً عن التضامن والمساندة للعراق.

وقد استهدف النظام العراقي من وراء تلك المناورة السياسية أن تخدم عدوانه ضد الكويت من خلال استثمار قوة الدفع التي أثارت الشعوب العربية والإسلامية عندما هدد إسرائيل بحرقها، بأن تستمر هذه المساندة الشعبية العربية والإسلامية له أيضاً، بعد عدوانه على الكويت، كذلك تأمين جانب إسرائيل عندما ينفذ عدوانه على الكويت، ناهيك بالطبع عن نيته المبيتة في اقحام الصراع العربي . الإسرائيلي بتعقيداته المعروفة في عملية احتلاله للكويت، عندما يطلب المجتمع الدولي منه الانسحاب منها، حيث يربط حينذاك بين انسحاب إسرائيل من الأراضي العربية المحتلة، وانسحاب العراق من الكويت، وهو ما حدث بالفعل بعد وقوع العدوان العراقي على الكويت.

ورغم النجاح الذي صادف هذا البعد من المخطط العراقي قبل العدوان العراقي على الكويت، الا انه واجه فشلاً ذريعاً في تحقيق أهدافه بعد وقوع العدوان، حيث شاركت دول عربية واسلامية كثيرة في التحالف الدولي المناهض للعدوان العراقي بينها مصر وسوريا، وحتى عندما وجه النظام العراقي صواريخه ضد إسرائيل بهدف استفزازها ودفعها للدخول في الحرب حتى يحرج بذلك الدول العربية المشاركة في التحالف، ويحدث بالتالي شرخاً في جدار التحالف الذي يواجهه، نجد ان إسرائيل، بفعل السياسية الأمريكية، لم تستجب لهذا الاستفزاز وتحقق له هدفه، فلم ترد على الصواريخ العراقية رغم قدرتها الفائقة على الرد العنيف، وبذلك فوتت على النظام العراقي الهدف الذي كان ينشده من وراء جرها إلى هذه الحرب، واستمرت الحرب محصورة في منطقة الخليج بعيداً عن منطقة الصراع العربي الإسرائيلي، وهو ما يؤكد سوء تقدير الموقف لصانع القرار العراقي.

سابعاً: اللعب بورقة الرهائن الغربيين:

ولقد ارتكب النظام العراقي خطأ سياسياً فادحاً عندما أراد ان يطبق ما اشتهر به من ممارسات ارهابية وذلك باحتجازه الرهائن الغربيين وتوزيعهم على الأهداف الإستراتيجية الحيوية في العراق، وذلك بهدف ساذج هو عرقلة ضرب طيران التحالف لهذه الأهداف، ودفع الرأي العام العالمي للضغط على الحكومات الغربية لمنع ضرب العراق حفاظاً على أرواح هؤلاء الرهائن، الا ان نتائج هذا التصرف الإرهابي جاءت على عكس ما كان يستهدف صدام حسين، حيث زاد سخط الرأي العام العالمي على هذا الذي يحتمي خلف الرهائن من النساء والأطفال، وطالب الحكومات المختصة بسرعة ضرب هذا النظام وتخليص الرهائن ولو بالقوة، وقامت المظاهرات في مختلف دول العالم لتعبر عن سخطها واشمئزازها من هذا الأسلوب (المافي) الذي تتبعه حكومة العراق في خطف الرهائن من المدنيين المسالمين.

ولقد مارست حكومات الغرب أسلوباً سياسياً بارعاً في إدارة أزمة الرهائن، اعتمد في الأساس على دراسة عميقة لشخصية صدام حسين الذي يعجب كثيراً بزيارات الشخصيات الدولية الكبيرة له لتطلب منه الإفراج عن الرهائن، فأوحت إلى عدد من هؤلاء الشخصيات غير الرسمية بزيارة العراق وايهام صدام حسين بأن افراجه عن الرهائن سيضمن له عدم تعريض العراق لشن حرب ضده، وذلك بعد ان نجح عدد كبير من هؤلاء الشخصيات في استخلاص أكبر عدد من الرهائن من براثن صدام حسين مستغلين رغبته النفسية في اظهار قدرته على المنح والمنع. وكانت النتيجة ان ابتلع صدام الطعم الذي ألقي إليه، وصدق انه يمكن بإفراجه عن باقي الرهائن ان يضمن عدم شن هجوم عليه من قبل قوات التحالف، وبذلك نجحت الدول الغربية في إزالة قيد كبير كان يمكن ان يقيد حركتها العسكرية في ضرب الأهداف الاستراتيجية في العراق، وقد أعترف صدام بعد ذلك بهذا الخطأ الذي وقع فيه عندما ذكر ان (المنافقين) قد خدعوه عندما أوهموه أن افراجه عن الرهائن يمكن ان يحول دون تعريض العراق للحرب، وهو ما يؤكد استفحال الأخطاء السياسية التي وقع فيها النظام العراقي قبل وأثناء الحرب.

ثامناً: واللعب بورقة البترول:

وكما افترض النظام العراقي واهماً أن الدول الغربية لن تجازف بالدخول في حرب العراق خوفاً من الخسائر البشرية التي قد تتكبدها، فقد افترض أيضاً ان الخسائر الاقتصادية الناجمة عن توقف تصدير نفط الخليج بسبب الحرب، والتي ستلهب أسعار النفط في العالم يمكن أيضاً ان تؤدي إلى حدوث ركود اقتصادي عالمي جديد لا قبل للدول الغربية بتحمله، وان هذا العامل الاقتصادي الذي يقضي على طموحات الإنتعاش الاقتصادي الذي تأمل فيه البلدان الغربية، يمكن

بجانب حساسية هذه البلدان للخسائر البشرية ان يمنع الدول الغربية من شن حرب ضد العراق. وكان هذا أيضاً نوعاً من الحسابات الخاطئة. حيث غفل النظام العراقي عن حقيقة وجود مخزون نفطي ضخم لدى الدول الغربية يكفيها عدة أشهر، بجانب وجود بدائل عديدة للطاقة. وهو ما حدث بالفعل عند نشوب الحرب، حيث لم يتوقف تصدير النفط الخليجي، كما ان اسعار النفط لم ترتفع إلى الدرجة التي لا يمكن تحملها، ولم تشعر الدول الغربية بتغيرات كبيرة وحادة سواء في معدلات انتاج النفط أو اسعاره.

مساوئ الفردية في عملية صنع القرار السياسي العراقي

وهكذا نجد أن جملة الحسابات الخطأ التي وقع فيها النظام العراقي على الصعيد السياسي قد مهدت الطريق لهزيمته العسكرية، وكانت مؤشراً جيداً اوحى بسرعة هزيمته العسكرية، ولم يكن ذلك في الواقع الا انعكاس لما عرف عن هذا النظام من ضعف في إدارة الأزمات وصنع القرارات السياسية بسبب الفردية والعفوية التي يدير بها الأزمات السياسية، وعدم وجود آليات سليمة تشارك في عملية صنع القرار، هذا على صعيد الحسابات السياسية الخاطئة فماذا على صعيد الحسابات الاستراتيجية الخاطئة، التي وقع فيها النظام العراقي، وأدت بالتالي إلى صدق التنبؤات بهزيمته العسكرية، بل والتأكيد على هذه الهزيمة؟

الهدف الاستراتيجي للقوات العراقية والتصور العراقي لتحقيقه

تعرف الاستراتيجية بأنها أداة تنفيذ الأهداف والغايات السياسية العليا للدولة، ولما كان الهدف السياسي والغاية القطرية العليا للنظام العراقي يتمثلان في إقامة دولة اقليمية عظمى في منطقة الخليج تسيطر وتهيمن على أرض وثروات وشعوب الدول العربية الخليجية الأخرى تحت زعامة حزب البعث العراقي، لذلك جاءت الاستراتيجية العسكرية العراقية لتخدم هذا الهدف السياسي التوسعي، وتعبر عنه على الصعيد العسكري في هدف استراتيجي حددته القيادة السياسية العراقية للقوات المسلحة العراقية بعد احتلالها للكويت يتمثل في ردع قوات التحالف عن مهاجمة القوات العراقية، وذلك من خلال التلويح الدائم والتهديد باستخدام أسلحة التدمير الشامل، ثم بتكثيف الدفاع عن الكويت بأكبر حجم ممكن من القوات المسلحة يستحيل على قوات التحالف ان توازيه على الصعيد الكمي إذا ما قررت الهجوم على الكويت، مع الاستعداد لإدارة معركة دفاعية طويلة تتكبد فيها قوات التحالف خسائر بشرية ومادية ضخمة تجبرها على إيقاف هجومها والتراجع عن مواصلته.

من هنا يمكننا ان نفهم ان دعامة الاستراتيجية العسكرية العراقية في حرب الخليج كانت تنهض على ثلاث ركائز أساسية:

الركيزة الأولى: استراتيجية ردع تتمثل في استمرار التلويح باستخدام أسلحة الدمار الشامل ليس فقط ضد قوات التحالف العسكرية، بل وضد المنشآت النفطية في دول الخليج العربية والتي تمثل مصالح الغرب الرئيسية في المنطقة، والمناطق السكانية في المدن العربية.

الركيزة الثانية: بناء حجم ضخم من القوات المسلحة العراقية في مواجهة قوات التحالف يتعذر، في التصور العراقي، على دول التحالف ان تجاريه من حيث الكم سواء في القوة البشرية العسكرية أو في حجم الأسلحة والمعدات الحربية.

الركيزة الثالثة: إدارة معركة دفاعية طويلة يتعذر، طبقاً للتصور العراقي أيضاً، على قوات التحالف ان تصمد فيها وتواصل هجومها، وذلك بالنظر لما ستتكبده من خسائر بشرية ومادية كبيرة لا قبل لها بتحملها، الأمر الذي يمكن ان يدفعها إلى ايقاف هجومها ثم الانسحاب إلى مواقعها الأولية جنوب الكويت في السعودية، وبذلك يمكن للعراق ان يفوز نهائياً بغنيمته في الكويت.

لذلك جاءت المعالم الرئيسية الاستراتيجية العسكرية العراقية ترجمة لهذا الهدف ولتلك التصورات، حيث اعتمدت على تعظيم عامل الكم في بناء القوة المسلحة العراقية بشكل مكثف في محاولة لتغطية ضعفها وعجزها الشديد على الصعيد النوعي والذي تأكد في حرب الخليج الأولى بين العراق وايران، والذي من المؤكد تفاقمه في مواجهة قوات التحالف التي تتفوق نوعياً على القوات العراقية على أصعدة متعددة، فقامت بتعبئة قرابة مليون ونصف مليون جندي بجانب ترسانة ضخمة تتكون من ٦٢٨٠ دبابة و ١١,٠٠٠ عربة مدرعة، و ٥٠٠٠ قطعة مدفعية وراجمة صواريخ، و ٤٠٠ منصة صواريخ أرض/ أرض بالإضافة إلى قوة جوية تتكون من ٨٠٩ طائرات قتال، و ٣٠٠ هليوكبتر مسلحة، و ٦٠ قطعة بحرية وما يزيد على ١٠٠٠ قاعدة صواريخ دفاع جوي، منها في مسرح عمليات الكويت ٥٤٠ ألف جندي منهم ٨٠,٠٠٠ حرس جمهوري، وتتشكل هذه القوات في٣٧ فرقة جيش و٦ فرق حرس جمهوري مسلحين بحوالي ٤٢٨٠ دبابة بينها ٦٠٠ دبابة مع الحرس الجمهوري، ٢٨٧٠ عربة مدرعة بينها ٦٠٠ عربة مع الحرس الجمهوري، ٣١١٠ قطع مدفعية، كذلك ١٠٠ منصة صواريخ أرض / أرض بينها ٥٠ متوسطة المدى، ٤٠٠ قاعدة صواريخ دفاع جوي، ونعني بمسرح عمليات الكويت تلك المناطق التي تضم بجانب الكويت، المنطقة جنوب العراق حتى شمال الناصرية.

اما على صعيد المعركة الدفاعية، فقد خططت القيادة العراقية لبناء هيكل دفاعي في منطقة الحدود العراقية والكويتية مع السعودية يتكون من نظامين دفاعيين كل بعمق يصل إلى ١٥ . ٢٠ كم بفاصل حوالي ١٠ . ١٢ كم بينهما، حيث تتمركز على النطاق الدفاعي الأول فرق النسق الأول من المشاة أساساً المدعمة بصواريخ مضادة للدبابات وأعداد محدودة من الدبابات. وتوزعت على اتجاهين: الاتجاه الساحلي وقد احتلته حولي ٥ فرق مشاة ومشاة ميكانيكية بهدف تدمير عمليات الإنزال البحري التي كانت متوقعة من هذا الاتجاه، وقوام هذه الفرق الخمسة حوالي ٦٠,٠٠٠ جندي مسلحين بحوالي ٤٠٠ دبابة و ١٠٠ صاروخ مضاد للدبابات ومثلها مضاد للسفن من طراز سيلك وورم.

اما الإتجاه الثاني فهو يمتد بطول الحدود الكويتية . السعودية، حيث تمركزت على هذا الاتجاه في النسق الأول ٧ فرق مشاة ومشاة ميكانيكية قوامها ٨٠,٠٠٠ جندي مسلحين بحوالي ١٥٠٠ دبابة و ٥٠٠ صاروخ مضاد للدبابات، اما عمق الدفاع حيث يتواجد النطاق الدفاعي الثاني والذي تتمركز عليه قوات النسق الثاني والاحتياط المنوط به المحافظة على الاتزان الدفاعي واستعادة الدفاعات المخترقة في النطاق الأول بشن الهجمات والضربات المضادة، فقد تمركزت عليه ١٢ فرقة مدرعة ومشاة ميكانيكية قوامها ١٥ ألف جندي وحوالي ٢٥٠٠ دبابة، وكانت قوات الحرس الجمهوري هي التي تشكل صلب هذه الدفاعات، وكل نطاق دفاعي من هذه النطاقات كان يتكون من عدد من المواقع الدفاعية المشكلة من خنادق متتالية تستند على خط كثيف من الموانع الهندسية المكونة من حقول الغام متتالية وخنادق عميقة مضادة للدبابات مجهزة لاشعالها بمواد حارقة، بالإضافة إلى كتل خرسانية واسلاك شائكة لاعاقة الهجوم، وبين المواقع الدفاعية كانت تتواجد كتائب المدفعية وراجمات الصواريخ التي تقدم المعاونة النارية القريبة، كذلك مواقع الصواريخ والمدفعية المضادة للطائرات ومراكز القيادة التكتيكية، وخلف الدفاعات تتمركز المناطق الإدارية المجهزة بالمؤن وسائر الاحتياجات الإدارية والمستشفيات.

وجميع هذه الترتيبات الدفاعية التي اتخذتها القيادة العراقية كانت تؤكد تصميمها على إدارة معركة دفاعية طويلة تتضمن امكانية التحول للهجوم المضاد بشكل ينهي المعركة لصالح الجانب العراقي ويجعله يحتفظ بالكويت، وذلك من خلال الاعتماد على فرضية اساسية سيطرت على القيادة العراقية بأن مجرد الحاق خسائر جسيمة في القوات البشرية للتحالف سيكون كفيلاً بإنهاء الحرب لصالح العراق، حيث ستجبر هذه الخسائر قوات التحالف على إيقاف الحرب والانسحاب تحت ضغط الرأي العام العالمي.

أخطاء التصور الاستراتيجي العراقي في تخطيط الحرب

أولاً: المبالغة في الاعتماد على صواريخ سكود للعمل كسلاح ردع:

من المعروف ان الردع يحقق أهدافه إذا اتسم بثلاث خصائص رئيسية: الأولى ان تمتلك الدولة الرادعة فعلاً سلاح الردع الذي تتوعد به، والثاني، أن يكون في نيتها فعلاً استخدامه وليس التهويش به، والثالث، ان تستخدم بالفعل هذا السلاح إذا ما وضعت استراتيجيتها للردع موضع الاختبار من قبل الخصم، لذلك يشترط في استراتيجية الردع ان تكون مكشوفة وان تبلغ الرسالة واضحة للخصم دون غموض، وقد هدد النظام العراقي قبل عدوانه على الكويت باستخدام اسلحته الكيماوية . خاصة المزدوج منها . لحرق نصف إسرائيل، وذلك باستخدام صواريخه وقاذفاته المقاتلة، وأقرن ذلك بالإعلان عن تطويره لصاروخ أطلقه إلى الفضاء الخارجي، وصاروخ آخر يصل مداه إلى ٢٠٠٠ كم، كما صدرت تلميحات من مسؤوليين عراقيين قبل وبعد العدوان العراقي على الكويت بامتلاك العراق لسلاح نووي ينوي استخدامه ضد قوات التحالف إذا ما شنت هجوماً لتحرير الكويت، واسلحة أخرى غير تقليدية مثل قنابل الإنفجار التي اطلق عليها البعض (قنبلة البنزين).

وقد اعتمد العراق في استراتيجية هذه على ما حققه من نجاح في المراحل النهائية من حرب الخليج الأولى ضد إيران عندما استخدم صواريخه (سكود) وتطويراتها التي أجريت عليها بواسطة شركات المانية اطلق على احدها (الحسين) ومداه حوالي ٦٥٠ كم، والاخر (العباس) ومداه حوالي ٩٠٠ كم، وذلك ضد أهداف مدنية في إيران شملت مناطق سكنية وأهدافاً اقتصادية ذات قيمة استراتيجية مثل المنشآت النفطية، وكان ذلك القصف الصاروخي يجري بمعدلات عالية وصلت إلى حوالي ٣٠ صاروخاً في اليوم.

ويرجع هذا المعدل العالي في استخدام العراق لصواريخه إلى حصوله على صفقة صواريخ (سكود) ضخمة من كوريا الشمالية والصين بتمويل من دول الخليج العربية، في حين لم يكن لدى إيران آنذاك سوى اعداد محدودة من صواريخ سكود، لذلك كان الرد الإيراني ينحصر فقط على قصف بغداد بما لا يزيد على ٣ . ٤ صواريخ في بعض الأيام، هذا بالإضافة إلى الضعف الذي أصاب السلاح الجوي الإيراني عقب الثورة الخمينية، مما جعل إيران تخوض حرب الثماني سنوات بدون غطاء جوي تقريباً، وكان لكثرة الخسائر البشرية والمادية التي تعرضت لها إيران، مع عدم قدرتها على الرد المناسب، ان قبلت الحكومة الإيرانية بقرار مجلس الأمن رقم ٥٩٨ الخاص بوقف اطلاق النار، فاعتبرت القيادة العراقية ذلك انتصاراً لاستراتيجيتها في استخدام الصواريخ أرض/

أرض كسلاح ردع فعلا، ولذلك طبقت نفس المفهوم الاستراتيجي في حرب الخليج الثانية ضد قوات التحالف الا ان الامر كان مختلفاً تماماً، مما أفشل استراتيجية الردع العراقية، وذلك للأسباب الآتية:

السبب الأول: جملة العيوب الفنية التي تعاني منها الصواريخ العراقية، فقد اهتم مطورو هذه الصواريخ فقط بتحسين مداها حتى يمكنها ان تصل إلى الأعماق الاستراتيجية في الدول التي يقرر العراق قصفها، دون الاهتمام باصلاح عيوبها والتي تحد من فعاليتها العسكرية، تلك العيوب التي تتمثل اساساً في عدم قوة اصابتها للأهداف حيث تنتشر الصواريخ عند سقوطها في منطقة تصل إلى ١٠٠٠م×١٠٠٠م مما يجعلها غير صالحة لضرب الأهداف العسكرية، كذلك ضعف حمولة الرأس الحربي والذي تم تخفيض وزنه عندما تم زيادة المدى، وقد تأكدت هذه العيوب الفنية عندما استخدم العراق بالفعل هذه الصواريخ في قصف المدن العربية في منطقة الخليج، حيث انتشرت الصواريخ التي سقطت على مساحات واسعة بعيداً عن أهدافها في الصحراء وبعضها في مياه الخليج، كما انفصلت بعض رؤوس هذه الصواريخ عن باقي الجسم أثناء دورانها في الجو نتيجة لضعف تثبيت الرؤوس في جسم الصواريخ عند اجراء عمليات التطوير.

السبب الثاني: غفلت القيادة العراقية عن فروق جوهرية بين استخدامها لهذه الصواريخ في قصف الأهداف الإيرانية، واستخدامها ضد قوات التحالف، حيث لم يكن لدى إيران صواريخ مضادة للصواريخ مثل التي كانت لدى قوات التحالف من طراز (باتريوت) القادرة على اعتراض الصواريخ البالستيكية في الجو وتدميرها قبل ان تصل إلى أهدافها، كما لم يكن لدى إيران اقمار تجسس وطائرات استطلاع وانذار مبكر يمكنها بسهولة تحديد أماكن منصات اطلاق هذه الصواريخ سواء الثابتة أو المتحركة، ثم توجيه القاذفات المقاتلة لتدميرها على الفور، وهو ما حدث بالفعل في حرب تحرير الكويت، فقد توفرت عناصر الاستطلاع والمخابرات المختلفة التابعة لقوات التحالف والتي شملت عملاء في الداخل وأقمار تجسس وطائرات استطلاع وطائرات انذار مبكر نجحت في تحديد أماكن مواقع اطلاق الصواريخ ومنشآت تصنيعها ومستودعات تخزينها ومراكز الابحاث الخاصة بها، مما سهل على القاذفات المقاتلة التابعة للتحالف تدمير معظمها منذ الضربة الجوية الصاروخية الأولى في فجر السابع عشر من يناير ١٩٩١، ثم تتبع المنصات المتحركة الباقية والتي كانت تضرب بأسلوب التجول وتدميرها بواسطة القاذفات المقاتلة، وبجانب كل ذلك كانت هناك أيضاً بطاريات (باتريوت) المضادة للصواريخ التي استطاعت اعتراض معظم هذه الصواريخ

في الجو وتدميرها قبل ان تصل إلى أهدافها، وهو الأمر الذي أدى إلى فقدان هذه الصواريخ العراقية لفعاليتها الاستراتيجية كسلاح ردع أو تدمير.

السبب الثالث: غفلان القيادة العراقية أيضاً عن حقيقة استراتيجية هامة، وهي ان فاعلية الردع تأتي من امتلاك الدولة الرادعة لسلاح ردع يفوق أو يعادل في قوته وفعالية تأثيره ما لدى الخصوم من أسلحة مماثلة. فإذا كانت الصواريخ العراقية (سكود) والأسلحة الكيماوية قد اثبتت فعاليتها على الجبهة الإيرانية، الا انها كانت لا تجدي في ردع قوات التحالف لسبب بسيط وواضح وهو امتلاك الأخيرة لأسلحة ردع استراتيجية تفوق في دقتها ومداها وقوة تأثير نيرانها ما لدى العراق من أسلحة ردع صاروخية وكيماوية بمراحل، فقد كان لدى دول التحالف صواريخ كروز مداها ٢٠٠٠ كم طراز (توماهوك) تطلق من سفن السطح والغواصات والقاذفات ب . ٥٢، كذلك قاذفات مقاتلة ذات قدرة على حمل أوزان من القنابل تفوق بكثير حمولة الصاروخ العراقي (سكود) أو تطويراته (الحسين أو العباس)، فإذا كانت حمولة الصاروخ العراقي تصل في أقصى تقدير لها ١٠٠٠ كجم من المواد المتفجرة، فإن الطائرة الواحدة من طراز (ف . ١٥) الاميريكية تحمل ٧٢٥٠ كجم أي ان الصاروخ العراقي يساوي في فاعليته من حيث الحمولة ربع حمولة طائرة مقاتلة واحدة، ناهيك بالطبع عن دقة إصابة المقاتلة بما تحمله من أجهزة توجيه وتصويب متطورة، وامكانية تكرار الاغارة عدة مرات في اليوم الواحد على الهدف، اما تهديد العراق باستخدام الأسلحة الكيماوية فقد تم ردعه من خلال تلويح قيادة التحالف باستخدام أسلحة نووية كان متوافراً منها بالفعل في منطقة الخليج حوالي ٤٥٠ رأس نووي، وهو الأمر الذي أدى بالفعل إلى ردع العراق عن استخدام اسلحته الكيماوية في جميع مراحل الحرب رغم امتلاكه لها، هذا بالطبع إلى جانب استعداد قوات التحالف لمواجهة احتمال لجوء العراق لاستخدامها، وذلك باتخاذ كافة الاجراءات الوقائية والتطهيرية اللازمة والتي تحد كثيراً من فاعليتها.

لكل هذه الأسباب وغيرها، فقد فقدت استراتيجية الردع العراقي فعاليتها تماماً في مواجهة قوات التحالف، ولم تنجح في ردعها عن شن هجومها في فجر السابع عشر من يناير ١٩٩١.

ثانياً: تبني مفاهيم خاطئة حول التوازن العسكري، مع عدم تطبيق مبادئ الحرب:

تبنت القيادات السياسية والعسكرية العراقية منذ بدء العدوان العراقي على الكويت مفهوماً استراتيجياً عتيقاً فات زمانه يقول بأن على المهاجم . إذا ما أراد الانتصار على المدافع . أن يحقق تفوقاً كمياً في القوة البشرية والأسلحة والمعدات يصل إلى ١:٣، وأن المهاجم بدون تحقيق تلك النسبة في التفوق لن يكون بوسعه ان يحقق نصراً، وبالتالي لن يخاطر بشن الهجوم أصلاً، وقد

ترتب على تبني القيادة العراقية لهذا المفهوم الاستراتيجي الخاطئ . والذي يحصر الميزان العسكري في بعده الكمي فقط . ان توصلت هذه القيادة لمدركات خاطئة تمثلت في أن دول التحالف لن تجازف بشن هجوم ضد القوات العراقية، لأنه لن يكون بوسعها أن تحشد ثلاثة أضعاف ما لدى القوات العراقية من قوة بشرية وأسلحة ومعدات حربية.

وقد ترسخ هذا المفهوم الخاطئ في أذهان القيادات العراقية، بل حرصت على توصيله من خلال وسائل اعلامها ودعايتها إلى جنود وأفراد الشعب العراقي، وسائر الشعوب العربية، وذلك حتى تعطي انطباعاً يقينياً لديهم بأن هناك استحالة مادية في أن تشن قوات التحالف هجوماً تستنقذ به الكويت من أيدي العراقيين، وقد انعكس أيضاً هذا المفهوم الخاطئ في السلوك السياسي للقيادة العراقية، والذي تمثل في تعنت صدام حسين إزاء قبول الحلول السياسية التي طرحت عليه، وإصراره على احتلال الكويت، بل وحتى بعد بدء الضربات الجوية والصاروخية كان يراهن أيضاً على المعركة البرية رغم الخسائر الجسيمة التي تكبدها.

وينبع الخطأ في هذا المفهوم الاستراتيجي العراقي من تجاهله للمستجدات الحديثة في الاستراتيجية العسكرية والتي تدخل عوامل الكيف والنوعية في الميزان العسكري، وذلك بالنسبة للتأثير الكبير لها في قياس الكفاءة القتالية الفعلية لأي قوات مسلحة بغض النظر عن التفوق الكمي لأي من الأطراف المتصارعة. فمع التسليم بالطبع بأن على المهاجم ان يحقق نسبة تفوق أعلى من المدافع ليعوض المزايا العسكرية التي يتمتع بها المدافع نتيجة تمسكه بالأرض التي يدافع عنها، الا انه ليس بالضرورة ان تصل نسبة التفوق هذه إلى ١,٣ فقد يمكن لقوات مهاجمة ان تكتفي بنسبة تفوق تصل إلى ١,٥: ١ فقط، ويمكن لها بهذه النسبة الضئيلة في التفوق ان تحقق انتصاراً على القوات المدافعة، خاصة إذا ما استخدمت قواتها المهاجمة الاستخدام الأمثل من حيث تطبيق أهم مبادئ الحرب تطبيقاً سليماً، خاصة مبدأ الحشد مع تركيز الجهود في الاتجاهات الرئيسية. هذا على الصعيد الكمي، أمّا على الصعيد النوعي، وهو الأهم في حالتنا هذه. فإن عامل الكيف والنوعية يلعب دوراً هاماً في الميزان العسكري سواء من حيث السلاح والمعدّة أو الجندي الذي يقاتل بها، كذلك أساليب استخدامها معاً لتحقيق مهمة قتالية محددة.

فلا يمكن . على سبيل المثال . ان تقارن المقاتلة الأمريكية (ف . ١٥) أو البريطانية (تورنادو) أو الفرنسية (ميراج)، بالمقاتلة العراقية السوفيتية الصنع (ميج . ٢١) والتي تقدر في حساب الميزان الجوي بربع طائرة (ف . ١٥)، حتى المقاتلة (ف١٥) العاملة في القوات الجوية الأمريكية، والمسلحة بالصواريخ جو/ جو طراز (سبارو) ومنظومة استطلاع وإدارة نيران رادارية متطورة لا

يمكن مقارنتها بمثيلتها (ف . ١٥) طراز التصدير لدول العالم الثالث، والمسلحة بصواريخ جو/ جو (سايدوندر) الأقل كفاءة، وتفتقر إلى المنظومة الرادارية الحديثة للكشف وإدارة النيران، ناهيك بالطبع عن الفروق في عوامل نوعية أخرى هامة مثل كفاءة الطيار وأطقم الخدمة الأرضية، وقدرتهم على تحقيق أكبر معدل من الطلعات الجوية في اليوم، كذلك أنظمة القيادة والسيطرة والدفاع الجوي المستخدمة، إلى غير ذلك من العوامل النوعية التي تؤثر سلباً أو إيجاباً في تنفيذ العدد المطلوب من الطلعات الجوية الناجحة في أيام القتال، نفس الأمر ينسحب أيضاً على سائر الأسلحة ومعدات القتال، فلا يمكن على سبيل المثال مقارنة الدبابة الأمريكية الحديثة التي اشتركت في الحرب من طراز (ابرامزم . ١)، بالدبابة العراقية (ت . ٥٥) أو (ت . ٦٢) أو حتى (ت . ٧٢) سواء في خفة الحركة أو قوة الرجع أو قوة النيران من حيث عيار المدفع ودقة أدوات التصويب وأنواع الذخيرة ومدى الضرب وبالتالي فعالية التأثير، أو مقارنة الصاروخ الأمريكي (كروز)، طراز (توماهوك) بالصاروخ العراقي (سكود) سواء من حيث المدى أو الدقة أو فعالية الرأس الحربي.

هذا بالإضافة لاحراز قوات التحالف للاحتكار التكنولوجي المتقدم والكامل في ميادين عملياتية وتسليحية لا قبل للعراق بخوضها أصلاً، مثل أقمار الاستطلاع والتجسس والتي تمكنت من مسح كل شبر في العراق عدة مرات في اليوم الواحد، وطائرات الاستطلاع والانذار المبكر (اواكس) التي كشفت جميع مطارات العراق ووسائل دفاعه الجوي وكانت تعطي انذاراً بكل طائرة عراقية تقلع من مطارها أو صاروخ دفاع جوي ينطلق من قاذفة أو محطة رادار عراقية تعمل في حيز معين من الترددات، ثم تقوم بتوجيه مقاتلات التحالف عليها، كذلك منظومة الصواريخ المضادة للصواريخ (باتريوت) والتي أسقطت ٩٠٪ من الصواريخ العراقية، هذا بالإضافة إلى وسائل الحرب الالكترونية سواء في مجال الاستطلاع اللاسلكي والراداري أو في مجال الإعاقة اللاسلكية والرادارية، ومجموعة الذخائر الذكية التي تطلق من أسلحة برية وبحرية وجوية، والصواريخ الكروز (توماهوك) والتي تتجنب جميع العوائق الأرضية حتى تصل إلى أهدافها بدقة متناهية، وكلها ميادين تسليحية وعملياتية لا قبل للعراق بالمنافسة فيها أو خوضها أصلاً.

وإذا انتقلنا من عامل السلاح والمعدة الحربية إلى عامل الفرد المقاتل الواقف خلف هذا السلاح أو تلك المعدة، ومدى ما يتمتع به من لياقة صحية وبدنية، وما حصله من تدريب قتالي على استخدام سلاحه، وما اكتسبه من مهارات قتالية وخبرات عملياتية، ومدى ارتفاع روحه المعنوية وشعوره بالولاء لقيادته السياسية، وانعكاس ذلك على ايمانه بالقضية التي يدافع عنها واصراره على القتال. وطبقنا هذه المقاييس على الجندي العراقي فسوف نجد خللا ذريعا في كل هذه

الأصعدة، وذلك ان الجندي العراقي الذي عانى من ويلات حرب عقيمة مع ايران طوال ثماني سنوات انتهت بلا نتيجة أو ثمرة، كان فاقداً تماماً لكل مقومات الكفاءة القتالية الصحية والبدنية والمعنوية، ولم يحظ بأي قدر واف من التدريب القتالي، ولم يجد أي اهتمام أو عناية من قبل قياداته في النواحي الادارية سواء في المأكل أو الملبس أو الإيواء، وكان يعاني من الضعف والتخلف على كافة صعد الكفاءة القتالية، وهي الحالة التي ظهر عليها في وسائل الإعلام العالمية أثناء حرب تحرير الكويت، ومن قبلها حيث كان الجنود يستسلمون بالمئات الى قوات التحالف حتى من قبل أن تبدأ الحرب.

وقد أدى الحصار الذي فرض على القوات العراقية في الكويت وجنوب العراق، مع تعرضها للقصف الجوي والصاروخي والمدفعي لعدة أسابيع وانقطاع سبل الإمداد عنها، إلى انهيار وتهاوي الجنود العراقيين في الحرب نهائياً، وهو ما أكد افتقارهم روح الرغبة في القتال، بل كانت رغبتهم موجهة فقط في سرعة الاستسلام لقوات التحالف حتى يجدوا المأكل والملبس والمأوى، وكان ذلك أمراً طبيعياً في مثل هذه الظروف الصعبة التي لم تعرها القيادة العراقية أدنى التفات، وكانت من العوامل الرئيسية التي أدت إلى سرعة انهيار الجيش العراقي ذي المليون جندي في أقل من ١٠٠ ساعة قتال، فكيف يمكن ان يطلب من الجندي العراقي الذي لم يمض عليه أكثر من عام بعد خروجه منهكاً وضعيفاً من حرب الثماني سنوات مع إيران، ان يحارب مرة أخرى في مثل هذه الظروف ضد قوات التحالف التي تتفوق عليه تفوقاً ساحقاً على الأصعدة المادية والمعنوية في كل مكونات الكفاءة القتالية؟ ومن ثم لم يكن غريباً ابداً ان تجد الآلاف من الجنود العراقيين على شاشات التلفزيون يتدافعون ويتسابقون لتسليم أنفسهم لقوات التحالف بمجرد بدء الحرب البرية.

فإذا اضفنا إلى كل ذلك الخلل في الميزان العسكري، أن العراق بعد عدوانه على الكويت كان يواجه شبه عزلة دولية وإقليمية كاملة، وحصاراً اقتصادياً برياً وبحرياً وجوياً، مما أدى إلى افتقاده لمصادر الدعم الخارجية اللازمة وذلك على الصعيدين العسكري والاقتصادي، حيث الاحتياجات المستمرة للامداد بقطع الغيار والذخائر الخاصة وعمرات الطائرات والدبابات وحتى مواد التموين مثل الوقود وغيره، وعلى الصعيد الاقتصادي حيث الأموال والانتاج المدني في المزارع والمصانع تمد آلة الحرب بكافة احتياجاتها حتى يمكن تأمين تشغيلها في حرب راهنت القيادة العراقية على انها ستكون طويلة ومريرة، فإننا سنجد ان هذا الحصار قد أثر تأثيراً كبيراً على كفاءة تشغيل آلة الحرب العراقية واستمرارية أدائها بالنظر للقيود الهائلة والجوهرية التي فرضت على إدارة العراق لدفة الحرب وهو ما أدى إلى تدني القدرات اللوجستية للقوات العراقية إلى أدنى درجاتها، وبالتالي تناقص

قدراتها على خوض حرب طويلة على عكس ما خططت وراهنت القيادة العراقية، والتي اعتقدت واهمة ان قوات التحالف لن تكون قادرة على خوض مثل هذه الحرب الطويلة، في حين ان كل معطيات الموقف كانت تؤكد عكس ذلك، بالنظر لما كانت تتمتع به قوات التحالف من موارد اقتصادية ضخمة ومتجددة، ونظام امداد لوجيستي على أعلى المستويات.

ثم نأتي بعد ذلك إلى قمة التصورات الاستراتيجية الخاطئة في الرؤية العراقية، وفي تطبيق مبادئ الحرب، وهو افتراض عدم قدرة قوات التحالف على تحقيق التفوق الكمي على القوات العراقية، فقد ضربت القيادة العراقية بأهم مبادئ الحرب، وهو مبدأ الحشد مع تركيز الجهود في الاتجاه الرئيسي، عرض الحائط، حيث وزعت قواتها البرية على طول حدودها تقريباً، وبعثرتها وشتتها بين الاتجاه الشرقي مع إيران، والاتجاه الشمالي مع تركيا، والاتجاه الغربي مع الأردن والتي من خلفها إسرائيل، وحول العاصمة بغداد، وكان ذلك بالطبع على حساب الاتجاه الرئيسي الجنوبي حيث المعركة الدفاعية الرئيسية والحاسمة، والذي لم يزد نصيبه على ٥٥٪ من القوة البشرية (٥٤٥,٠٠٠) جندي، و٦٥٪ من الدبابات (٤٢٨٠) دبابة، وكان نتيجة هذا التوزع السيئ للقوات العراقية ان حققت قوات التحالف التفوق الكمي في ميادين كثيرة في الاتجاه الجنوبي الحاسم بالنسبة للعراق.

وبالطبع لم يكن هذا التوزع العراقي السيئ لقواته وبعثرتها على طول حدود، إلا نتيجة طبيعية لفشل القيادة السياسية العراقية في تأمين علاقات سياسية طيبة مع كل جيرانه تقريباً باستثناء الأردن، مما أجبره على نشر قواته بهذا الشكل السيئ الذي يتنافى مع أبسط مبادئ الحرب.

ثالثاً: الفشل في تخطيط عملية دفاعية استراتيجية ناجحة:

تمثل الفشل العراقي في التخطيط والإعداد للعملية الدفاعية الاستراتيجية أساساً في المفهوم الاستراتيجي الذي تبنته القيادة العراقية، وهو مفهوم الدفاع السلبي المفتقد للايجابية، ونعني بالإيجابية ان يكون الدفاع نشطاً قادراً على التحول بسرعة إلى عمليات هجومية، وهذا المفهوم السلبي للدفاع يرجع إلى أزمنة الحروب العالمية الأولى والثانية التي كانت تسودها عقيدة (حرب الخنادق)، وأصبحت العقائد العسكرية الحديثة ترفضه لما يشكله من مهالك وأضرار للقوات المدافعة، كما ثبت فشله في تحقيق الهدف والمهام القتالية المناطة به وأصبحت العقيدة الدفاعية الحديثة لا تقبل سوى الدفاع الاستراتيجي الإيجابي الذي يستهدف كسب الوقت حتى يتم احداث تغير في الموقف الاستراتيجي يهيئ الظروف لتحول المدافع إلى الهجوم وانتزاع المبادأة من خصمه، ورغم ما روجته القيادة العراقية من أن الدفاع الذي تتبناه سيكون إيجابياً، الا ان تخطيط

وتنظيم الدفاع الذي تبنته لم يكن ليسمح لها بذلك سواء من حيث البناء الدفاعي، أو توزيع القوات عليه، أو النية في استخدامها أثناء إدارة العملية الدفاعية، أو حتى في توفير الوقاية والحماية الكافيتين للقوات العراقية، وهو لب هدف اسلوب (دفاع المنطقة) الذي تبنته القيادة العراقية.

فمن حيث البناء الدفاعي الذي اعتمد على نطاقات دفاعية مكونة من مواقع وخنادق وموانع صناعية، فقد ثبت أن القيادة العراقية لم تستوعب أبرز الدروس التي افرزتها الحروب الحديثة واقربها حرب أكتوبر ١٩٧٣ وحرب الخليج بين العراق وايران، فأياً كانت درجة تحصين الدفاعات العراقية التي اقيمت على عجل بعد الثاني من أغسطس في منطقة حدوده الجنوبية وتم تحسينها خلال خمسة أشهر، فإنها لا يمكن ان ترقى إلى مستوى تحصينات خط (بارليف) الدفاعية التي أقامها الاسرائيليون شرق قناة السويس طوال سبع سنوات، والتي أمكن للقوات المصرية ان تخترقها ثم تلتف حولها وتحاصرها وتدمرها وتأسر من فيها من قوات إسرائيلية، ذلك لأنه أصبح من الصعب وجود دفاع ثابت لا يخترق، ومن ثم تحول الفكر الدفاعي الحديث إلى ما يطلق عليه (الدفاع المتحرك) و(الدفاع المرن) وكلاهما ينهض على مبدأ هام من مبادئ الحرب وهو (خفة الحركة)، أما الأسلوب العراقي الذي اتبع في تكديس جنود المشاة والدبابات بأسلحتهم في تحصينات تحت الأرض بدعوى الوقاية من النيران المعادية، فإنما كان يعني الحكم بإعدام هذه القوات أو استسلامها، ذلك لأنه افقد هذه القوات . خصوصاً الدبابات والعربات المدرعة . خاصة هامة من خصائصها الرئيسية المصممة لها اصلاً، وهي خاصية (الحركية) التي تؤمن قدرة واسعة على المناورة، ناهيك عن عدم استفادته من ٢٥٠ طائرة هيلوكبتر للنقل تدعمها ٣٠٠ طائرة هيلوكبتر هجومية كان يمتلكها وتؤمن له المناورة الرأسية في عمق الخصم، وحتى العمل الإيجابي الوحيد الذي قامت به القوات العراقية . وهو عملية الخفجي . فإنه نفذ بهدف وأسلوب دعائي وإعلامي أكثر منه استراتيجي عسكري، ولذلك لم تحقق العملية أياً من أهدافها، بل كانت نتائجها عكسية تمثلت في زيادة معدلات القصف الجوي والصاروخي ضد فرق الحرس الجمهوري جنوب العراق والتي كانت منها القوة التي قامت بعملية الخفجي.

وقد ترتب على هذا الجمود الدفاعي في الجانب العراقي ان افتقد المبادأة بالفعل، والتي كانت في واقع الأمر ملك ناصية قوات التحالف سواء من حيث الوقت أو المكان أو طبيعة الفعل؛ فكانت ردود فعل الجانب العراقي متمثلة في عمليات محدودة من القصف الصاروخي للمدن العربية، واحراق منشآت النفط الكويتي وتلويث مياه الخليج بالنفط، والقصف المدفعي من وقت لآخر ضد بعض مواقع قوات التحالف، وفي المقابل كانت قوات التحالف تملك قدرات هائلة في مجال خفة

الحركة سواء في المدرعات أو العربات المدرعة، أو المدفعية ذاتية الحركة، أو الهليوكبتر والتي وفرت لقوات التحالف أعمال مناورة واسعة من الالتفاف والتطويق والإنزال الجوي الرأسي في العمق تمشياً مع مقتضيات وأسلوب الحرب (الجو/برية) الذي اتبعته قوات التحالف عند هجومها، وذلك الأسلوب الذي يدمج الهجوم بالمواجهة مع الالتفاف والتطويق من الأجانب مع الإنزال الجوي في العمق، في آن واحد تحت غطاء كثيف وواسع مع نيران المساندة الجوية والمدفعية والصاروخية.

ويضاف إلى السلبية والجمود اللذين اتصف بهما تنظيم وتخطيط الدفاع العراقي، مساوئ أخرى تمثلت في الآتي:

. إفتقاد القيادة العراقية القدرة على الحصول على معلومات دقيقة وكاملة عن قوات التحالف، سواء في رصد وتتبع تحركاتها أو أعمال انتشارها وأماكن تواجدها بعناصر قتالها المختلفة، وبالتالي الفشل في تقدير نواياها في الهجوم وذلك بالنظر إلى ضعف ما لدى هذه القيادة من امكانيات استطلاعية ومخابراتية خاصة في مجال الاستطلاع الجوي، وحتى المتاح منها لم يكن بوسع القيادة العراقية ان تطلقه لتنفيذ مهام الاستطلاع الجوي خوفاً من اسقاطها بفعل الدفاعات الجوية القوية لقوات التحالف، وقد أدى ذلك إلى بقاء القيادة العراقية طوال فترة العمليات ومن قبلها شبه عمياء لا تدري شيئاً عما يدور حولها من حشود عسكرية وتحركات وانتشار قوات في البر والبحر والجو، باستثناء ما يصدر من معلومات في وسائل الإعلام العالمية، وبالتالي بنت خططها الدفاعية في ضوء (اللامعلومات) أو معلومات قديمة غير مؤكدة، أو معلومات مفبركة ومدسوسة على القيادة العراقية، ذلك بينما في المقابل كان العراق شبه عار تماماً بارضه وسمائه وأهدافه، وكتاباً مفتوحاً امام وسائل الاستطلاع والمخابرات التابعة لقوات التحالف التي تعمل في الفضاء والأجواء العراقية، بل وداخل دوائر صنع القرار العراقي ذاتها بواسطة العملاء المندسين في كل مجال عراقي تقريباً.

ـ سوء تقدير القيادة العراقية لاتجاهات هجوم قوات التحالف، حيث توقعت ان يكون الاتجاه الساحلي هو المجهود الرئيسي لهجوم هذه القوات بواسطة فرق مشاة الأسطول، حيث انطلت على القيادة العراقية عملية الخداع التي مارستها قوات التحالف قبل بدء العمليات بإجراء تدريبات بحرية مكثفة على عمليات ابرار بحري في منطقة خليج عدن وجنوب الخليج العربي، وما صاحب ذلك من تصريحات من قادة مشاة الأسطول الأمريكي وبالتالي نشرت القيادة العراقية حجماً ضخماً من قواتها الميكانيكية والمدرعة بصواريخ (سيلك وورم) المضادة للسفن على الساحل الكويتي، في حين ان التفكير الاستراتيجي المنطقي والبسيط كان من المفروض ان يؤكد على ان قوات التحالف ليست بحاجة إلى إجراء عمليات انزال بحري لكي تحقق اهدافها في تحرير الكويت، حيث تمتد الحدود

البرية بين المملكة العربية السعودية والكويت لما يزيد على ٢٦٠كم، وانه عبر هذه الحدود البرية يمكن إجراء عمليات هجومية واسعة يتم بواسطتها تحرير الكويت، ومن ثم فليس هناك داع لإجراء عمليات ابرار بحري خاصة وان هذه العمليات تعتبر من أعقد العمليات الحربية التي لا يتم اللجوء إليها الا مع استحالة تنفيذ هجوم بري، مثل عمليات انزال الحلفاء في نورماندي عام ١٩٤٥ لتحرير فرنسا، واقتحام القوات المصرية لقناة السويس عنوة لتحرير سيناء في حرب أكتوبر ١٩٧٣ حيث البحر الأبيض في الشمال والبحر الاحمر في الجنوب، الا ان القيادة العراقية ابتلعت الطعم الذي ألقي لها، فكان نشر قواتها في الساحل الكويتي على حساب تكثيف دفاعها في الإتجاه البري الجنوبي.

ـ خطأ آخر جسيم وقعت فيه القيادة العراقية يتعلق أيضاً بسوء تقديرها لاتجاهات الهجوم وتوزيع قوات التحالف على هذه الاتجاهات، فقد ظنت القيادة العراقية واهمة ان قوات التحالف سيقتصر هجومها عبر الحدود السعودية . الكويتية، وانها لن تعبر الحدود العراقية . السعودية، خاصة بالنظر إلى صعوبة طبيعة الأرض في هذه المناطق، لذلك لم تعط أي التفات لتنظيم دفاع قوي في هذه المناطق وتركتها مفتوحة بلا دفاعات إلا لمسافة محدودة غرب وادي الباطن، وكان ذلك من أكبر الأخطاء التي وقعت فيها هذه القيادة، وذلك لأن كل الدلائل والتقديرات كانت تشير إلى ان الضربة الرئيسية لقوات التحالف ستكون عبر الحدود السعودية . العراقية وفي اتجاه الناصرية بهدف تطويق القوات العراقية في الكويت وحصارها وقطع طريق انسحابها إلى العراق، ثم العمل على تدميرها أو دفعها لاستسلام.

وعندما أعلنت الدول العربية والإسلامية المشاركة في التحالف انها لن تهاجم الأراضي العراقية، وأن اعمال قتالها ستقتصر على العمل في الأراضي الكويتية فقط، كان على المخطط العراقي ان يستنتج انه طالما ان القوات الأمريكية والفرنسية والبريطانية لم تلتزم بذلك،وأن منطقة الحدود السعودية الكويتية تكاد تكفي لانتشار وهجوم القوات العربية فقط، فإنه من البديهي حينئذ ان يكون نصيب هذه القوات الأجنبية (الأمريكية والبريطانية والفرنسية) هو الهجوم عبر الأراضي العراقية، خاصة وأن الهدف الاستراتيجي لقوات التحالف لم يكن قاصراً على تحرير الكويت، بل وتدمير التجمع الرئيسي للقوات العراقية أيضاً حتى لا تكون مصدر تهديد في المستقبل، وبما ان هذا التجمع الرئيسي موجود في منطقة البصرة وحول الناصرية حيث فرق الحرس الجمهوري المدرعة والميكانيكية، فإنه من البديهي ان يكون محور الهجوم الرئيسي للقوات الأجنبية هو غرب وادي الباطن في اتجاه الناصرية للالتفاف حول القوات العراقية الموجودة في الكويت والبصرة

والناصرية، وسرعة الوصول إلى نهر الفرات لقطع طريق الإنسحاب على هذه القوات ثم تدميرها من خلال عمليات التفاف واسعة تدعمها عمليات ابرار جوي ضخمة جنوب العراق، وذلك أيضاً إعمالاً باستراتيجية (المعركة الجوية البرية) التي اتبعتها قوات التحالف والتي سبق الإشارة إليها.

وقد ساعد قوات التحالف على تحقيق هذا المخطط، عدم تخطيط القيادة العراقية لأعمال مناورة للفرق المدرعة والميكانيكية التي كانت تشكل الأنساق الثانية والاحتياط في البناء الدفاعي العراقي، يتم من خلالها سرعة سد الثغرات في الاتجاهات التي تفتقر إلى وجود دفاعات أو قوات عراقية فيها، ويحتمل ان تكون مصدر اغراء لتقدم وهجوم قوات التحالف، مثل المنطقة التي نحن بصددها غرب وادي الباطن جنوب العراق، بل بقيت هذه القوات المدرعة والميكانيكية العراقية في أمكنتها حول البصرة والناصرية مجمدة بلا حراك ومعرضة للقصف الجوي والصاروخي من قبل قوات التحالف، مستعدة فقط للمناورة لشن هجمات مضادة في اتجاه مدينة الكويت وليس في اتجاه الحدود العراقية . السعودية، حتى داهمتها قوات التحالف في مواقعها وحاصرتها وأعملت فيها التدمير.

. أما فيما يتعلق بالعمليات الجوية والدفاع الجوي فإن الخطأ الرئيسي الذي وقعت فيه القيادة العراقية في هذا المجال، هو تخطيطها للاعتماد بشكل أساسي على وسائل الدفاع الجوي الأرضية من بطاريات صواريخ أرض/ جو (سام)، ومدفعيات مضادة للطائرات في توفير الحماية لقواتها المدافعة وأهدافها الجوية من الهجمات الجوية لطيران التحالف، دون استخدام المقاتلات العراقية بشكل مكثف، وكان ذلك من الأخطاء القاتلة التي وقعت فيها هذه القيادة، خاصة وأن ادراكاً مشتركاً كان يسود الجميع حول خطورة عمليات الحرب الالكترونية التي تعتمد عليها شبكة القيادة والسيطرة الآلية ولا سلكية وافساد الحواسب الاكترونية التي كان من المؤكد ان قوات التحالف تشنها ضد وسائل الدفاع الجوي العراقية بما تشمله من اعاقة رادارية ولاسلكية وافساد الحواسب الالكترونية التي تعتمد عليها شبكة القيادة والسيطرة الآلية لنظام الدفاع الجوي، وذلك بواسطة دس الفيروسات فيها، وكلها عوامل واجراءات كان من المؤكد انها ستشل نظام الدفاع الجوي وتهيئ الظروف المناسبة لتدميره بالهجمات الجوية والصاروخية المدعمة بالذخائر الذكية الموجهة جو/ أرض، وهو ما حدث بالفعل منذ الضربة الجوية الأولى.

ومع التسليم بأن التفوق الجوي كان منذ ما قبل الحرب في جانب قوات التحالف، الا ان قرار القيادة العراقية بابقاء ٨٠٠ طائرة تمتلكها في حظائرها خوفاً عليها بينها ٤٠٠ مقاتلة اعتراضية لم تطلقها لتقوم بمهام الاعتراض الجوي وتوفير الحماية الجوية لقواتها وأهدافها الحيوية، حتى تم

تدمير معظمها على الأرض في حظائرها، أو تهريبها إلى إيران لكي تستولي عليها الأخيرة وتعتبرها جزءاً من تعويضات الحرب، وقد ساعد هذا القرار في تحويل التفوق الجوي للتحالف إلى سيادة جوية مطلقة بعد تدمير وسائل الدفاع الجوي الأرضية، وما يعنيه ذلك ضمنياً من إبقاء الأجواء العراقية مفتوحة أمام طائرات التحالف لتمرح فيها وتضرب ما شاءت من أهداف عراقية، وكيفما واينما شاءت، دونما اعتراض من أي وسيلة دفاع جوي عراقية أرضية كانت أو جوية. ولو ان القيادة العراقية خططت لدفع مقاتلاتها الاعتراضية في مهام اعتراض مخططة بكثافة وليس بطائرات فردية كما حدث لكان من الممكن ان تحد من السيادة الجوية التي تمتعت بها طائرات التحالف، طوال الحرب، ولوفرت قدراً من الحماية لقواتها البرية ولأهدافها الحيوية تجعلها قادرة مادياً ومعنوياً على خوض المعركة البرية بكفاءة أكثر مما تم، تلك المعركة التي راهنت القيادة السياسية العراقية عليها طويلاً وحتى آخر لحظة.

تلك كانت عناصر الضعف في الاستراتيجية الدفاعية العراقية على صعيد التخطيط العملياتي، والتي اعطت مؤشراً مبكراً لهزيمة القوات العراقية في الحرب من قبل ان تبدأ.

عاصفة الصحراء

وأهم المتغيرات الاستراتيجية[1]

بقلم: اللواء الركن د محمد كمال عبد الحميد

مضى عام على وقف القتال في حرب تحرير الكويت بعد انسحاب القوات العراقية من الكويت، وستبقى تلك الحرب نقطة تحول رئيسية في مسار الحياة ليس فقط بالنسبة لمنطقة الخليج، بل وانحاء العالم كله الذي تأثر . ولا يزال متأثراً . بمناخ المعركة، وظروفها، ومضاعفاتها والتي ستتسع وتتضح بصورة أكثر من مرور الأيام.

وهناك من يعكف على دراسة وتحليل فصول المعركة وأحداثها سواء من النواحي الفنية "القتالية"، أو من حيث إدارتها وقيادتها وكذلك من حيث مفاجآتها وما كشفته المتابعة للمعركة بعد ان توقف القتال وكيف كان من المحتمل ان تتطور أمور المنطقة كلها وخاصة بعد ان ظهرت اوكار أسلحة الدمار الشامل والتي كان من الممكن ان تجر إلى اتساع مساحة المعركة لو تأخرت.. والى غير ذلك من الاحتمالات والتي كان ظهور مخبوئها كافياً للتحرك الإقليمي، والدولي من أجل

---

[1] الحرس الوطني . الرياض . العدد ١١٥، مارس ١٩٩٢.

الإستعداد المتطور والحتمي على أساس التعاون الإيجابي مع كافة الأطراف التي اسهمت عملياً في انهاء أزمة الخليج بالحسم السريع الفعال.

وكان طبيعياً . بعد حرب تحرير الكويت . ان تكون الاجراءات الوقائية والأمنية والدفاعية كافية بصورة عملية بعد ان شهدت المنطقة خلال عشر سنوات حربين محليتين.. كان شعب الخليج وقودها وضحيتها وبما استوجب الإستعداد الوقائي للردع المبكر لوقف أي مبادرة تمس أو تهدد أمن المنطقة وسلامتها.

أهم دروس حرب تحرير الكويت

هناك العديد من دروس هذه الحرب منها دروس إدارية وأخرى ميدانية واعلامية وتكنولوجية وسياسية ودروس متخصصة بمعنى خصوصيتها الموضوعية: كأمن المعلومات ودقة تداولها، وتحليلها وتصنيفها بعد التأكد من صحتها وخاصة مع تعدد مصادرها وأدواتها ابتداء من المشاهدة البصرية إلى الاستماع إلى قراءة الصور الفوتوغرافية إلى حل رموز الرسائل القمرية الفضائية، ومع تعدد مصادر المعلومات تعددت وتوسعت منطقياً وسائل التدقيق والمراجعة ضماناً لدقة التخطيط الإداري القتالي والإعلامي المترتب على رصيد المعلومات المتاحة.

وهكذا نرى اتساع مساحات التغيير اللازمة والإفادة من دروس المعركة وما فرضته لأول مرة في المنطقة من الواجبات الأمنية سواء على الدوائر الحكومية أو في مستوى الشارع العربي وعلى كل مستويات الإعمار من المواطنين والمقيمين.

وهناك جانب آخر على قدر كبير من الأهمية ويشمل الدروس والمتغيرات العالمية وهي التي نحاول التعرض لها كنتائج مباشرة للمعركة.. فمن الطبيعي ان هناك علاقات مباشرة، وتأثيرات مباشرة افرزتها المعركة وكلها تتعلق بحاضر ومستقبل الحياة العربية في المنطقة الاقليمية، وأيضاً على الساحة الدولية:

أول تلك المتغيرات كان تحريك القضية الفلسطينية وتناولها بأسلوب أو بمنهج حضاري عملي تشترك فيه الأسرة الدولية بصورة عملية حتى ولو بدأت تلك المشاركة متواضعة في بادئ مسيرتها الا انها حققت خلال ثلاثة أشهر ايجابيات مشجعة لم تكن متوقعة من قبل.

فقد تعهدت قيادة التحالف الدولي توظيف قدرتها بعد تحرير الكويت من أجل رعاية كل الجهود للتسوية السلمية للقضية الفلسطينية باعتبارها القضية الأولى للعرب جميعاً.

ولقد كان انعقد مؤتمر مدير في أكتوبر الماضي أو ثمرة وأول تغيير ملموس للتحرك الدولي لمساندة جهود السلام وكسر حواجز العزلة التقليدية بين العرب واسرائيل وفتح المجال للجلوس معاً للمواجهة وحتى للعتاب أو الاتهام تنفيساً للجميع من ضغط الكبت الطويل المتراكم عبر ثمان واربعين سنة متواصلة.

المتغير الثاني يتمثل بالتبكير في عقد مؤتمر دولي لمناقشة القضايا الإقليمية ليكون ذلك دعماً ومساندة للمفاوضات الثنائية الخاصة بالمشاكل المعلقة بين إسرائيل وكل من الأردن والوفد الفلسطيني وسوريا ولبنان وذلك عن طريق اشتراك أطراف دولية من غير دول المنطقة للمساهمة في تذليل كل الصعاب التي تعترض التفاوض الثنائي ولتأكيد حرص الدول التي شهدت مؤتمر موسكو لتنفيذ كل ما يحقق الوفاق.

وكان أول هذه المتغيرات المرئية والمحسوسة عرض تركيا لتوظيف الفائض من مياهها لحل أزمة المياه في الشرق الأوسط باعتبارها أزمة اقليمية ولأنها أصبحت فعلاً أول مشكلة استراتيجية بل وحياتية تواجه إسرائيل بمعنى ان مشكلة الظمأ أصبحت قضية حياة أو موت لإسرائيل بصفة خاصة.

ولعلنا نذكر كيف خططت إسرائيل منذ قيامها لمشروع إسرائيل وفقاً لما وضعه هيرتزل في كتابه للتوصية بهذا المشروع كهدف قومي سنة ١٩٠٤ إذ عليه تتوقف حياة إسرائيل!!

ولأول مرة تعلن إسرائيل رسمياً على لسان رئيس وزرائها في مارس ١٩٩١ عقب وقف القتال في الخليج بأيام قليلة بأنه (شامير) مستعد لفتح ترسانة إسرائيل للتفتيش الدولي والتوقيع على أي وفاق مع العرب بشرط إعادة النظر في توزيع المياه بالمنطقة.

وقد شعر شامير بعد تدفق المهاجرين السوفييت إلى إسرائيل وبعد اتساع حركة الاستيطان وبعد هبوط منسوب مياه نهر الأردن ان أزمة المياه ستزداد تعقيداً مع استمرار التوسع الاستيطاني ولهذا اضطر لإعلان المشكلة وما تعنيه أزمة المياه لاسرائيل.

وفي نفس الفترة اجتمع الرئيس التركي "اوزال" في امستردام مع شيمون بيريز وابدى استعداد تركيا لعرض فائض من مياه الفرات على سوريا مقابل تنازلها عن حصتها من منابع نهر الأردن واليرموك لكل من إسرائيل والفلسطينيين والأردن وبذلك يتيسر لإسرائيل الانسحاب من الضفة والتي تقدم لاسرائيل حصة ضخمة من مياهها الجوفية وهذا هو أهم أسباب التشبث الإسرائيلي بها.

هكذا كان مؤتمر موسكو "دولياً"

من هذا المنطلق اشتركت اليابان ودول المجموعة الأوروبية مع أمريكا وروسيا ومع دول الخليج والمغرب العربي وتركيا وكذا كندا في مؤتمر موسكو الأمر الذي فتح مجالات كثيرة للاجتهادات الدولية لتقدم حلولاً ودعماً وتعديلات في معالجة القضايا الإقليمية لتحتوي ضمنياً متاعب القضايا الثنائية وتقديم التعويضات والبدائل وافساح المجال للتنازلات المتبادلة والمتوازنة بما يكفل مرونة الحلول لكل الأطراف.

إذن كان الاتجاه بالتبكير في عقد مؤتمر القضايا الاقليمية (٢٦ دولة) أحد المتغيرات الجديدة في التحرك الدولي من أجل تحقيق أهم الضروريات الكفيلة باستقرار وتنمية الشرق الأوسط، ومنطقة الخليج خاصة، وأيضاً للتسوية السلمية بين العرب واسرائيل تحت رعاية أمريكا وروسيا وأيضاً بدعم ومساندة من كل أوروبا ومن دول أخرى مثل كندا واليابان والصين.

ولقد كانت تصدر الولايات المتحدة لمجموعة التحالف الدولي التي شاركت في حرب تحرير الكويت مؤيداً باعتراف موسكو لمسؤولية واشنطن وحقها في تلك الصدارة التي استطاعت بها أداء مهمتها في إطار متكامل من الشرعية الدولية والتأييد العالمي بما دفعها إلى الاتفاق مع حلفائها على ضرورة وضع إطار للتسوية لكل القضايا الاقليمية وليس فقط بالنسبة للشرق الأوسط.. فتمت تسوية الموقف في كمبوديا وفي التقريب بين شطري كوريا.. وموافقة كوريا الشمالية على التعاقد مع الوكالة الدولية للطاقة النووية بحقها في التفتيش على ترسانة كوريا الشمالية، وقبلت واشنطن طلب كوريا الجنوبية في الغاء مناوراتها المشتركة تلبية لطلب كوريا الشمالية، والى جانب ذلك وقفت واشنطن إلى جانب موسكو لرعاية الانتفاضة الديمقراطية في شرق أوروبا وفي داخل الاتحاد السوفييتي، وكان دور الولايات المتحدة في حرب الخليج هو الذي اعطاها تلك المهابة السياسية لتنفرد بها في صدارة العالم.

وكانت نتائج حرب تحرير الكويت تفسر عملياً أهمية الديمقراطية في إدارة ومعالجة الأزمات وكيف تنجح الجهود المشتركة إذا احتواها إطار الديمقراطية والمصارحة، وكانت نتيجة الحرب لصالح الديمقراطية والحرية ضد عسف الدكتاتورية التي أطاحت بنظم الحكم في الحكم في أوروبا وفي الاتحاد السوفييتي، وأصبحت ظاهرة الدكتاتورية كثمرة للمتغيرات التي كشفتها واظهرتها نتائج حرب الخليج.

المتغيرات الجديدة داخل أمريكا:

وحتى المجتمع الأمريكي بدأ يدرك المتغيرات التي طرأت عليه بعد حرب الخليج.. وأولها.. ذلك التحرير الكبير للشعب الأمريكي من عقدة الانكسار في حرب فيتنام والتي فتحت ثغرة مدمرة في المجتمع الأمريكي بسبب الهزيمة وما صادفه رجال القوات المسلحة من التعرض للمخدرات وازديادها بين الشباب الذي كان يحارب في غير أرضه لمجرد الصراع بين المذاهب السياسية والايديولوجية إذ لم تكن هناك قضية قومية أو إنسانية مفهومة للشعب الأمريكي ليحارب من أجلها.

وظلت عقدة الانكسار في فيتنام حوالي عشرين سنة حتى تحرر الشعب الأمريكي منها وتحررت القوات المسلحة من العار الذي لحق بها.

وكان طبيعياً ان تتغير دورة الحياة الداخلية بالمجتمع الأمريكي لرفع كفاءة الانتاج ومرافق الخدماتٍ، وبدأت القيادة السياسية بالولايات المتحدة تغير مسارها التصحيحي لزيادة صادرات انتاجها وتحسين موازين التجارة مع اليابان والدول الأوروبية بما اقتضى التغيير في استراتيجية الدولة لتوظيف التكنلوجيا في التنمية بدلاً من أسلحة حرب النجوم وخاصة بعد انفراد الولايات المتحدة بالصدارة للعالم.

وهكذا كان التحول للتنمية أبرز ظواهر المتغيرات التي واجهت الشعب الأمريكي وكذلك كان الموقف أكثر وضوحاً بالنسبة للموقف في روسيا التي واجهت الاختناق المعيشي والضائقة الاقتصادية بعد انهيار الاتحاد السوفييتي والذي كان انهياره بسبب ما انفقه من الميزانيات الدفاعية الموسعة على حساب ميزانيات الإنماء والأمن الغذائي.

وكان من أبرز المتغيرات الاستراتيجية زيادة الاهتمام عالمياً بالأمن الغذائي وتنمية موارد المياه ولعل ما تقوم به المملكة العربية السعودية في هذا المجال، وقد سبقت غيرها فيه، يعطي الأمل لكل دول الخليج في الأخذ بأسس الكفاية الغذائية اولاً وقبل أي شيء لضمان الحد اللازم من أمن المواطن الخليجي غذائياً وصحياً ليتسنى له القيام بباقي الأعباء الأمنية والانتاجية.

تعديل استراتيجيات الفضاء:

وكان من أهم المتغيرات الاستراتيجية التي افرزتها حرب الخليج في العام الأول بعد انتهائها هو ذلك التحول الحاد في استراتيجية الفضاء الأمريكية وذلك بعد ان توقف سباق التسلح وبعد توقيع اتفاقيات الوفاق وبعد الاتجاه العلني لخفض التسلح.. فقد اتجهت الولايات المتحدة إلى توظيف مركبات المكوك الفضائي وباقي الصواريخ الناقلة للأقمار إلى مداراتها بالفضاء من أجل الاستثمار الاقتصادي سواء لنقل المزيد من اقمار الخدمات الاتصالية للمواصلات أو للأرصاد الجوية أو لدراسة الكواكب أو كما حدث مؤخراً في رحلة المكوك ديسكفري للدراسة الطبية والعلمية

بالنسبة لخلايا الاعصاب ولترقيع جسم الإنسان وتجميله ودراسة تطورات علم الوراثة واجراء تجارب عديدة في منطقة انعدام الوزن وبيع نتائج تلك البحوث للجامعات ومراكز البحث العلمي في انحاء العالم.

وهكذا تحولت مركبات الفضاء وتجهيزات حرب النجوم إلى مستلزمات استثمارية كما توسعت الولايات المتحدة أيضاً في بيع الصور الفضائية للدول والمؤسسات التي تطلب صورا خاصة للبحوث الجيولوجية وللدراسات الفضائية بالنسبة إلى تصوير الكواكب.

ولم تعد انجازات الفضاء مسخرة للطموحات الاستراتيجية الأمنية بل تحول معظمها إلى الاستثمار العلمي والاقتصادي.

وبدأت تخفيضات جديدة في السلاح والأهتمام بالبيئة:

وكان من أهم المتغيرات الظاهرة الاتجاه إلى التخفيض الموسع في الترسانات الاستراتيجية وخاصة في أسلحة الدمار الشامل للعناية بالبيئة وحمايتها من التلوث.

وكان أكبر درس من المتغيرات الاستراتيجية بعد الحرب هو موضوع حماية البيئة من خطر الحرائق كما حدث في الكويت وخطر غمر المسطحات المائية بالبترول والمواد السامة.

وأصبحت هذه القضية على رأس جدول أعمال المؤتمر الدولي لمناقشة القضايا الإقليمية على ضوء ما كشفته حرب الخليج في عامها الأول.

الخاتمة

وهكذا تحولت الاهتمامات الدولية بعد حرب تحرير الكويت إلى استراتيجيات الإنماء والإنتاج والوقاية الصحية والتصدي للمخدرات والتنمية المائية والغذائية.. والى التعاون في إطار التكتلات الاقليمية والدولية والعمل الدؤوب للتصفية النووية ولكل أسلحة الدمار الشامل.

ولهذا نقول ان التاريخ سيذكر حجم النعمة الكبرى التي افرزتها محنة الأزمة الخليجية ويبقى لنا نحن العرب المجال للافادة القصوى من تلك المحنة ودراسة العبرة فيها ولنعمل بما أمر الله به ليكون تعاوناً على البر والتقوى.

الفصل الثاني

أهداف واستراتيجيات دول

التحالف

في حرب الخليج

"أميركا، بريطانيا، فرنسا"

وروسيا

بعد عاصفة الصحراء

حرب تحرير الكويت

من وجهة النظر العسكرية الامريكية*

تقرير الكونجرس

وقد تناول التقرير في هذه الجزئية الموضوعات الخاصة بأهمية القيادة الرشيدة، وهي توفر جيل جديد من الأسلحة ذات التقنية العالمية، القيمة النوعية العالية للقوة المسلحة الأمريكية، التخطيط الجيد، وآخرها الوقت الطويل اللازم لاعداد وتحضير القوات، ثم انتهى التقرير بنظرة إلى المستقبل تصور من خلالها الأسلوب الأمثل لإعادة تشكيل القوات المسلحة الأمريكية بما لا يخل بمسؤولياتها تجاه المصلحة القومية والأمن القومي للدولة ولا بمسؤولياتها تجاه الآخرين.

بدأ التقرير موضحاً ان الغزو العراقي للكويت مثل أول تحد سافر للنظام الدولي الجدي بعد انتهاء الحرب الباردة، وأن احراز النصر بقوات التحالف جاء تتويجاً للتعاون الدولي والتكنولوجيا المتطورة والقوى المسلحة المشتركة، كما أنه عكس جلياً القيمة الكيفية لمفهوم القيادة والصبر والشجاعة سواء على المستويات العليا أو في ميدان المعركة، وأن المقاتلين الامريكيين من القوات

* مجلة القوات الجوية . أبو ظبي، العدد ٤٧، مارس ١٩٩٣.

الجوية والبحرية والبرية والمارينز قاتلوا بعيداً عن أرض الوطن تحت اقسى الظروف لدرء الخطر عن منطقة حساسة من العالم وعن المصالح الأمريكية.

لم يترك النصر الذي حققته قوات التحالف بصماته على الآثار العسكرية فحسب بل تعداها إلى الآثار السياسية، ومن هنا نجد ان لحرب الخليج مردودات أصبحت ملموسة على الصعيد العسكري وعلى مجمل الاهتمامات المتعلقة بالأمن القومي الأمريكي في منطقة الشرق الأوسط ستبقى قائمة لسنين عديدة قادمة.

أصبحت الولايات المتحدة الأمريكية، ودول منطقة الخليج وباقي دول العالم أكثر أمناً بعد سلسلة الأحداث التي مرت بها منطقة الخليج بدءاً من رسوخ يقين الرئيس الأمريكي بأن الاعتداء العراقي على الكويت لن يستمر طويلاً، واجماع دول التحالف على حتمية الدفاع عن مصادر البترول وتحرير الكويت، وتحجيم القدرة العسكرية والنووية العراقية وارساء الأسس التي يجب ان يبنى عليها السلام الدائم بين دول المنطقة، ومن الدروس المستفادة لحرب الخليج ان الجهود\ والتضحيات التي بذلت في عمليتي "درع الصحراء" و"عاصفة الصحراء" تتطلب منا أن نعمل على تنمية قدراتنا وتعزيز نقاط القوة التي حققناها خلال الحرب.

النصر العسكري على القوات العراقية:

جاء في سياق التقرير ان العراق كان يمتلك أكبر رابع قوة عسكرية في العالم وقد تم تنميتها خلال سنين الحرب ضد إيران حيث قتل فيها عدد بلغ مئات الآلاف من الجنود الايرانيين بتطبيق نفس الخطة الدفاعية التي اتبعتها القوات العراقية في الكويت، فقد امتلك النظام العراقي قوة هائلة من المدفعية بمختلف عياراتها والدبابات (تي ٧٢) والطائرات (أم. آي. جي. ٢٩) و (ميراج اف . ١) وصواريخ بالستية ومؤسسات لانتاج الأسلحة البيولوجية والكيماوية، وعدداً هائلاً من عناصر الدفاع الجوي المتطورة، وأدرج مهندسوه العسكريون ضمن أفضل مهندسي العالم وهم الذين أمضوا شهوراً عديدة في إقامة وبناء الدفاع في العراق والكويت، ورغم ذلك فقد هزمت القوة المسلحة العراقية هزيمة نكراء خلال ستة أسابيع هي كل عمر الحرب على يد القوة المسلحة الأمريكية ومعها باقي دول التحالف بأقل قدر من الخسائر.

سادت قوات التحالف مسرح الحرب براً وجواً منذ البداية، فقد عززت القوة البحرية للدول المتحالفة قرار الأمم المتحدة بفرض الحصار على العراق وذلك باعتراض وتفتيش السفن المتجهة إلى المنطقة وتحويل مسارها إذا لزم الأمر، كما سيطرت القوة الجوية على الأجواء منذ بدء الحملة الجوية موفرة للقوات البرية والبحرية حرية العمل دون أي تدخل جوي عراقي بما فيها طلعات

الاستطلاع الجوي، كما قامت القوة الجوية باسقاط ٤١ طائرة وعمودية عراقية في الجو دون تعرض أي من طائراتها لفقد مؤكد أثناء القتال الجوي، علاوة على ذلك فقد كان لها الدور الرئيسي في شل نظام القيادة والسيطرة العراقية وتدمير أسلحته غير التقليدية، وهي التي أفقدت القوات العراقية كفاءتها القتالية، ومهدت الطريق لبدء الحملة البرية التي اكتسحت القوات العراقية في الكويت خلال ١٠٠ ساعة قتال، ويعتبر هذا واحداً من أسرع التحركات بهذا الكم من القوات في تاريخ المعارك منفذة بذلك ما سمي في ذلك الوقت بالضربة (الخطافية اليسرى) التي بها تم تطويق أفضل ما لدى القوات العراقية على الإطلاق وهي قوات الحرس الجمهوري، ويمكن تصور ما حدث بمعرفة خسائر العراق التي بلغت حوالي ٣٨٠٠ دبابة دمرت جميعها بالهجمات الجوية والبرية، أما خسائر القوات البرية الأمريكية فكانت ١٥ دبابة فقط.

لم تهزم قوات التحالف النظام العراقي فحسب بل أيضاً أهدافه التوسعية، وقد أكدت نتائج الحرب أنها نفذت مهامها تحت أفضل الظروف العملياتية التي تمثلت في قوتها الهائلة مستغلة أسوأ الظروف التي كانت تعمل في ظلها القوات العراقية ونتيجة لهذا التباين دحرت الاستراتيجية السياسية والعسكرية اللتان تبناهما النظام العراقي قبل وأثناء إدارته اللازمة.

بالرغم من محاولات النظام العراقي ارهاب جيرانه من دول الخليج فقد رحبت هذه الدول بالمساعدة الخارجية لإنهاء الأزمة، ولم تنحز إليه معظم الشعوب العربية عدا البعض اليسير منها، ولم يحقق هدفه حين امتنعت إسرائيل عن الرد عليه بعد توجيه العديد من الضربات الصاروخية إليها، واضعة في رأس أهدافها عدم تحويل مسار الحرب لتكون بين العرب واسرائيل كما لم يوقف تحركنا تجاه الأزمة تهديده بأن خسائرنا في الأرواح ستكون جسيمة، ولم يوقف تصميمنا أخذه الرهائن، ولم تفده استعداداته الدفاعية على أرض الكويت في تحقيق الخسائر الجسيمة التي توقعها في قواتنا، كما أفشلت السعودية الهجوم على مدينة الخفجي في نهاية شهر يناير في تحقيق أهدافه الاستراتيجية، خلاصة القول ان الحرب التي خاضها العراق لم تسفر فقط عن هزيمته، بل أيضاً عن فشله في احراز المبادأة في أي من مراحل الحرب وان النظام العراقي استمر في غيه غير مقدر لمدى الإدانة التي لحقت به ولا مدى التفوق الكمي والنوعي الذي حققته القوة العسكرية لدول التحالف.

الآثار السياسية المترتبة على نتائج حرب الخليج:

ترتب على هزيمة العراق العديد من الآثار السياسية الهامة والإيجابية، وهي تتعلق بمنطقة الخليج ودور الولايات المتحدة الأمريكية في العالم، لقد تحققت الأهداف الاستراتيجية التي حددها

الرئيس الأمريكي في الخامس من أغسطس ١٩٩٠ فتحررت دولة الكويت وتحقق أمن المملكة العربية السعودية ومنطقة الخليج وأحبطت النوايا العراقية للهيمنة على مصادر انتاج البترول في منطقة الخليج ووقف التهديد العسكري لدول المنطقة ودمرت المؤسسات البحثية والانتاجية وباقي الصناعات المكملة في مجالات عمل الصواريخ البالستية والأسلحة النووية والكيماوية والبيولوجية، فضلاً عن استمرار لجان التفتيش التي بدأت بعد الحرب في البحث عن وتفكيك وتدمير نظم التسليح هذه.

وبالرغم من كل ذلك فلا يزال النظام العراقي باقياً على رأس السلطة لكن بنفوذ سياسي مشلول ورؤية مستقبلية غير واضحة، وأصبح منبوذاً على مستوى العالم مؤملاً ان يتبعه بعض الدول العربية والإسلامية ذات الميول المناهضة للغرب، وقد يشكل حينئذ بعض الخطورة، لكنه في النهاية فقد المعيته وتبجحه.

بالرغم من ذلك علينا ان نتذكر ان أزمة الخليج افرزت العديد من الحقائق، فلولا استجابة الولايات المتحدة الأمريكية والأمم المتحدة لأحداث الخليج بعد غزو العراق لدولة الكويت، لأصبح العالم الآن في موقف أكثر خطورة وفقدت الولايات المتحدة الأمريكية مصداقيتها بين العديد من الأصدقاء الحريصين على مصالحها في الخارج، وتعرضت دول منطقة الشرق الأوسط إلى مزيد من التهديد وفي حالة ما إذا بقي الاحتلال العراقي لدولة الكويت لتضاعفت موارده الاقتصادية وتضخمت قدراته العسكرية وهذا في حد ذاته سيساعد النظام العراقي على زيادة قدراته النووية والكيماوية والبيولوجية ويمكنه من تطوير الصواريخ أرض أرض لتصبح ذات مدى أكبر وأكثر خطورة على ما حوله من الدول وسيصير مثالاً جشعاً وأكثر تبجحاً، ومثلاً سيئاً قد يغري بعض الدول على السير في نفس الدرب، فضلاً عن ان نجاحه في تحدي الولايات المتحدة والأمم المتحدة سيجعل منه البطل الأسطوري القادر على تجميع عدد من الدول تحت لوائه.

باحتلال النظام العراقي لدولة الكويت أصبحت المملكة العربية السعودية ومصادر البترول فيها أكثر تعرضاً، وحتى لو لم يتحرك نحوها بصورة مباشرة فإن وجود قواته على حدودها يشكل في حد ذاته تهديداً لها ولمصالح الولايات المتحدة الأمريكية في المنطقة، وكان في مقدور القوة العراقية بمجرد وصولها إلى منطقة الحدود الواقعة بين دولة الكويت والسعودية حيث يقع هناك أكبر احتياطي للبترول في العالم أن تتحرك بسرعة جنوباً على الساحل السعودي لاحتلال المنطقة الشرقية الغنية بمصادر البترول ومن ثم تهديد باقي دول الخليج، وفي حالة ما إذا استطاع ان يسيطر على الموانئ السعودية الواقعة على الخليج إنه من الصعوبة بمكان استعادتها بالعمليات

العسكرية حيث ستكون مكلفة للغاية، وحتى لو لم يحتل النظام العراقي المنطقة الشرقية للسعودية فإنه سيهدد بالهيمنة على معظم احتياطي البترول في العالم وعلى العديد من مصادر انتاجه، وسيعطيه القدرة على التأثير سلباً على امداد العالم بالبترول والتحكم في اقتصاد الدول الصناعية الأمر الذي يمكنه من استثمار العائد الاقتصادي والعائد السياسي بالإضافة إلى عوامل أخرى لزيادة قدراته التكنولوجية وتطوير امكاناته النووية والبيولوجية والكيماوية وبرامج الصواريخ البالستية.

مع اقتراب انتهاء تاريخ المهلة الأخيرة التي حددتها الأمم المتحدة في الخامس عشر من يناير ١٩٩١ بضرورة انسحاب النظام العراقي من الكويت، توقع البعض احتمال تأجيل استخدام القوة، ونحن نؤكد أننا لا نستخدم القوة الا إذا بقيت هي فقط الورقة الأخيرة التي يمكننا بها تحقيق أهدافنا، وفي نفس الوقت لا ننسى ان هناك مواقف لا تحلها الا القوة، ففي شهر يناير ١٩٩١م كنا قد منحنا النظام العراقي جميع الفرص المتاحة للانسحاب سلماً من أرض الكويت متجنبين مخاطر وويلات الحرب، ووقف اصدار قرارات الامم المتحدة، ولكن ضرب النظام العراقي عرض الحائط بكل ذلك أصر على الإحتفاظ بالكويت وعدم الانسحاب.

أدت قرارات الأمم المتحدة التي صدرت بشأن أزمة الخليج وخاصة المتعلقة بالحصار البحري والجوي إلى أضعاف القوة المسلحة العراقية بشكل عام والقوة الجوية بصفة خاصة، وكان التأخير في استخدام القوة لغير صالح الكويت وقوات التحالف، فالتأخير أكثر مما يجيب سيترك القليل من الكويت لتحريره، بالرغم من اكتمال القوة القادرة من دول التحالف على تحقيق الهدف وفق الخطة المقررة، كما سيتيح التأخير وقتاً كافياً للنظام العراقي لممارسة المزيد من الإرهاب واتخاذ اجراءات أشد ضد حقول البترول ومضاعفة دفاعاته داخل الأراضي الكويتية، مما كان سيضاعف من صعوبة تقدم القوات البرية، كما أن التأخير قد يتيح للقوات العراقية فرصة استقراء خطة التحالف البرية لتحرير الكويت فتزيد من دفاعاتها في ناحية الغرب، والأدهى من ذلك هو اعطاؤه مزيداً من الوقت لتطوير اسلحته الكيماوية والبيولوجية والنووية، وطالما أظهر النظام العراقي عدم النية في الإنسحاب من الكويت إلا إذا أجبر على ذلك كان علينا نحن ان نحدد الوقت الذي يناسبنا لبدء القتال.

من المؤسف ان المعاملة الوحشية التي مارسها النظام العراقي ضد شعبه والتي بدأت من فترة طويلة قبل الحرب، لا زالت قائمة حتى وقتنا هذا، لذا فإن العالم يتمنى زوال هذا النظام في أقرب وقت ممكن، وعلى كل فقد تم تحرير الكويت وتراجعت الأطماع العراقية الممتدة في منطقة الشرق الأوسط وشلت لتصبح عاجزة عن الإستيلاء على مصادر بترولية جديدة، واحبطنا خططه

للتحضير لحرب نووية ضد إيران أو المملكة العربية السعودية أو إسرائيل أو أي دولة أخرى يمكنها الوقوف في وجهة، حيث سيصبح من الصعب علينا أن نتوقع الى أي مدى قد تصل إليه هذه الحرب، ولكن بما اكتشفناه بعد الحرب عن برامجه الخاصة بأسلحة التدمير الشامل يجعلنا نؤكد أنه كان يدبر لشن عدوان آخر على مستوى أكبر وبأسلحة أكثر فتكاً.

لقد أسفرت حرب تحرير الكويت عن نموذج جديد للتعاون الدولي خاصة وأن توقيته تزامن مع بدء عصر ما بعد الحرب البادرة، فإضعاف القوى القائمة على الإرهاب والعنف والراديكالية فتح أبواباً وفرصاً جديدة لإقامة السلام بين العرب واسرائيل املاً في استمرارها انطلاقاً من مؤتمر مدريد، وهذا جزء من إطار أكبر لديناميكية التغير الذي طرأ على المنطقة، كما يجب الا ننسى أنه لم يكن من قبيل الصدفة ان يتم تحرير الرهائن في لبنان بعد ان عانينا من ذلك أمداً طويلاً، وتحققت الأهداف التي حددتها الأمم المتحدة حين قررت استخدام القوة لتحرير الكويت،وهذا في حد ذاته درس ستعيه جيدا دول قامت على العنف، الأمر الذي به ستفكر مرتين قبل القيام بعمل تشويه أية شبهة، وإذا تحقق ذلك ستعيش الدول الصغرى في ظروف أكثر أمناً وسلاماً وطمأنينة.

لقد أدى النصر الذي احرزته الولايات المتحدة الأمريكية ومعها قوات التحالف في حرب الخليج إلى أنها أصبحت بعد الحرب البادرة أكثر مصداقية في نظر باقي دول العالم، كما أثبتت أنها قادرة على تصحيح الأخطاء الفادحة وحماية مصالحها الوطنية، ومع تفكك الإتحاد السوفييتي القديم فإن نصر حرب الخليج وضعها في موقع أقوى بكثير مما كان خصوصاً في مجالس القيادة والنفوذ.

كانت الحرب ضرورة لنا لمعرفة مستوى أداء قوتنا المسلحة ومتطلباتنا الدفاعية المستقبلية، ففي اليوم الثاني من أغسطس ١٩٩٠م وهو نفس يوم غزو النظام العراقي لدولة الكويت كان الرئيس بوش يقدم للمرة الأولى الاستراتيجية الدفاعية الجديدة لعام ١٩٩٠ وما بعدها، والتي أخذت في الإعتبار التغيرات الهائلة التي حدثت في شرق أوروبا والإتحاد السوفييتي القديم، والرؤية الخاصة بخفض القوات وميزانية الدفاع، وقد كان أحد ملامحها التركيز على التهديدات الإقليمية مثل أزمة الخليج بدرجة أكبر من المواجهات التقليدية بين دول العالم.

ستظل الاستراتيجية الجديدة وحرب الخليج متلازمتين طالما نحن بصدد اتخاذ القرارات للمستقبل، كما أننا في حاجة إلى النظر من خلال اتخاذ القرارات للمستقبل كما أننا في حاجة إلى النظر من خلال عمليتي درع الصحراء وعاصفة الصحراء لاستقراء متطلباتنا العسكرية ليس فقط

لسنين عديدة بل لمرحلة قد تصل الـ ٣٠ سنة القادمة نحن في حاجة إلى معرفة أسباب نجاحنا، ونقاط قوتنا وضعفنا، وما يجب ان نحميه وما يجب ان نحافظ عليه في قوتنا المسلحة.

يجب ان نعلم ان هذه الحرب مثل كل الحروب لها خصائصها الفريدة التي تميزت بها ويمكننا الاستفادة من كل منها، وهناك العديد من الأمثلة التي يمكن ان نوردها، منها مثلاً الفترة الزمنية الطويلة التي تم فيها فتح وتحضير القوات، والتي قد لا تتيسر في المستقبل،كما استفدنا من موقف العراق الذي كاد يكون معزولاً تماماً عن العالم لدرجة انه كان غائباً عن معرفة القدرة العسكرية الهائلة التي كان سيواجهها بعد قليل، وفي نفس السياق لا ننسى المساعدات الكبيرة التي تلقيناها من الدول الصديقة التي استضافت قواتنا مستندين فيها على بنية أساسية متطورة، والعمل في مثل هذه الظروف المواتية والإمكانات المتاحة قد لا يتحقق في المستقبل.

كان توقيت الحرب منساباً لنا، فقد استفدنا من تواجد قواتنا منتشرة وفق الخطط التي كان معمولاً بها في زمن الحرب الباردة والتي انتهت بتقلص التهديد السوفييتي لأوروبا الغربية، ولولا ذلك لما كان في مقدورنا تحريك قوات الفيلق السابع الأمريكي من ألمانيا إلى المملكة العربية السعودية، كما استفدنا أثناء الفتح إدارة العمليات من تواجد القواعد الجوية والأمريكية الموزعة في جميع أرجاء العالم والتي تم انشاؤها في زمن الحرب الباردة، فنسبة كبيرة من طائرات النقل القادمة من الولايات المتحدة الأمريكية إلى منطقة الخليج هبطت في العديد من المطارات المجهزة جيداً، ومنها (رين . مين) في ألمانيا ومطار (تعوريجون) في اسبانيا، والتي لولاها كان من الصعب توفير الإسناد الإداري اللازم لهذه الطائرات، كما استخدمت القوة الأمريكية التي عملت في تركيا القواعد الجوية التابعة لحلف الناتو، وبالإضافة إلى ذلك استخدمت القاذفات الاستراتيجية (٥٢ بي) قواعد جوية في بريطانيا ودول أخرى والتي بدونها كان على هذه الطائرات الطيران لمسافات أطول لتنفيذ مهامها.

علينا كذلك أن نتذكر ان قدراتنا القتالية الحقيقية لم تختبر بالقدر الكافي في عمليتي "درع الصحراء" و"عاصفة الصحراء"، فلم يكن هناك غواصات تهددنا ولم تتعرض سفن دول التحالف لأي عمليات مضادة تذكر، ولم نواجه أي هجمات ضد قواتنا وهي في الطريق من الولايات المتحدة الأمريكية أو من أوروبا إلى منطقة الخليج، ولم تتعرض القوات أو الموانئ أو عناصر الإسناد المختلفة لأي هجمات جوية، ولم يستخدم النظام العراقي اسلحته الكيماوية أو البيولوجية بالرغم من اهتمامنا البالغ بهذا الأمر، كما لم تختبر وسائلنا البرمائية بالرغم من قيامها ببعض العمليات الخداعية المؤثرة، الا انها لم تعمل على مستوى كبير ولم تتعرض لأي تهديد ناري يذكر، كما لم

تقاتل قواتنا البرية المدة طويلة ولم تكن الصواريخ أرض . أرض العراقية دقيقة الإصابة بقدر كاف، ولم يكن هناك أي تدخل ضد النظم الفضائية المستخدمة في الحرب موقف كهذا يجعلنا نقف لنفكر فيما حققناه واضعين في الإعتبار انه تحقق في ظروف خاصة تميزت بها فقط حرب الخليج.

والأكثر أهمية من ذلك هو أن خصومنا سيقومون بدراسة ما حدث في حرب الخليج بدقة لا تقل عن ما نقوم به نحن الآن، وسيضعون هم أيضاً أيديهم على الأخطاء التي اقترفها النظام لتلافيها، وقد يكون ما حدث في الخليج رادعاً لمن تسول له نفسه في المستقبل ولكن قد يجد البعض الآخر انه قادر على تحقيق ما لم يستطع النظام العراقي تحقيقه، وعلى سبيل المثال قد يرى ان نتيجة الحرب كانت ستتغير إذا ما وجه العراق ضربة نووية مسبقة مع بدء أعمال القتال، أو استمر في عملياته بعد احتلال الكويت بغزو المملكة العربية السعودية دون توقف أو امتلك صواريخ بالستية أكبر واكثر تطوراً أو كان يجب ان يستخدم ما لديه من الأسلحة الكيماوية أو البيولوجية.

لقد تعلمنا الكثير من الدروس خلال هذه الحرب، لذا نحتاج إلى وقفة لنرى تلك الأمور التي سارت بصورة جيدة والأخرى التي كانت عكس ذلك، فقد كان من المفروض ان نستخدم سفناً متعددة الأحجام والمهام، ووجدنا انه لم يكن متوفراً لدينا ما يكفي من معدات النقل الثقيل أو المركبات التي يمكن بها تقديم الاسناد الإداري والمادي إلى الوحدات الفرعية، وان المعدات المتطورة احتاجت إلى مزيد من العناية الفائقة لصيانتها وتشغيلها في الأجواء الصحراوية، ولم نكن قادرين بقدر كاف على تطهير الألغام على البر وفي البحر خصوصاً في المياه الضحلة، وهذا في حد ذاته فرض تكاليف اضافية باهظة لاستخدام البرمائيات على نطاق واسع، وبالرغم من اسراعنا في توفير نظم فضائية لتحديد الموقع الا اننا محتاجون إلى المزيد منها، كما لاحظنا في مجال المعلومات ان نوايا الجانب العراقي والروح المعنوية للقادة والأفراد غائبة تماماً عن علمنا، فالقادة على جميع المستويات في أرض المعركة يحتاجون إلى المزيد من الاستطلاع التكتيكي لزيادة قدرتهم على تصور ما يجري من أحداث تؤثر على سير أعمال القتال، كما وجدنا صعوبة في معرفة نتائج أعمال القتال وتقدير خسائر العدو واستخدمنا الصواريخ البالستية التكتيكية لكن نتائجها كانت غير مرضية، ولم نكن مستعدين مع المجال، ومثلما حدث من قبل في جميع الحروب السابقة حدثت بعض الخسائر بنيران الأصدقاء بالرغم من استخدامنا أفضل وأحدث المعدات.

من خلال العديد من الدروس المستفادة التي خرجنا بها من هذه الحرب هناك خمسة منها هي الأهم، الأول هو القيادة المتميزة لرئيس الولايات المتحدة الأمريكية الذي وضع الاهداف

الواضحة المطلوب تحقيقها والتي أعطت الآخرين الثقة واستطاع بها حشد جهود جميع دول العالم، والدرس الثاني هو توفر جيل جديد من الأسلحة ذات التقنية العالية الممزوجة بالعقدية القتالية الحديثة هيأ لقواتنا جميع أسباب الغلبة، والثالث هو المستوى الراقي الذي وصل إليه القادة وباقي الرتب الأخرى من رجال ونساء في قواتنا المسلحة وهم الذين اتسموا بالشجاعة والإستعداد والتدريب الجيد والإنضباط مما جعل تحقيق النصر ممكناً، والرابع هو أهمية تواجد عناصر من قواتنا المسلحة في مناطق متقدمة من العالم مع توفير قدرات عالية من وسائل النقل الجوي والبحري الاستراتيجي لتحقيق سرعة الفتح بقوات يعتمد عليها في الأزمات والدرس الأخير هو أننا استغرقنا وقتاً طويلاً في بناء قواتنا المسلحة والنظم التي مهدت لنا في النهاية الطريق إلى نصر، وقد تحتاج منا هذه الدروس إلى وقفة أطول لرؤية ما تضمنته تفصيلاً على النحو التالي:

القيادة:

كانت إدانة الرئيس بوش لغزو العراق لدولة الكويت هي المرتكز الذي بنيت عليه عملية لم شمل دول التحالف، وانسجمت على أنغامها جميع ردود الفعل حتى تحقيق النصر، ونتيجة للالتزام الذي أخذه على نفسه بتحرير الكويت حتى لو كان بالقوة إذا لزم الأمر، فقد تحمل الكثير من الانتقادات فيما يختص بتعرض هيبة الولايات المتحدة الأمريكية وقوتها المسلحة للخطر، وبالرغم من أنها هي نفسها التي ساهمت في تخطي عقبات المعارضة التي توقعت أننا سنفقد الآلاف من جنودنا، والبعض الآخر حذر من أننا حتى لو كسبنا الحرب فإن العرب سيتحالفون ضدنا، وفي النهاية وبالرغم من كل ذلك صمم الرئيس على قراره ولم يتراجع.

لقد أثبتت هذه الأزمة ان آباءنا تركوا لكرسي الرئاسة ميراثاً لولاه لما توفر للرئيس السلطة الكافية لحسم الأمور، فحينما جد الجد قام الكونجرس بمؤازرة الرئيس بالقدر الكافي من المساندة حتى ينفذ سياسته، ومع ذلك كان يمكن لهذه السياسة الا تخرج إلى النور لولا القدرة الشخصية المتميزة للرئيس بوش والإدارة التي عملت معه.

والجدير بالذكر ان ننوه هنا إلى تعرض الرئيس إلى موقفين لا يحسد عليهما خلال الأيام الأولى بعد غزو النظام العراقي لدولة الكويت، فقد أعلن الرئيس حينئذ ان احتلال أرض الكويت لن يستمر، في هذا الوقت لم نكن متأكدين من قبول الملك فهد مساعدتنا لإخراج النظام العراقي من أرض الكويت وفي نفس الوقت كنا نعلم أنه بدون تعاون المملكة العربية السعودية كان من الصعب وسيكلفنا كثيراً ما حققناه بعد ذلك، فالقرار السعودي بقبول مساعدتنا لم يبنى فقط على التقييم الحقيقي لصعوبة الموقف بل أيضاً على الثقة في مصداقية عرض الرئيس بالمساعدة، وبدون هذه

الثقة نرى ان مسار التاريخ كان يمكن ان يتجه بأزمة الخليج إلى نهاية أخرى، اما الموقف الثاني فقد حدث في شهر نوفمبر ١٩٩٠، عندما اصدر الرئيس بوش توجيهاته بمضاعفة حجم القوات الأمريكية في الخليج بهدف تعزيز القدرات القتالية الهجومية للقوات المتحالفة وقد ارتكز هذا القرار على أحد المبادئ الهامة وهو انه إذا ما قررت الولايات المتحدة الأمريكية ان تحارب عليها ان تجهز القوة الكافية والقادرة على تحقيق المبادأة مع بدء القتال والمحافظة عليها طوال الحرب، وفي نفس الوقت عدم الإنزلاق بقواتها في حرب طويلة الأمد ليس فيها منتصر ولا مهزوم، لذلك لم يوفر الرئيس لقواته الوسائل اللازمة لاحراز النصر ومعها جميع اسناداتها فحسب، بل أيضاً حدد لها أهدافاً واضحة ودقيقة يمكن على ضوئها التحضير الواعي المتكامل، كما سمح لها بحرية التخطيط دون أي تدخل خارجي وفق أفضل الإحتمالات التي قدرها المتخصصون في إدارة الحرب حسبما تراءى لهم، وقد مكن هذا القرار القوة المسلحة الأمريكية من تقديم أفضل ما عندها، حيث انعكس ذلك على حجم الخسائر التي منيت بها بعد ذلك والتي أتت أقل بكثير مما كان متوقعاً.

كما لعبت القدرة الدبلوماسية الشخصية للرئيس الأمريكي وعلاقاته المتميزة بجميع زعماء العالم دوراً رئيسياً في صياغة الوحدة السياسية لدول التحالف والتي على أساسها تمكنت من ترجمة المعايير السياسية والإقتصادية التي تبنتها الأمم المتحدة ودول التحالف إلى قدرات قتالية، ويجدر بنا هنا ان نضع في الإعتبار انه نادراً ما حدث اجماع دولي على إدانة أي عدوان وقع من قبل.

ومع ان قيادة الرئيس بوش كانت هي النواة التي دارت حولها جميع التحركات بعد ذلك إلا أننا لا ننسى ان نجاحها ارتكز كذلك على قوة وحكمة الكثير من قادة دول التحالف، فقد كان لمارجريت تاتشر رئيسة وزراء بريطانيا دور معارض للغزو منذ البداية، والملك فهد وباقي زعماء دول الخليج . البحرين، قطر، الإمارات العربية المتحدة، وعمان . تصدوا جميعاً بكل ثقلهم لمواجهة الخطر، كما سهم الرئيس المصري مبارك في تجميع قوى التحالف العربي واشترك في الحملة البرية بحجم كبير من قواته، وقطع الرئيس التركي أوزال خطوط أنابيب البترول القادمة من العراق وسمح لقوات التحالف بمهاجمة الاهداف العراقية انطلاقاً من قواعدها من تركيا بالرغم من علمه بالخسائر الإقتصادية التي قد يمنى بها والمخاطر بالتعرض لعلميات عسكرية قد يوجهها العراق ضد أهداف تركية، كما استمر ميجور رئيس وزراء بريطانيا بعد تاتشر في تقديم أقصى ما استطاع من دعم للقوات المتحالفة سواء سياسياً أو عسكرياً، كما ساهم رئيس فرنسا فرانسوا ميتران بالإشتراك المؤثر بالقوات ضمن تجمع التحالف الدولي، كما ساهم حلفاؤنا في أوروبا بمساعدتنا على سرعة فتح القوات بالسماح لنا باستخدام موانئهم البحرية ومطاراتهم، كما يسروا لنا أولوية استخدام السكك

الحديد، ولا ننسى دولاً من مناطق أخرى في العالم أـ تضمنت افريقيا، شرق آسيا، جنوب آسيان الباسفيك شمال وجنوب أمريكا وشرق أوروبا . اعتبرت ان تحرير الكويت هي قضيتهم الشخصية، كما مثلت ادانتهم للغزو أحد المرتكزات الرئيسية في تحقيق النصر، وان توافق استجابتهم مع الأمم المتحدة مكنتهم من اصدار القرارات التي أدت إلى منع العراق من استيراد متطلباته اللازمة لتطوير قوته المسلحة والضغط على قيادته بضرورة الإنسحاب من الكويت، لقد تغيرت نظرة دول التحالف للموقف عن ذي قبل حيث أصبحت أكثر تفاؤلاً بعد تقارب العلاقة بين الرئيس بوش والرئيس جورباتشوف، فلو تم الغزو العراقي لدولة الكويت في زمن الحرب الباردة لأدى ذلك إلى مواجهة بين القوتين الأعظم، لكن الذي حدث هو العكس تماماً، فقد استطاع الرئيس بوش ان يكسب قبول الإتحاد السوفييتي بالتعامل مع الأزمة من خلال روح ما بعد زمن الحرب الباردة، لذلك لم يحاول الروس احباط الاجراءات الأمريكية لتزكية القرارات التي اتخذتها الامم المتحدة بشأن الغزو، فلم تعد هذه القرارات واقعة تحت تأثير الخصومة التي كانت قائمة بين الدوليتين، الأمر الذي بناء عليه استطاعت الامم المتحدة تحقيق أعظم نجاحاتها حتى هذا الوقت حيث أمكنها للمرة الأولى منذ غزو كوريا الشمالية لكوريا الجنوبية في يوليو ١٩٥٠م إصدار قرارها باستخدام القوة للرد على العدوان العراقي على الكويت.

كما كانت للقيادة القوية أحد العوامل الهامة التي بسببها أمكن توفير الموارد المالية اللازمة للحرب، فقد ساهمت مع الولايات المتحدة الأمريكية كل من المملكة العربية السعودية بقسط مالي كبير، دولة الإمارات العربية المتحدة، اليابان، ألمانيا وكوريا الجنوبية وغيرها من الدول.

عموماً، نجاح رد الفعل العالمي تجاه أزمة الخليج يرجع إلى القدرة القيادة للرئيس بوش حيث تصدى بصلابة منذ بدء عملية الغزو ومن ورائه القوة المسلحة الأمريكية مما أقنع المملكة العربية السعودية وباقي دول الخليج بأنها قادرة على مواجهة التهديدات العراقية، وان اتفاق أعضاء التحالف تم انطلاقاً من التزام الولايات المتحدة الأمريكية ومصداقيتها المبنية على قدرتها العسكرية واستعدادها بالقيام بالكثير بمفردها إذا لزم الأمر، كما استطاع الرئيس اياً دعوة الآخرين ليقدموا ليس فقط الإسناد السياسي للأمم المتحدة بل أيضاً عناصر من قواتها المسلحة والموارد المالية اللازمة لقوات التحالف.

توفر جيل من الأسلحة ذات التقنية العالية:

الدرس الثاني من دروس حرب الخليج هو أن النظم التكنولوجية المتقدمة زادت من قدرات قوتنا المسلحة زيادة كبيرة، وقد أثبتت هذه الحرب بشكل مثير الإمكانات الجديدة لما يطلق عليه

(الثورة التكنولوجية في استخدام القوة المسلحة) فقد أحاطت بالعديد من المجالات منها الأسلحة التي تطلق من بعد بدقة فائقة المستشعرات المتطورة، طائرات ستيث ذات القدرة على اختراق الاجواء المعادية دون اكتشافها والصواريخ البالستية التكتيكية أرض . أرض، فاستخدام هذه التكنولوجيا وغيرها سيغير من طبيعة الحروب في المستقبل مثلما حدث قديماً بعد اختراع الدبابة والطائرة وحاملة الطائرات.

لقد تم منذ بداية الحرب اختبار النظم والأسلحة الحديثة، وفي كثير من الأحيان تم استخدام العديد منها للمرة الأولى، وعلى نطاق واسع، وفي أحيان أخرى تم التوسع في استخدام أسلحة سبق ان استخدمت لكن على نطاق ضيق فعلى سبيل المثال فإن الذخائر دقيقة التوجيه ليست جديدة حيث استخدمت في حرب فيتنام عام ١٩٧٢ لمهاجمة الجسور في هانوي بعد ان صمدت قبل ذلك للعديد من الهجمات الجوية بذخائر قديمة وان استخدام تلك الذخائر على نطاق واسع في حرب الخليج يشكل مرحلة جديدة من مراحل إدارة الصراع المسلح عبر التاريخ.

لقد عملت التكنولوجيا الحديثة على زيادة الكفاءة القتالية لقواتنا في أرض المعركة فالاسلحة الجديدة مثل الدبابة (١ . أ ١ أ) والنفاثة (بي ٨ . أ في) والعمودية (APACHE)، وكذا النظم الفرعية مثل النظم المتقدمة للسيطرة على النيران، نظم تحديد الموقع، وسائل الرؤية الليلية، والوسائل الحرارية، كلها وفرت لقواتنا المزيد من حرية المناورة ودقة الوصول وتدمير الأهداف المخصصة قبل إجراء أي رد فعل مؤثر من قبل العدو.

كما رأت حرب الخليج الإستخدام الأول للصاروخ باتريوت في دور الدفاع التكتيكي أرض . جو، أما بالنسبة للصواريخ أرض . أرض فلم تكن هي الحرب الأولى التي استخدمت فيها وليس متوقعاً ان تكون الأخيرة، فكانت من وجهة نظر النظام العراقي هي الورقة الرابحة التي ظن ان يحقق بها أهدافه الاستراتيجية خصوصاً حينما وجه صواريخ (سكود) ضد إسرائيل، بينما (باتريوت) هي التي أحبطت نتائج هذه الصواريخ، وعلينا ان نتوقع انه سيتوفر لبعض دول العالم الثالث في المستقبل صواريخ أرض . أرض من نوعيات أكثر تقدماً بعضها برؤوس كيماوية أو بيولوجية، كما ينتظر ان يتوفر لديها أنواع متقدمة من الصواريخ البالستية أرض/جو ومنصات اطلاق متحركة أكثر تطوراً وعلينا نحن ان نفكر في كيفية التعامل مع كل هذه التهديدات.

كانت النتائج الباهرة التي حققها طيران التحالف في عملية عاصفة الصحراء حصاد أعلى درجات التقنية المستخدمة في هذا المجال، وهي التي أعطت الكثير من الدروس المستفادة للعاملين في هذا التخصص، فالذخائر التي استخدمتها طائراتنا استطاعت تفادي أو شل عناصر الدفاع

الجوي العراقي، كانت الصواريخ كروز قادرة على اختراق المجال الجوي العراقي على مدار الساعة والتعامل مع جميع الأهداف حتى المدافع عنها بكثافة بأقل الخسائر، كما استطاع الطيران بقدراته الهائلة تدمير واخماد نظام الدفاع الجوي العراقي، تحديد القوة الجوية العراقية، شل العديد من مراكز القيادة والسيطرة، تدمير الجسور والمستودعات، ومع تطور أعمال القتال قام بتدمير كم هائل من الدبابات والكثير من المدفعية خاصة في المنطقة التكتيكية من مسرح العمليات الكويتية التي منها كان يمكن للقوات العراقية اطلاق الذخائر الكيمياوية.

في واقع الأمر يمكن ارجاع النصر الذي حققته قوات التحالف في حرب الخليج إلى التأثير غير العادي للقوة الجوية، وعلى ما يبدو جاء هذا التأثير مفاجئاً للقيادة العراقية، فقد أعلن النظام العراقي بعد غزو الكويت بعدة أسابيع ان الولايات المتحدة الأمريكية تعتمد على قوتها الجوية بالرغم من انها لم تكن أبداً هي العامل الحاسم لاحراز النصر طوال تاريخ الحروب، وعندما عملت القوات البرية والقوات البحرية ومعها القوات الجوية، ضاعف ذلك من قدراتها القتالية ووصلت الخسائر فيها إلى أدنى معدلاتها، كما ساهم الاسناد الجوي القريب للقوات البرية والذي تم بالطائرات العموديات في سرعة تحقيق مهامها متوافقة مع باقي الأسلحة المشتركة بالإضافة إلى انها ساعدت القوات العربية والإسلامية وقوات المارينز الذين كلفوا بمهمة اختراق المواقع العراقية في جنوب شرق الكويت لتحرير مدينة الكويت خلال ثلاثة أيام قتال.

لقد توفرت أنسب الظروف لصالح عمليات طيران التحالف، حتى انه كان يمكن التكهن بنتائج أعمال قتالها التي تحققت من خلال التقدم التكنولوجي خاصة في توجيه الضربات الدقيقة، والتي أدت بدورها إلى الانهيار السريع للدفاع الجوي العراقي كما سمحت الطبيعة الصحراوية لمسرح العمليات بتوجيه هجمات جوية مؤثرة ضد معدات العدو ومركباته التي كانت معرضة لأقصى درجات التعرض، خصوصاً وأن العراق اتبع أسلوب الدفاع المجهز الثابت، وعندما يطبق مثل هذا الأسلوب في الصحراء يتطلب لثباته أمداداً مستمراً بجميع الإحتياجات من القواعد الخلفية، وهذا بعينه ما تمناه طيران التحالف، فأصبحت هذه الاحتياجات هدفاً جيداً لعمليات العزل الجوي، ومع عزل العراق سياسياً لم تخاطر طائرات التحالف أثناء تنفيذ الحملة الجوية بالوقوع في أي خطأ قد يتسبب تدخل قوي أخرى مجاورة، وهو التزام وضعناه في اعتبارنا مثلما وضع من قبل في صراعات اقليمية أخرى، وبالرغم من أننا لا ندعي ان قواتنا الجوية ستحقق في المستقبل نفس النتائج التي حققتها في حرب الخليج وبنفس الخسائر القليلة، لأن الظروف العملياتية والبيئية

والعدائية ستكون بالضرورة مختلفة، إلا أننا متأكدون من أنها ستستمر في امدادنا بالمزيد من العطاء وهذا ما نتمناه لأنفسنا وننكره على خصومنا.

ومن جهة أخرى صحيح ان القوة الجوية بمفردها لم تحسم نتيجة الحرب، ولم يكتف النظام العراقي بعدم تقدير قوتها الحقيقية، بل أيضاً لم يقدر عزمنا وقدرتنا على استخدام قواتنا البرية والبحرية، وان الحصار الاقتصادي الذي تم على العراق مهما طال زمنه لن يحقق نفس النتيجة التي يمكن ان يحققها الهجوم المشترك بالقوة الجوية والبحرية والبرية، وحيث ان ذلك هو الخيار الوحيد الذي لولاه لما أمكن لقوات التحالف تحقيق المبادأة، وبدون ذلك كان على القوات العراقية المدافعة الإكتفاء والإنتشار وزيادة عمق مخابئها والإحتماء في المناطق السكنية، ويعني كل هذا تبني سياسة البقاء خارج مرمى أسلحة الطائرات، ومثل هذه السياسة تزيد من طول مدة الأزمة مما قد يؤثر على تماسك القوات المتحالفة، كذلك قد تقوم القوات العراقية بتوجيه ضربات صاروخية أرض . أرض (سكود) مزودة برؤوس كيماوية أو بأنواع أخرى ضد إسرائيل أو المملكة العربية السعودية أو ضد قوات التحالف لإحداث مزيد من الخسائر وحتى لو لم يحدث ذلك فإن عدم حسم الحرب بتنفيذ الهجوم البري سيسمح للنظام العراقي بالتباهي بأن قواته لا تزال متماسكة أمام القوات الدولية، لذلك فإن تدمير هذه القوات على الأرض سيهدر مطالبة هذا النظام بزعامة العالم العربي ويدفن آماله التي لن تتحقق إلى الابد.

ومنذ الأيام الأولى التي بدأ فيها تخطيط الهجوم لتحرير الكويت كان معلوماً أن الاستخدام المشترك للقوات الجوية والبرية والبحرية سيضاعف قدرة كل منها على حدة، فالحملة الجوية لن تدمر الوحدات العراقية ذات الكفاءة القتالية العالية فحسب بل أيضاً ستنزع من باقي الوحدات، التي لم يتم التعامل معها بالقدر الكافي، أحد الخصائص القتالية الهامة، الا وهي خفة الحركة التكتيكية التي يمكن لقواتنا البرية استثمارها لصالحها بكفاءة تامة عندما يبدأ الهجوم البري، كما أن العمليات البرية ستجبر القوات العراقية على الحركة والمناورة والتي بالضرورة ستجري فوق الأرض وليس فيها، مما سيزيد من تأثير الهجمات الجوية لطائرات التحالف، وإذا افترضنا جدلاً ان الحملة الجوية لم تؤت ثمارها كما ينبغي . مثلما ظن البعض . الا نسأل أنفسنا لماذا قام أكثر من ٨٠ ألف عراقي في الخطوط الدفاعية بتسليم أنفسهم بمجرد بدء الحملة البرية واعطائهم فرصة للهروب من المعاملة الوحشية التي كان يعاملهم بها قادتهم، وبالاضافة إلى ذلك فقد تمكن الحملة البرية من تدمير كم هائل من عتاد الحرب العراقي.

ان تقييم العمليات التي يشترك فيها أكثر من قوة يحتاج إلى الحذر في تحديد دور كل منها في تحقيق النصر، فقد يؤدي ذلك إلى إغفال المفهوم العام الذي يجب ان يكون معلوماً، وهو ان مجموع تأثير الهجمات الجوية . البحرية . البرمائية والبرية كان ضرورة لتحقيق التفوق لصالح قوات التحالف بهدف هزيمة القوات العراقية وإن المحصلة النهائية للعمليات الهجومية المشتركة بواسطة الطيران، البحرية والقوات البرية، ومعها الاسنادات اللازمة، كانت في مجموعها تشكل مفتاح النصر.

ستستمر الثورة في عالم التكنولوجيا العسكرية للتوصل إلى ما هو أحدث، ومع الاستغلال الامثل لما هو معمول به في الوقت الحالي، وقد صاحب ذلك العديد من المتطلبات التي لم تكن القوات في حاجة إليها سابقاً، وعلى سبيل المثال نجد ان الاستخدام الموسع للذخائر الدقيقة أصبح له متطلبات من الاستخبارات لم تكن مطلوبة من قبل، فلم يعد كافياً ذكر ان العراق يمتلك مجموعة منشآت خاصة بالبرامج النووية، بل يود المخططون . منذ ان أصبح لديهم وسائل تدميرية عالية الدقة . معرفة الأنشطة التي تدور داخل كل مبنى على حدة، بالإضافة إلى معرفة ما يتم في كل جزء من أجزاء المبنى، كما أن السرعة العالية لتقدم القوات البرية في الوقت الحالي تطلبت معرفة ليس فقط مواقع وتحركات القوات الصديقة بل أيضاً قوات العدو حتى عمق أكبر مما كان مطلوباً في الماضي عندما كانت سرعة تقدم القوات أبطأ مما عليها الآن، بهذا القدر الكبير من المعلومات الدقيقة تصبح القوات البرية أكثر قدرة على الحركة وترشيد النيران وأكثر حرصاً على حياة أفرادها من النيران الجوية والبرية الصديقة، وما زلنا حتى الآن نحتاج إلى جهد أكبر لتحقيق نتائج افضل في هذا المجال.

وطالما نحن بصدد تقييم أسلحتنا، يجب ان نقرر ان النتائج التي قد تحققها نفس هذه الأسلحة في ظروف عملياتية وبيئية أخرى ستكون أقل مما كانت في حرب الخليج، فالظروف التي كانت هناك تعتبر مثالية للبعض من الأسلحة المتقدمة بالرغم من كثافة السحب التي غطت سماء المسرح، فالجو بشكل عام كان منساباً لاستخدام القوات الجوية، كما سمحت الطبيعة الصحراوية للقوات المشرعة الأمريكية بالاشتباك مع القوات العراقية من مسافات بعيدة قبل ان تتعامل معها العناصر النيرانية العراقية، وستقل هذه الميزة في حال استخدام نفس القوات في مناطق جبلية أو في مناطق آهلة بالسكان.

بالإضافة إلى ذلك، فقد يتوفر لخصومنا في المستقبل نظم تسليح أكثر تقدماً مما ليدهم في الوقت الحالي ويكونون أكثر براعة في استخدامها، وعموماً فإن الأسلحة التي كان يمتلكها النظام

العراقي في حرب الخليج لم تكن على نفس مستوى ما كان لدى قوات التحالف، ليس ذلك فقط، بل يمكن القول ان العراق كان متأخراً لدرجة كبيرة عن ركب التقدم في مجال التسليح عندما اسقط من حساباتهم عامل كيفية وأساليب تدريب افراده على الأسلحة، وكذا الفهم الحقيقي لمعنى القدرات القتالية للتسليح المعاصر، لكن قد تكون استراتيجية خصومنا في المستقبل أكثر مهارة مما كان لدى النظام العراقي كما يجب ان نتوقع لبعض منهم ان يتوفر لديه العديد من الأسلحة المتقدمة والسبب واراء ذلك هو انه بانتهاء الحرب الباردة ستتولد مرحلة تراخي لفرض القيوم اللازمة على تجارة التكنولوجيا المتقدمة، مما سيشجع بعض العاملين في صناعة الأسلحة على السعي وراء بيع المزيد منها، ولمزيد من المكاتب والتنافس ستسمح حكوماتهم ببيع الأسلحة والمعدات الأكثر تطوراً، لقد أثبتت حرب الخليج أننا متقدمون في مجال تكنولوجيا التسليح بما يقدر بجيل كامل، لذا يجب المحافظة على هذه المكانة بدوام استمرار البحوث وتطوير قدراتنا مع العمل على تقييد انتشار التكنولوجيا المتقدمة.

القيمة النوعية العالية للقوة المسلحة الأمريكية:

الدرس المستفاد الثالث هو أهمية القيمة النوعية للقوات والقادة، فالنصر لا يتحقق الا بمقاتلين اشداء، والأسلحة الذكية تتطلب أناساً أذكياء، تؤازرهم عقيدة قتالية تضاعف من قدراتهم. أن جميع من قاتلوا في حرب الخليج من المتطوعين الذين تلقوا أعلى درجات التدريب، وصلوا إلى المستوى الذي لم يصل إليه أحد في تاريخ العسكرية الأمريكية.

جابه أبناؤنا الكثير من المصاعب في حرب الخليج مثل تعقد نظم التسليح، تعدد الجنسيات في الدول المتحالفة، سرعة الحركة وعنف القتال، البيئة المكانية الخشنة التي دارت فيها الحرب، الإحساس بالغربة، التهديد المستمر بتلقي ضربات كيماوية أو بيولوجية.. كل تلك المصاعب وضعت مقاتلينا في بوتقة الاختبار لتقويم ادائهم الحقيقي، مستوى تدريبهم، انضباطهم وروحهم المعنوية، وبالرغم من كل ذلك فقد اجتاز أبناؤونا هذا الاختبار بنجاح باهر.

كما اتضح لنا ان هناك تبايناً واضحاً بين قدرتنا عند فتح وحداتنا المقاتلة في حرب الخليج ونفس الوحدات منذ عشر سنوات، فمن بين الوحدات التي بادرت بالفتح الطائرة (اف . ١٥) التابعة للنجاح الأول مقاتلات تكتيكية، حيث استطاعت في خلال ٥٣ ساعة من صدور الأمر بالتحرك ان تتواجد بقوة ٤٥ طائرة على الأرض بالمملكة العربية السعودية، وهو نفس الجناح الذي فشل منذ عشر سنوات في تحقيق مستوى الاستعداد القتالى المحدد له، فقد كانت الطائرات الصالحة للعمليات ٢٧ طائرة فقط من اجمالي ٧٢ طائرة وباقي الطائرات متوقفة على قطع غيار، ومثله كانت الفرقة

الأولى مشاة التي أبلت بلاءً حسناً في الحرب، فكانت جاهزة للفتح عندما تقرر ذلك، لكن منذ عشر سنوات كان متوفراً لديها فقط ثلثا المعدات نصفها غير جاهز للعمليات.

تدين الكفاءة القتالية العالية التي وصلت إليها قواتنا للتدريب الراقي الذي حصلت عليه، خاصة من مراكز التدريب التي تستخدم المشبهات المتطورة، تكنولوجيا الحسابات الالكترونية، العمليات التكتيكية المماثلة للحقيقة مع توفير امكانية القدرة على تحليل نتائج المعارك والخروج منها بدروس مستفادة.

كان المستوى العالي لمقاتلينا أحد المتطلبات الرئيسية لتخطيط وتنفيذ أنجح عمليتي خداع فاجأتا وأربكتا القوات العراقية في حرب الخليج، فقد مكنت العملية الأولى قوات التحالف من تحقيق المفاجأة التكتيكية مع بدء الحملة الجوية . وكان المفروض ألا يفاجأ العراق بالضربة لأنها بدأت مباشرة بعد انتهاء المهلة التي حددتها الأمم المتحدة للانسحاب من الكويت . ويرجع السبب في نجاح عملية الخداع إلى ان التخطيط تم على أساس تعويد شاشات الرادار العراقية في مرحلة عملية "درع الصحراء" على ان ترى بصفة دائمة نشاطاً جوياً مكثفاً داخل الأراضي السعودية متمثلاً بنوعيات معينة من المهام مثل إعادة التموين بالوقود في الجو في طول الحدود السعودية، لهذا لم يبد العراقيون أي اهتمام بالأنشطة الجوية والترتيبات التي ظهرت على راداراتهم خلال الليلة الأولى من عملية عاصفة الصحراء ولم يفطنوا إلى ان الضربة الجوية الأولى على وشك الوقوع.

أما العملية الخداعية الثانية فكانت بهدف ارباك النظام العراقي في معركة الاتجاه الرئيسي للهجوم البري، فتدريبات القوات المتحالفة على أعمال الانزال البحري على الشاطئ والتركيز الشكلي على إزالة الألغام أوحت للعراقيين بان هذه التدريبات هي جزء من خطة الهجوم البري لقوات التحالف، ومع استغلال غياب القدرة العراقية على اجراء أي طلعة استطلاع جوي . لاستحواذ قوات التحالف على السيادة الجوية فوق مسرح العمليات . تم تحريك قوات الفيلق السابع والثامن عشر اقتحام جوي مئات الكيلومترات إلى الغرب من مواقعها الأصلية جنوب الكويت، وتم خلال نفس الوقت بث معلومات خداعية بالراديو يفهم منها ان قوات الفيلقين لا زالت في مواقعها الأصلية، مع إصدار تعليمات مشددة بعدم السماح على الإطلاق بتعرض هذه العملية لأنشطة الاستطلاع أو التجسس خوفاً من إفشاء مضمونها حيث سيبدأ من هذه المنطقة الاتجاه الرئيسي للهجوم البري، وبنجاح هذه العملية استمر العراقيون في حشد العديد من الفرق على طول الساحل، وتركوا الاتجاه الآخر خالياً من أي ترتيبات لمقابلة الضربة الخاطفة اليسرى لقوات التحالف التي نجحت في الالتفاف حول القوات المتمركزة داخل الكويت واحتوتهم في النهائية.

كما استفادت قوات التحالف بدرجة عظيمة من العمليات النفسية التي أجرتها وما يدل على نجاحها هو العدد الهائل من الضباط والأفراد العراقيين الذين سلموا أنفسهم دون أي مقاومة تذكر بمجرد بدء الهجوم البري، وقد بنيت خطتنا في هذا المجال على العديد من العوامل النفسية منها وضعهم بصفة مستمرة تحت تأثير القذف الجوي بقنابل ثقيلة الوزن لإضعاف هممه، وازدياد معاناتهم نتيجة نقص الاحتياجات الضرورية من مواد الإعاشة والخوف من اقتراب الهجوم البري، وقد بثت محطات الإذاعة العديد من البلاغات والقيت عليهم الكثير من المنشورات بهدف استثمار الروح المعنوية المتدنية للمقاتلين العراقيين وشرح الاجراءات التي يتبعونها لتسليم أنفسهم ووعدهم بمعاملة كريمة ان فعلوا ذلك، اما الرسائل التي كان لها أكبر الاثر فهي تلك التي كانت تحذرهم بالابتعاد عن معداتهم لأنها ستهاجم بالذخائر الدقيقة وأن مواقعهم على وشك ان تدكها القاذفات (٥٢ . بي).

إن مهارة والتزام مقاتلينا شكلاً عنصراً إضافياً لقدرات القوات المتحالفة في تخطيط وتنفيذ أعمال القتال في حدود الشرعية التي توجب الالتزام بأصولها، فبالرغم من عنف القتال حاولوا بقدر طاقتهم عدم المجازفة بأي أعمال قد تشكل خطورة على أرواح المدنيين، كما عاملوا أسرى العدو بأسلوب انساني، وخاض طيارو التحالف المزيد من المخاطر عندما وضع المخططون لهم أهدافاً عسكرية تبادلية يتعاملون معها في حالة عدم امكانية مهاجمة الأهداف الأساسية، وفي نفس الوقت تم تخطيط الضربات الجوية لتكون أدق ما يمكن بهدف تقليل خسائر المدنيين إلى أقل قدر ممكن، وفي النهاية عندما وقع عشرات الآلاف من العراقيين اسرى حرب عوملوا بكرامة وشفقة، ونظن ان العالم سيظل يذكر إلى أمد بعيد بصورة الجنود العراقيين وهم يلثمون ايدي آسريهم.

التخطيط الجيد:

الدرس المستفاد الرابع من حرب الخليج هو أهمية التخطيط الجيد وتواجد عناصر من قوتنا المسلحة في مناطق منتشرة من العالم بهدف بناء الثقة واكتساب الخبرة وتنسيق الجهود مع دول هذه المناطق، كما يجب ان يتوفر لدينا ما يكفي من الوسائل لتلبية مطالب النقل الاستراتيجي.

لقد لعب التخطيط المسبق دوراً حيوياً في احداث الخليج، فكان من الضروري ان يتيسر لدينا بعد الغزو مباشرة رؤية واضحة عن كيفية الدفاع عن المملكة العربية السعودية ودول المنطقة وبأي قوة، وكان ذلك ضرورياً ليس فقط لصانعي القرار الأمريكي بل أيضاً للملك فهد وباقي زعماء منطقة الخليج الذين بدورهم كانوا في موقع يسمح لهم باختبار مدى جديتنا في معالجة الأمور وسرعتنا في

اتخاذ قرار استخدام القوة المسلحة، ويمكن القول ان رد الفعل الأمريكي في هذه الأزمة كان مناسباً لأننا كنا معدين خططاً مسبقة لمواجهة مثل هذا الحدث الطارئ.

في عام ١٩٨٩ حولت وزارة الدفاع جهودها للتخطيط من منطقة جنوب غرب آسيا إلى منطقة الجزيرة العربية بعد أن أصبحت هي المنطقة المهددة من قبل النظام العراقي بصفة أساسية، من أجل ذلك تم في ربيع ١٩٩٠م إعداد الفكرة العامة للخطة تحت عنوان (التهديد العراقي)، وتضمنت الخطوط الرئيسية للقوة المستخدمة والإستراتيجية الدفاعية التي ستتبعها القوات لحماية دول الخليج، وتم تطويرها في يوليو ١٩٩٠م وأصبحت هي خطة العمليات، ومع تطوير الخطة أجرى الجنرال شوارزكوف تمرين (INERNAL LOOK 90).

الذي بدأ في شهر يوليو بهدف اختبار مدى صلاحية خطة الدفاع عن الجزيرة العربية، وحينما اتخذ قرار فتح القوات تم اختيار هذه الخطة باعتبارها أقرب إلى حقيقة الموقف وأفضل الخيارات المتاحة، وبتوفيرها منحت القوات دفعة زمنية لولاها لضاع الكثير من الوقت في إعداد خطط جديدة لفتح القوات المتجهة إلى الخليج.

كان من الضروري بعد الغزو إضافة الكثير من التفصيلات على الخطة خاصة فيما يتعلق بفتح قوات جديدة متخصصة، وكان مقدراً للانتهاء من اعدادها عاماً كاملاً على الأقل، لكن لحساسية الموقف انتهى العمل وتم فتح القوات في حوالي نصف المدة المفروضة.

علينا في المستقبل مراجعة وتدقيق أسلوب التخطيط الذي نتبعه حتى نتأكد أنه يتوافق مع استيعابنا للمواقف الطارئة بالسرعة والتأثير المطلوبين، وقد أبدى الجنرال ايزنهاور ملاحظة مفادها أن (الخطط قد تكون في وقت ما غير مهمة، لكن الاستمرار في التخطيط هو الأهم) وينطلق هذا المفهوم من أنه في كثير من الأحيان تكون الخطط المسبقة ليست متوافقة تماماً مع الأحداث الواقعية الجارية، لكن الخبرة والتدريب اللذين اكتسبهما المخططون سيكونان وراء سرعة تطويرها لتتوافق مع الموقف الجديد باعتبار ان السرعة هي أحد العوامل الحاكمة أثناء التخطيط في الأزمات الحقيقية.

لقد تم استثمار الخبرة السابقة التي اكتسبتها القوات الأمريكية في منطقة الخليج، وساعدها في ذلك التجهيز الجيد للمطارات والبنية الأساسية الساحلية بالمملكة العربية السعودية لاستقبال قوات بحجم كبير، وعمل الطيارون الأمريكيون مع رفقائهم السعوديين الذي سبق وتعاملوا معهم من قبل خلال اجراء التمارين المشتركة، كل من هذه العوامل عكس بدوره تخطيطاً وتنسيقاً وتعاوناً على المستوى الاستراتيجي تم في مرحلة سابقة، وبدون ذلك كان من غير الممكن لقواتنا ان تكون جاهزة في

التوقيت المناسب، وفقدت دول الخليج ثقتها فينا وهي التي كانت في أشد الحاجة لها لمواجهة التهديد العراقي.

لقد علمتنا حرب الخليج أنه يجب ان نبذل قصارى جهدنا أثناء التخطيط لتحديد علاقاتنا بالآخرين الذين سيساندون جهودنا في المستقبل.

الوقت الطويل اللازم لإعداد وتحضير القوات:

أخذت القوات التي اشتركت في عاصفة الصحراء وقتاً طويلاً إلى أن وصلت إلى مستوى الأداء الذي ظهرت به في الحرب، واستغرق اعدادها عشرات السنين لتصبح جاهزة للقتال عام ١٩٩٠م، فتم أول تطوير للصاروخ كروز الذي شاهده العالم منطلقاً في سماء بغداد في منتصف السبعينات، وتم البدء في بناء أول طائرة (STELTH F . 117) المقاتلة القاذفة التي نفذت العديد من المهام ضد الأهداف العراقية المدافع عنها بعناصر كثيفة من الدفاع الجوي دون ان تسقط أي واحدة منها . في أوائل الثمانينات، وهكذا أخذ انتاج وتطوير معظم نظم الأسلحة المستخدمة اليوم وقتاً طويلاً، وعادة ما يستغرق الوقت منذ اتخاذ قرار بناء طائرة جديدة وحتى بدء خدمتها في الاسراب ما يقارب ١٣ عاماً.

ما يسري على الأسلحة هو نفسه ما يسري على البشر، فالجنرال المؤهل لقيادة فرقة في العمليات هو نتاج تدريب دام ما يزيد على ٢٥ عاماً، كما يستغرق تدريب الضابط صف للوصول به إلى مستوى الأداء المطلوب اليوم ما بين ١٠ و١٥ عاماً.

غالباً ما كان يحدث في الماضي أن يسبق ظهور سلاح جديد الفهم الاستراتيجي الصحيح لاستخدام هذا السلاح، لذلك غالباً ما يكون الجانب الذي يقاتل وهو متفهم تماماً للاسلحة التي يخوض بها الحرب في موقف أفضل من الخصم الذي يملك العديد من نظم التسليح وفي نفس الوقت بعيداً عن المفاهيم الصحيحة لاستخدامها، كما ان للعقيدة القتالية دوراً مؤثراً في تحقيق النصر، لذلك فإن النجاح الذي حققه الألمان في عام ١٩٤٠م يرجع بالدرجة الأولى إلى تفوق العقيدة القتالية التي تبنوها في ذلك الوقت أكثر مما كان لتفوق العتاد الحربي الذي قاتلوا به، ومن هنا فالعقيدة القتالية الصحيحة والتدريب الهادف المكثف يجب ان يحظيا منا بأولى الإهتمامات خلال السنين القادمة، وهذا يحتاج منا إلى الكثير من الدراسات والتجارب لاستخلاص أقصى أداء لقوتنا المسلحة، ودراسة عملية عاصفة الصحراء من أهم المراجع التي يجب ان توضع تحت أعين الباحثين في هذا المجال.

نظرة إلى المستقبل:

لقد أظهرت حرب الخليج عدم درايتنا بمتى وأين ستنفجر الأزمة التالية، ففي حوالي عام ١٩٩٠ ظن الكثيرون أنه لن تقوم أي أزمة في المستقبل بعد انسحاب روسيا من شرق أوروبا، وتوقع القليلون

بأننا سنحارب في غضون عام واحد، وفي أوائل عام ١٩٨٩ توقع عدد آخر الاحداث التي مرت بها أوروبا الشرقية، ولا يزال القليل يتوقع نهاية الاتحاد السوفييتي خلال عامين، وإذا رجعنا بالذاكرة إلى أحداث القرن الماضي لوجدنا أن الكثير من التغيرات الاستراتيجية الهامة حدثت معظمها في ظروف غير متوقعة وهذا في حد ذاته أحد الدروس التي علمنا إياها التاريخ.

ان قدرتنا على توقع المستقبل محدودة، وقد تتراوح ما بين ٥ و١٥ عاماً، وبصرف النظر عن توقعاتنا فإننا نحتاج إلى بناء قوة مسلحة ذات كفاءة قتالية عالية قادرة على ردع العدوان أو الدفاع عن مصالحنا إذا لزم الأمر، وفي سبيل نشر العدالة سنتحمل الكثير حينما يقرر رئيس الجمهورية في المستقبل ارسال أبنائنا للقتال في أي مكان من العالم.

ومع تخفيض قوتنا المسلحة خلال الخمس سنوات القادمة . كما هو مقدر . سيواجهنا نوعان من التحدي تم تسليط الضوء على كليهما في حرب الخليج، أولهما وجوب المحافظة على تفوقنا التكنولوجي في المستقبل، والثاني ان نكون مستعدين لعملية "عاصفة الصحراء" أخرى غير متوقعة الحدوث، لقد عكست النظم التكنولوجية عالية الاداء في حرب الخليج أننا كنا مدركين تماماً لالتزاماتنا منذ ٢٥ عاماً مضت لذلك فإن القرارات التي نحن بصدد اتخاذها اليوم هي التي ستقرر ما إذا كانت قوتنا المسلحة قادرة على تنفيذ مهامها بعد ١٥ عاماً القادمة بأقل خسائر ممكنة أم لا، إننا نعمل الآن لكي تتوفر لقواتنا في عام ٢٠١٥م نفس الكفاءة القتالية العالية التي اتسمت بها في عاصفة الصحراء.

لبناء قوة مسلحة عالية المستوى في المستقبل يجب ان يكون تفكيرنا متوائماً مع سمة العصر، فيجب ان نستثمر الفرد والنظام، كما يجب ان نوقف إنتاج ما هو غير مطلوب، وتخفيض كم القوات العاملة والاحتياط، وغلق القواعد الزائدة عن الحاجة، بذلك يمكن إعادة تركيز الجهود في الاتجاهات الأكثر أهمية فمثلاً الدبابات (أم ١أ١) والطائرات (اف . ١٦س) و(ف . ١٤) ممتازة الأداء، لكنا أصبحنا نملك الكفاية منها.

طالما نحن بصدد إعادة تشكيل القوات المسلحة الأمريكية مع تخفيض حجمها يجب ان نبني ذلك على أساس الاستراتيجية الدفاعية الجديدة ووفق الخطط الخاصة بالمحافظة على نفس الكفاءة القتالية التي بنيناها بعناية فائقة، فإذا تمت عملية تخفيض القوات بسرعة، فإن ذلك سيخل بقدراتها إلى حد بعيد، وإذا فشلنا في الاستثمار الامثل للتدريب للوصول إلى المستوى المستهدف، سننتهي بتنظيم شبه عسكري عاجز عن أداء المهام العظام، وسنستغرق وقتاً طويلاً وسنستنزف دماء غزيرة وسنهدر موارد غالية لإعادة بنائه مرة أخرى، وسيؤثر ذلك بطبيعة الحال على سلامة أمن الدولة ومصالحها في الخارج.

إذا جاز لنا ان نختار اليوم طريقنا لتخفيض وتطوير قوتنا المسلحة، يجب ان نختار الأسلوب الذي لا يؤثر بالسلب على الأمن القومي للدولة متخذين من الماضي دروساً يجب ألا ننساها، فقد وجدنا أنفسنا بعد الحرب العالمية الثانية غير جاهزين لخوض حرب كوريا الا بعد خمس سنوات، كما كنا أيضاً غير جاهزين بعد حرب فيتنام الا في نهاية السبعينات، وعلينا الآن تفادي تكرار نفس الأخطاء السابقة.

ويعتمد نجاحنا في ترسيخ الأمن القومي للدولة والحفاظ على أرواح أبنائنا خلال العقد القادم وما بعده على ما استوعبناه من الدروس المستفادة من حرب الخليج، وهذا في حد ذاته أحد الواجبات الذي تعالجه وزارة الدفاع الأمريكية بجدية فائقة، لقد دفع أبناؤنا الذين فقدناهم في هذه الحرب وعائلاتهم ثمناً غالياً في سبيل الحرية، لذلك قد نكون اخترنا أسوأ الخيارات إذا ما أنفقنا ميزانية الدفاع في بناء قوات غير قادرين على اسنادها، أو أسلحة أكثر مما نحتاجها، أو قواعد لا نقدر على تشغيلها عندئذٍ إذا اضطر ابناؤنا للقتال في المرة القادمة قد لا نجد ما نوفره لهم من قدرات حقيقية لكسب الحرب.

وأخيراً، يجب ان نفتخر بالدور الذي أديناه في حرب الخليج بالرغم من كل الدروس المستفادة التي يجب ان نتعلمها، والمشاكل التي يجب ان ندرسها ونعمل على حلها، كما يجب ان نفتخر بإدانتنا لغزو العراق لدولة الكويت منذ البداية، وبتولي قيادة مسار الأحداث في العالم حتى التحرير، وبانجاز أكبر فتح للقوات حدث طوال التاريخ، وبمستوى التكنولوجيا العالي الذي وصلنا إليه، وبحكمة قادتنا على جميع المستويات، لكن قبل وأهم من كل ذلك هو أننا يجب ان نفتخر بهولاء الأمريكيين من القوات الجوية والبحرية والبرية والمارينز الذين أبدوا براعتهم عند تنفيذ الواجب، والتزموا بالمثل العليا عندما تعاملوا مع العدو، وأظهروا شجاعتهم الفائقة عندما قاتلوا ليهدوا لنا ولكل العالم في النهاية نصر الحرية على العدوان والتوسع.

القوات البريطانية في عملية جرانبي[1]

إعداد: محمد صفوت الزيات

كان الأمر مفاجئاً وغامضاً عندما صرح وزير الدفاع البريطاني السابق توم كينج في ١٩٩٠/٨/٩ عن نشر وحدات جوية بريطانية في منطقة الخليج لردع العدوان، وعندما حطت طائرات التورنادو (Tornado F3) في الظهران بالسعودية بعد ٥٠ ساعة من تصريح وزير الدفاع وحلقت بعد ساعتين من وصولها في ١٩٩٠/٨/١١، في إجواء السعودية قريباً من حدودها مع كل من الكويت

[1] الخليج . الشارقة ١٩٩٢/١/١٧.

والعراق في دوريات قتالية (CAPS) وتدفقت معها في نفس اليوم طائرات الجاجوار (JAGVAR) إلثمريت في سلطنة عمان، وطائرات النمرود (NIMROD MR. MK2) إلى السيب هناك أيضاً بدأ الأمر وكأنه سيكون قاصراً على القوات الجوية الملكية (RAF) أساساً، حتى ان أول قيادة شكلت للقوات البريطانية في المنطقة تولاها قائد القوة الجوية الضارية (AVM WiLSON) ومعه ضباط أركان ممثلين لكل من البحرية والجيش، والذي تولى بعد ذلك دور نائب قائد القوات البريطانية في الشرق الأوسط والذي شغله الجنرال دي لا بيلير ضابط الخدمة الجوية الخاصة (SAS) السابق والممتاز والذي عينته رئيسية الوزراء البريطانية عندما وضح حجم الالتزام البريطاني . الذي غلب عليه العنصر الحربي . يتضح مع الإعلان في ١٩٩٠/٩/١٤عن نشر اللواء السابع المدرع المتمركز في ألمانيا ضمن الجيش البريطاني للراين (BAOR) إلى منطقة الخليج.

الأمر بدأ وكأن قدر بريطانيا ان تحارب خلال عقد واحد معركتين كبيرتين خارج حدودها بل وحدود منقطة وسط أوروبا التي طالما تصورت لأربعين عاماً تلت الحرب العالمية الثانية إنها مجال عمل آلتها العسكرية الأساسي، فهناك في جنوب الأطلنطي كانت جرب الفولاكلاند (٨٢/٤/٢ . ١٩٨٢/٦/١٣) على مسافة ٧٥٠٠ ميل بحري من الجزر البريطانية والتي اطلقت عليها الرمز الكودي (OPERATION CORPORATE) بينما الآن وفي أغسطس ١٩٩٠ بدأت عجلة حرب من نوع آخر تدور في منطقة الخليج على مسافة ٣٦٠٠ ميل بحري من الجزر البريطانية والتي اطلقت عليها الرمز الكودي (OPERATION) وعندما نعرض للتقرير النهائي لعملية (GRANBY) كما يراها البريطانيون والمحللون العسكريون، فإن الأمر له التناول الموضوعي والمنهجي لأمور ثلاثة رئيسية تشتمل:

١ . السياسة الدفاعية البريطانية في الفترة قبيل الحرب.

٢ . حجم الالتزام العسكري البريطاني في الحرب وأبرز انجازاته.

٣ . الدروس المستفادة وانعكاساتها في السياسة الدفاعية البريطانية.

السياسة الدفاعية البريطانية في فترة ما قبل الحرب:

ارتبطت السياسة الدفاعية لبريطانيا في جوهرها بنتائج حدثين رئيسيين شملهما عقد الثمانينيات:

. الحديث الأول: حرب الفولاكلاند التي مارستها العسكرية البريطانية في جنوب الاطلنطي في صيف ١٩٨٢ ضد الأرجنتين، وما تكشف عنها من خلل واضح في القدرات العسكرية التقليدية البريطانية وعدم قدرتها على تأمين مصالحها في أعالي البحار، ما لم يتم الإسراع في معالجة بعض أبرز نقاط الضعف هذه والتي شملت:

. القصور الشديد في طائرات القتال العاملة من على سفن السطح بالبحرية الملكية (RN)

. عدم توافر قدرات النقل الجوي بعيد المدى (Long Range air JIFT).

. عدم توافر أنظمة الإنذار المبكر والسيطرة المحمولة جواً (AEW).

. قصور أنظمة الحرب الإلكترونية (EW) للحماية الذاتية للطائرات وسفن الأسطول، وربما يعود ذلك إلى الالتزام البريطاني الشديد بمسؤولياتها في إطار حلف الـ (NATO) وإعطائها الاولوية عما عداها من التزامات دفاعية تجاه مصالحها في أعالي البحار الأمر الذي معه لم تهتم ببناء قوات تقليدية مناسبة للدفاع عن تلك المصالح وبصورة مستقلة وفي مناطق بعيدة عن مسرح عملياتها الأساسي في وسط أوروبا وتجاه الإتحاد السوفييتي وشركائه في حلف وارسو (WARSAW).

كما يعود ذلك إلى الالتزام البريطاني الذي ما يزال على أهميته من حيازة رادع نووي استراتيجي مستقل خصصت له ميزانيات باهظة على حساب قطاعات أخرى في الإنفاق الدفاعي والذي تركز أساساً على الغواصات النوية المجهزة بالصواريخ متعددة الرؤوس التي بدأتها بغواصات بولاريس (POLARIS) وصواريخها (A3) ثم حالياً بغواصات ترايدنت (TRIDENT) وصواريخها (D5).

. الحدث الثاني: وكان الأبرز حيث شمل تغيرات أوروبا بالشرقية في عام ١٩٨٩ واختفاء حلف وارسو، وترتيبات خفض الأسلحة التقلدية في أوروبا (CFE)، إضافة إلى مشكلات الاقتصاد البريطاني الحادة، الأمر الذي فرض عدة أمور عايشتها السياسة الدفاعية البريطانية وكانت في خضمها عندما انفجرت أحداث الخليج حيث شملت تلك الأمور:

. إنه وإن كانت وزارة الدفاع البريطانية ما زالت تعتبر روسياً بمثابة المقياس (Yardstick) الذي تقيم عليه وتقدر قدراتها القتالية فإن التخطيط للمستقبل أصبح الآن أصعب في ظل معضلة التعرف على التهديد القادم بعد زوال استاتيكية الحرب الباردة وتهيؤ عديد من الأزمات الإقليمية للتفجر.

. التخفيضات الكبيرة في ميزانية الدفاع والتي رصدها حوالي ٢١,٢ مليار جنيه استرليني عام ١٩٩٠ وتتوالى ضغوط الخزانة البريطانية . الآن . لخفضها عام ١٩٩١ بنسبة ٣٪ (اي حوالي ٦٠٠ مليون جني استرليني) وهو الأمر الذي دفع وزير الدفاع إلى طرح مجموعة تخفيضات في النفقات الدفاعية شملها خيارات التغيير في مايو ١٩٩٠ ابرزها إغلاق نصف القواعد الجوية البريطانية في ألمانيا وعودة (٦) اسراب جوية من هناك (٤) اسراب تورنادو (GR1)، (٢) سربان هارير (GRS/GR) وتخفيض إجمالي أسراب التورنادو (GR1) في السلاح الجوي الملكي (RAF) من (١١) سرب إلى (٨)، والإبقاء على (٧) اسراب تورنادو (F.3)، للدفاع الجوي، وقد صاحب ذلك الإعلان عن الغاء صفقة شراء الثامنة من طائرات التورنادو (٢٦) طائرة (GR1)، (٧) طائرات (F3)

مراجعة وتقييم البدائل حول الرادع الاستراتيجي المستقل لبريطانيا، والذي سيتركز فقط في أسطول الغواصات النووية (Trident) وصواريخها (D5) متعددة الرؤوس خاصة بعد استعادة كافة الوحدات الجوية البريطانية من الأراضي الالمانية في مطلع القرن القادم وهو ما يمكن اختفاء دور وسائل الإيصال النووية الجوية التي تعتمد على المهام النووية لطائرات التورنادو (GR1) بحمولتها من قنابل (WE 177) النووية انطلاقاً من قواعدها المتقدمة في ألمانيا، وكانت البدائل تراوح بين تطوير وانتاج صاروخ تكتيكي جو . سطح نووي (TASM) على إطلاقه من بعيد (حوالي ٥٠٠كم) بواسطة طائرات التورنادو (GR 4) وهو خيار باهظ التكلفة، أو بتعديل الصاروخ الاستراتيجي الحالي في اسطول الغواصات النووية (Trident IId5) ليحمل رؤوس نووية تكتيكية وهو الخيار الأقل تكلفة وان كان أقل مصداقية في العمل المستقل الآن.

جدول ص ٩٠

هكذا كانت بريطانيا في حالة مراجعة وإعادة تقييم لسياستها الدفاعية في عالم غير مستقر يصعب التنبؤ فيه بأشكال التهديد المستقبلية وتتوالى فيه ضغوط الأوضاع الإقتصادية لتخفيض القوة الدفاعية والإنفاق الداعي بوجه عام، وكان ذلك كله ما يشغل بال القائمين على رسم السياسة الدفاعية البريطانية عندما اندلعت فجأة احداث الخليج بالغزو العراقي للكويت في فجر الثاني من أغسطس ١٩٩٠.

حجم الالتزام البريطاني في الحرب وابرز انجازاته:

أولاً: البحرية الملكية (Royal Navy (RN):

في ذروة الصراع المسلح كان لها (٢٦) سفينة حربية ومساندة في مسرح العمليات، اضافة إلى (١٢) عمودية (Sea King) توفر الإسناد المباشر للفرقة الأولى المدرعة البريطانية على اليابسة، لقد مثلت البحرية الملكية ثاني أكبر قوة بحرية بعد الولايات المتحدة من بين (١٦) دولة ساهمت في المجهود البحري للحرب ولم تعمل سفن ضخمة في شمال الخليج الا البحرية الأمريكية والبحرية الملكية البريطانية الأمريكية والبحرية الملكية البريطانية، وقد شملت أبرز انجازات البحرية الملكية المجالات التالية:

. الحصار البحري للعراق: قدمت البحرية الملكية مساهمة ملموسة من خلال المدمرات والفرقاطات القادرة على المناورة لتطبيق قرار مجلس الأمن رقم (٦٦١) الصادر في ١٩٩٠/٨/٦ بشأن العقوبات الاقتصادية تجاه العراق حيث تولت من خلال الحصار البحري للموانئ العراقية تنفيذ (٣١٧١) عملية اعتراض، و(٣٦) عملية تفتيش بالصعود على السفن من أصل (٨٣) عملية تفتيش تمت حتى إندلاع الصراع المسلح.

. السيطرة البحرية: لم يمثل العراق بطبيعة جغرافية قوة بحرية كبيرة الا انه يمتلك وسائل تهديد فعالة ضد سفن السطح الحليفة يبرز منها زوارق الدورية المسلحة بصواريخ (FAC/G) من أنواع السوفييتية (Styx) والفرنسية (Exocet) إضافة إلى صواريخ (Silkworm) المنصوبة على طول الشاطئ الكويتي المحتل إضافة إلى طائرات الميراج (F - 1 EQ5) المسلحة بالصواريخ (EXOCET) جو . سطح، وقد ساهمت البحرية الملكية في مواجهة هذا التهديد من خلال تولي (٥) مدمرات طراز ٤٢ القيام بتوفير ما نسبته ٤٠٪ من مهام الدفاع الجوي عن سفن الحلفاء في شمال الخليج.

الجدول (٢) معدات القتال والدعم الرئيسية للجيش البريطاني في الخليج

جدول ص ٩٢

الجدول(٢) معدات القتال والدعم الرئيسية للجيش البريطاني في الخليج MaJor British Army EQuipmenht in the Gulf					
	TYPe				
Armour	Chalilengert MBT	43	117	16	178
	Scorpion	.	.	24	24
	Scimtar	.	16	24	40
	Striker	.	.	16	16
Infantry	Warrior IFV	90	45	.	135
Artillery	MLRS	.	.	12	12
	203mm M110	.	.	24	24
	155mmM109	24	24	12	60
	Towed Rapier	.	.	24	24
	Javelin	36	36	.	72
Helicopters	Lynx Tow	9	9	6	24
	Gazelle	4	4	18	24
SUPPort	Puma (RAF)	.	.	16	16
Helicopters	Chinook (RAF)	.	.	11	11
	Seaking(RN)	.	.	12	12

مشاركة طائرات الإستطلاع البحري (Nimrod) والعموديات الموجودة على سطح المدمرات والفرقاطات وهي لينكس (Lynx) المجهزة بصواريخ (Sea Skua) جو . سطح في قتال سفن السطح

العراقية وتدميرها وقد برزت لينكس بدور متميز حيث اعتبرت مسؤولة عن ٢٥٪ من خسائر البحرية العراقية بتسجيلها لـ (١٥) إصابة مباشرة لزوارق عراقية وتدميرها.

. تأمين المسارات البحرية: تمثل البحرية الملكية أحد الرواد العالميين في مهام إزالة الألغام (MCM) حيث تولت (٩) كاسحات الغام بريطانية الإسهام الأكبر في تطهير المسارات البحرية أمام السفن الحربية الأمريكية القائمة بالإسناد النيراني، في مواجهة أكثر من ١٢٠٠) لغم بحري زرعه العراقيون في (١٠) مناطق بمياه الخليج وبدأ العمل على ازالتها مبكرا مع وصول أول (٣) كاسحات في ١٩٩٠/٩/٧م ونجح البريطانيون حتى ١٩٩١/٣/٢٦ قي إزالة (٢٧٠) لغم وتأمين المسارات البحرية المأمونة للبوارج الأمريكية في الإقتراب من الشاطئ الكويتي وتقديم دعم نيراني فعال، الأمر الذي لم يكن متاحاً بدون هذا الدور الحيوي للكاسحات (يؤكد ذلك اصابة السفينتين الامريكيتين (Tripoli) و(Brinston) في يوم واحد وبفاصل بضع ساعات بألغام بحرية في مياه لم تكن الكاسحات قد وصلتها لتطهيرها).

ثانياً: الجيش البريطاني (British Army):

كان واضحاً منذ البداية أنه مهما حدث من إنجازات في البحر والجو، فإن الحملة ستشمل معركة برية لإخراج العراقيين من الكويت، ويبرز في النشر البري البريطاني في الخليج مجموعة من الاعتبارات الرئيسية التي يلزم التوقف عندها:

الإعتبار الأول: إنه برغم الخبرات التاريخية للمدرعات البريطانية في حروب الصحراء فإن هناك سنوات طويلة قد مرت على أحداثها وكذلك على التدريب الذي كان يجري للتهيؤ لها خصوصاً في ليبيا خلال عقد الستينات.

الإعتبار الثاني: ان جل جهد مخططي عمليات المدرعات البريطانية وفكرهم تم تركيزه على معارك مدرعات كبرى توقعوا حدوثها في السهول الألمانية الشمالية طوال ٤ عقود كاملة، وهو الأمر الذي لم يحدث بل وتلاشى احتمال حدوثه الآن.

الاعتبار الثالث: ان المدرعات البريطانية خصوصاً دبابة القتال الرئيسية (MBT) من طراز (CHallenger) كانت تعيش أزمة ثقة بفعل السمعة غير الجيدة التي واكبت ادائها منذ عام ١٩٨٧ في الأراضي الالمانية والتي تركزت حول قلة اعتماديتها الميكانيكية (MEchanical Reliabity) وعيوب نظام السيطرة النيرانية (Fire Control System) وهكذا يمكن القول ان قرار نشر المدرعات البريطانية في الخليج عندما أعلن عنه وزير الدفاع البريطاني في ١٩٩٠/٩/١٤ مثل لمخططي العمليات البرية البريطانيين مفاجأة بحكم عدم التهيؤ للعمليات المدرع في هذا الجزء من العالم، وكذلك

مثل تحدياً بفعل انها ربما الفرصة الأخيرة التي قد تلوح خلال هذا القرن لإثبات كفاءة المدرعات البريطانية على الصعيدين التقني والقتالي في آن واحد، الأمر الذي استنفرت معه أيضاً امكانيات المصنعين (Manufacturers) حتى وصلت إلى خطوط النار في مسرح العمليات ويؤكد على ذلك ان وزارة الدفاع البريطانية بدأت في إعداد خطط تعديل لدباباتها الرئيسية (Challenger 1) وعربات القتال المدرعة (IfV) طراز (Warrior) مع الشركة المصنعة الرئيسية (VDS) وشركائها الفرعيين (Subcontractors) وذلك قبل إعلان الالتزام بنشر مدرعات ثقيلة في الخليج بأسبوعين كاملين.

ويوضح الجدول (٢) حجم الالتزام البريطاني البري في الحرب من نواحي معدات القتال والدعم الرئيسية.

ويبرز في مجال الالتزام البريطاني بنشر قوات برية رئيسية في الخليج عدة ملاحظات هامة حول طبيعة هذا الالتزام.

التدرجية في الإلتزام: حيث اقتصر النشر على اللواء السابع المدرع (بدء ترحيله في ٩٠/٩/٢٨ من الموانئ الألمانية ووصل ميناء الجبيل شرق السعودية في ١٩٩٠/١٠/٢٠ وانهى انتشاره في المسرح بحلول (١٩٩٠/١١/٣) من الجيش البريطاني في ألمانيا، ثم تلا ذلك الإعلان عن نشر مزيد من القوات البريطانية المدرعة لتصل إلى مستوى فرقة كاملة استجابة لطلب الرئيس الأمريكي ببناء قوات حليفة هجومية في المنطقة في ١٩٩٠/١١/٨، وقد نفذ الإلتزام بدفع اللواء الرابع المدرع وقيادة الفرقة الأولى المدرعة التي ستتولى قيادة اللوائين السابع والرابع (بدء الترحيل في الأسبوع الأول من ديسمبر ١٩٩٠، ووصل ميناء الجبيل في ١٩٩٠/١٢/٢٩).

التوافقية في الإلتزام: حيث جاء اختبار البريطانيين لقواتهم الرئيسية من الجيش البريطاني في ألمانيا (BAOR) العامل في إطار الناتو والمشارك في التدريبات القتالية المشتركة مع القوات الأمريكية هناك على مدار الأعوام السابقة من خلال مفهوم موحد للعمليات وتحت قيادة واحدة، وهي أمور أمنت التوافق التام للفرقة المدرعة الأولى البريطانية التي عملت تحت القيادة التكتيكية للفيلق السابع الأمريكي (US V11 Corps) القادم من ألمانيا.

التابعية في الإلتزام: عمل اللواء السابع المدرع فور نشره في الجزء الشرقي من الحدود السعودية الكويتية تحت القيادة التكتيكية لفرقة المارينز الأولى والتي يقتصر تنظيمها لعنصر الدبابات الرئيسية، وعندما تصاعد الإلتزام إلى مستوى فرقة مدرعة كاملة، فإنها عملت بالتالي تحت قيادة الفيلق السابع الأمريكي إلى الغرب من الحدود العراقية الكويتية.

وقد شملت أبرز انجازات الفرقة المدرعة الأولى البريطانية النواحي التالية: .

مثلت الفرقة الجناح الأيمن للفيلق السابع الأمريكي الذي أعلن عن جاهزيته للعمليات في ٩١/١/٣١ عندما أكمل تحركه إلى مواقع متقدمة إلى الغرب من وادي حفر الباطن والتي تحددت مهمته في البحث عن تدمير الفرق المدرعة العراقية لفيلق الحرس الجمهوري وهي قوات النخبة لدى الجيش العراقي، وكلفت الفرقة البريطانية في إطار عملية التفاف واسعة للفيلق السابع عبر الحدود العراقية السعودية بتدمير الاحتياطات التكتيكية المدرعة خلف المواقع الدفاعية الأمامية الرئيسية للعراقيين مع الحفاظ على الإتصال مع القوات المصرية المتقدمة إلى الشرق منها وحماية الجناح الأيمن للفيلق السابع في الوقت نفسه، الفرقة الأولى مشاة أمريكية تولت عبور الحدود العراقية واختراق المواقع الدفاعية في مواجهة الفيلق في اليوم الأول للمعركة البرية وأقامت رأس جسر شمل ١٦ ممراً لعبور وحدات المدفعية الأمريكية والبريطانية والتي أمنت بحلول "سعت ١٥٠٠"، في اليوم التالي (٩٠/٢/٢٥) خط دفع الاشتباك للواء السابع المدرع وتلاه اللواء الرابع المدرع "سعت ١٩٣٠" في اليوم نفسه، وفي خلال الـ ٢٤ ساعة الأولى لدفع الفرة الأولى المدرعة البريطانية كانت قد تقدمت لأكثر من ١٣٠ كم داخل الأراضي العراقية واجتاحت في اندفاعها الفرقة ١٢ مدرعة عراقية ليل ٢٦/٢٥ فبراير، وبدا الامر انهياراً كاملاً للدفاعات العراقية مع اكتظاظ الطرق الشمالية إلى خارج الكويت بالوحدات العراقية التي تحاول الإنسحاب الأمر الذي عدل من الخطة الموضوعة وكلفت الفرقة بالإسراع في تقدم صاخب لمسافة ١٠٠ كم لقطع طريق الكويت . البصرة والعمل كقوات ساترة عبر الحدود العراقية الكويتية في الوقت الذي كانت فيه القوات الأمريكية في الشمال البعيد تقاتل بعض تشكيلات المدرعات العراقية الأمر الذي استمر حتى بعد فرض وقف اطلاق النار اعتباراً من أول ضوء يوم ١٩٩١/٢/٢٨.

وهكذا تكون الفرقة المدرعة البريطانية قد اندفعت لمسافة ٢٣٠ كم وسجلت عدادات قياسية المسافات بدباباتها في المتوسط ٣٢٠ كم لكل منها وذلك خلال (١٠٠) ساعة هي عمر المعركة البرية التي دمرت خلالها للعراقيين حوالي (٢٠٠) دبابة عراقية (T-62) و (١٠٠) عربة قتال مدرعة (AFV) و (١٠٠) قطعة مدفعية. وفي الوقت الذي لم تخسر فيه غير دبابة قتال رئيسية واحدة (Challenger 1) عدا خسارتها لـ (٩) جنود قتل و (٢) عربتين مدرعتين (Warrior) كانوا يستقلونا بسبب قصف خاطئ من قبل طائرة (A-10) أمريكية أثناء عمليات يوم ١٩٩١/٢/٢٦ إضافة إلى (٢) عربتي أفراد مدرعة (APC) ودبابة خفيفة (Scorpion) قصفت أيضاً بطريق الخطأ بواسطة نيران

مدفعية صديقة يمكن القول إن الإنجاز البريطاني في مجال المعركة البرية كان مثيراً في نجاحه بحكم الأهداف التي تحققت وكذلك بحكم الخسائر الهشة التي حدثت في معداته وافراده.

ويمكن إرجاع هذا النجاح الكبير للفرقة المدرعة الأولى البريطانية إلى عوامل عدة من ابرزها:

. نتائج الحملة الجوية (Air campaign) التي سبقت المعركة البرية بـ ٣٧ يوماً كاملاً والتي افقدت العدو كثيراً من معدات قتالية وقبل ذلك إرادته في القتال (خصص لأعمال القصف الجوي للإحتياطات المدرعة في شمال الكويت وجنوب العراق ٢٠٠ طلعة جوية يومياً خلال الحملة منها (٨) طلعات للقاذفات الإستراتيجية (B-52) تلقي خلالها ١٦٠ طن من الذخيرة يومياً على الأقل الأمر الذي أفقد هذه الاحتياطات ٣٠٪ على الأقل من كفاءتها القتالية وحرمها من استبدال خسائرها.

التأهيل السريع لدبابات القتال الرئيسية (Challenger 1) وعربات القتال المدرعة (Earrior) للعمل في بنية العمليات الصحراوية حيث: تم تنفيذ (١٤) تعديلاً لمواجهة التعامل مع ظروف الحرارة وغبار الأتربة والرمال المتصاعدة بدءاً من نظام التبريد (Colling System) ووصولاً إلى تركيب بطاريات الخدمة الطويلة (Maintenance free batterues).

. خزانات الوقاد الإضافية التي دعمت بها الدبابات (٢ خزانان اسطوانيان خارجيان في كل منه ٢٠٠ لتر) لمواجهة متطلبات المدى المطلوب قطعه في خطة العمليات ولتقليل الذيول الإدارية المطلوبة للتزويد عبر الصحراء.

الحشد المدفعي الذاتي الحركة (SP) والمتعدد العيارات وذات قدرات النيران الكثيفة الأمريكية والبريطانية في نطاق الفيلق السابق والتي تشمل الهاوتزرات (M109) عيار (١٥٥)الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الـ (M 110) عيار ٢٠٣مم، وقواذف الصواريخ متعددة الفوهات (MLRS) التي قال عنها الكولونيل بيتر وليامز قائد الفوج ٣٩ مدفعية ثقيلة البريطاني "إن هذا النظام يمنحنا التفوق اللازم لكسب المعارك حيث تقوم منصة الإطلاق الواحدة بإطلاق ١٢ صاروخاً في الدقيقة ويمكنها إزالة كيلو متر مربع من على الخريطة ونحن نطلق عليه "شبكة وحدة الإزالة المريعة".

مجهود الإسناد النيراني الجوي (CAS) الضخم الذي وفرته طائرات الحلفاء للفرقة المدرعة البريطانية في ظل سيادة جوية تامة لسماء مسرح العمليات، إضافة إلى قوة طيران الجيش (Army Aviation) المتمثلة في فوج طيران (بي ٢٤) عمودية مسلحة لينكس /تاو ٠Lynx/Tow).

الإعتمادية (Reliability) والجاهزية (Availability) العالية لمعدات القتال الرئيسية للفرقة، والذي ساهم في تحقيقه تواجد فرق الدعم الهندسي (Engineering Support Team) من الصناعات البريطانية المنتجة لهذه المعدات بلباس عسكري في مسرح العمليات مباشرة لدعم كل من

مهندسي صيانة الجيش (REME) وأطقم الدبابات والعربات المدرعة في سرعة إنجاز التعديلات المقررة ومعالجة الأعطاب الفنية وتقديم الإرشادات الهندسية في الميدان (اجرى مهندسو الصناعات البريطانية تعديلات الدبابة (Challenger 1) والعربات المدرعة (Warrior) على رصيف ميناء الجبيل فور وصول اللواء السابع المدرع على متن سفن النقل وقبل دفعها للنشر في الصحراء غرباً وهو ما أطلق عليه تعديلات الرصيف (Quayside modificatyion) الأمر الذي تكرر أيضاً مع اللواء الرابع وقيادة الفرقة في أواخر ديسمبر ١٩٩٠.

ثالثاً: السلاح الجوي الملكي:

مثلما ذهبت القوة الجوية البريطانية إلى حرب الفوكلاند بأوجه قصور كثيرة دفعت فيها الآلة العسكرية البريطانية ككل ثمناً باهظاً كان من الممكن ان يكون قاتلاً لولا عوامل الوهن في استراتيجية الخصم آنذاك خاصة في اختباره لهدف طموح لا يجاري امكانياته، فإن القوة الجوية البريطانية سافرت أيضاً إلى الخليج ومعها عناصر ضعف واضحة لكنها لن تدفع لها ثمناً كبيراً في هذه المرة بفعل وجودها تابعاً موثوقاً به في ظل قوة جوية هائلة للشريك الأكبر . الولايات المتحدة . قادرة على علاج ثغرات هذا الضعف، وأيضاً بفعل القرب الاستراتيجي النسبي لمسرح العمليات مقارنة بجزر الفوكلاند، إضافة إلى الدروس التي استوعبتها هذه القوة الجوية من حرب الفوكلاند قبل ثمانية أعوام كاملة وعلمتها كيف يمكن ان تتهيأ في وقت قصير وتعدل من قصورها بمساعدة من الصناعات الجوية البريطانية لمواجهة مطالب العمليات.

القصور الذي صاحب الـ (RAF) عندما فاجأتها احداث الخليج وكما ذكر بعضاً منها مساعد رئيس اركان السلاح (AVM Garden) شملت: عدم توافر طائرة القتال متعددة المهام (Multi - role) التي يمكنها بمروفنة الإنتقال السريع من مهمة إلى أخرى بكفاءة ذاتية تامة، حيث طائرات القتال الرئيسية وهي التورنادو (GR 1) صممت على أعمال القصف العميق لاهداف معادية من ارتفعات منخفضة وتعاني نقصاً في أنظمة الملاحة الهجومية على الإرتفاعات المتوسطة (كان من المقرر معالجة هذا الأمر مع التحسينات التي ستبدأ في عام ١٩٩١ على أسطول هذه الطائرات بهدف دعمها بقدرات متعددة المهام لتصبح النموذج (GR) الذي سيدخل الخدمة العملياتية في أوائل ١٩٩٥).

عدم توافر نظام الإنذار المبكر والسيطرة المحمول جواً (AWACS) (كان من المقرر وصول الطائرة الأولى (E-3D) في مارس ١٩٩١ في صفقة من ٦ طائرات تعاقدت عليها الـ (RAF)

للإحلال بدلاً من المتقادمة (SHackleton) التي وضح عدم جدواها ولم تستخدم إبان حرب الفوكلاند ١٩٨٢).

أنظمة التسليح الأنسب للإستخدام في ظروف العمليات المتوقعة بمنطقة الخليج كانت وما زالت في مرحلة التقييم والإختبار العملياتي (Operational test and evaluation phase) ومن ابرزها: منظومة التصوير الحراري والتحديد الليزري للأهداف (T1 ALD) والتي توفر قدرات تهديف بالغة الدقة ليلاً ونهاراً وفي جميع الاجواء والمصممة للعمل مع النموذج المحسن (Tornado GR4) (كان ميعاد استلام الدفعة الأولى من الشركة المصنعة (GEC Ferranti) هو نهاية ١٩٩١.

الصواريخ المضادة للرادارات (ALARM) والملائمة ضد شبكات الدفاع الجوي العراقية الكثيفة كانت وما تزال تجري عليها الإختبارات العملياتية في مراكز اختبارات الأسلحة التابع للبحرية الأمريكية (USN) في (China Lake) عدم مواءمة أنظمة الحرب الإلكترونية المحمولة جواً على الطائرات مع خصائص التهديدات الالكتونية المتوقعة في مسرح العمليات حيث:

. تواجد أنظمة دفاع جوي غربية لدى العراق مثل صواريخ (SAM) طراز (Roland) وأنواع أخرى من رادارات الإنذار التي لم تتضمنها برامج تشغيل الأجهزة الالكترونية للحماية الذاتية للطائرات البريطانية.

. بطاريات صواريخ (SAM) من طراز (Hawd) المتطورة الكويتية التي استولى عليها العراقيون إبان الغزو واحتمال استخدامها.

. رادارات البحث والتتبع بنظام (PD) المتطورة بطائرات الميج ٢٩ العراقية والتي تقصر أجهزة الإنذار الرادارية (RWR) في بعض الطائرات البريطانية (البوكانير CHinook, Pnma Buccaneer) عن رصدها:

. افتقار طائرة الدفاع الجوي الرئيسية (Tornado) المنظومة حماية ذاتية الكترونية عدا مستقبل الإنذار الراداري (RHWR) (ربما لأن دورها كان ينحصر في مهام الحماية الجوية فوق الأراضي الصديقة).

. افتقار طائرة الاستطلاع البحري (Nimrod MK2) لمنظومة حماية ذاتية الكترونية عدا مستقبل الإنذار الراداري (EW-1017) بينما يتوقع لها مع إضافة مهام البحث والإنقاذ (SAR) في شمال الخليج مواجهة مقاتلات عراقية متطورة.

. ضعف قدرات النقل الجوي في تأمين مطالب النشر والتعزيز لقوات بريطانية خارج مسرح عمليات وسط أوروبا (حيث ما يزال يعتمد اسطول النقل الجوي لـ (RAF) على حوالي ٥٤ طائرة من

المتقادمة (C-130H) بسعتها النقلية المحدودة على الرغم من تعزيزها بمنظومات تزود بالوقود جواً إبان وفي أعقاب حرب الفوكلاند ١٩٨٢).

أما عن حجم الالتزام الجوي البريطاني في الحرب، فقد شملت القوة الجوية البريطانية . وكما يوضحها الجدول (٣) المرفق . على (٩٠) طائرة قتال إضافة إلى (٤) طائرات استطلاع بحري، و(٢١) طائرة اسناد و(٢٧) هيلكوبتر خصصت لدعم الفرقة الأولى المدرعة البريطانية مباشرة، ويمثل هذا الحجم من ناحيتي الكم ونوعية الطائرات المشاركة المرتبة الثانية بين دول التحالف التي شاركت بمجهود جوي في الحرب على حجم الإنجاز الذي حققته القوة الجوية البريطانية، فقد نفذت حوالي (٦٢٠٠) طلعة جوية أي بنسبة ٥,٦٪ من اجمالي الطلعات الجوية لطائرات الحلفاء (١١٠,٠٠٠طلعة) منها (٤٠٠٠) طلعة عمليات بين الطلعات الأخرى للإسناد. وقد أسقطت القوة الجوية البريطانية حوالي (٣٠٠٠) طن من الذخائر منها (١٠٠) حاوية ذخيرة مضادة للمدارج (Hunting JP 233) (٦٠٠) قنبلة (١٠٠٠) رطل وحوالي (١٢٠) صاروخ مضاد للرادارات (ALARM). فقدت القوة الجوية البريطانية (٩) طائرات قتال منها (٢) طائرتان خلال التدريب قبل العمليات (واحدة تورنيدو (GR 1) والاخرى جاجوار و(٧) طائرات خلال العمليات جميعها تورنيدو (GR).

لقد انجزت الـ (RAF) مهامها الموكلة إليها بكفاءة وأدت دوراً بارزاً لم يتوفر لها في جنوب الاطلنطي في صيف ١٩٨٢، وتحملت أعباء أصحب الواجبات في هذه الحرب قاطبة وهي إغلاق القواعد الجوية الرئيسية للخصم في الأيام الأولى للعمليات من على ارتفاعات منخفضة ومن خلال هجمات ليلية متتابعة في منطقة تفوق الخصم الوحيدة والمتبقية وهي المدفعيات م/ط وصواريخ الكتف الحرارية، وتالياً سنتعرض لأبرز إنجازات طائرات القتال الرئيسية لدى القوة الجوية البريطانية في الخليج إضافة إلى الدور المميز للجانب البريطاني لتهيئة طائراته في مجال الحرب الالكترونية.

القاصفة (Tornado GR1): تحملت العبء الرئيسي في إغلاق (١٥) قاعدة جوية عراقية رئيسية باستخدام الحاويات (FP 233) التي تفرض طيراناً بالغ الانخفاض فوق الأهداف، وقد تم تأمين هذه الطلعات من أعلى بواسطة المقاتلات الأمريكية التابعة لـ (USAF) والـ (USN) إضافة إلى اسنادها بطلعات إخماد الدفعات الجوية (S E A D) المحيطة بالأهداف بواسطة طائرات (F-4G) الأمريكية وكذلك التورنيدو المجهزة بصواريخ

(ALARM) نشرت هذه الصواريخ لأول مرة واستخدمت في الحرب بتوسع حيث نفذت الكمية المتاحة لدى الـ (RAF) بحلول يوم ١٩٩١/٢/١٣م. وبسبب صعوبة هذه المهام خسرت القوات الجوية البريطانية ٤ طائرات في الأيام الخمسة الأولى من الحملة.

واعتباراً من ١٩٩١/١/٢٥ ومع وضوح ضعف الرد العراقي وإحراز الحلفاء للسيادة فوق المسرح ورحيل الطائرات العراقية شرقاً إلى إيران (٤٣ طائرة منها ١١٠ طائرات عسكرية) لم يعد هناك مبرر لمزيد من هذه المهام، وتحول الأمر إلى مهام على ارتفاعات متوسطة وباستخدام القنابل، ١٠٠٠ رطل العادية أو المجهزة بمجموعة التوجيه الليزرية (LGB) وهي التي تستخدم ضد الأهداف المحددة والدقيقة كالجسور

جدول ص ١٠٢

جدول (٣): قوة طائرات السلاح الجوي الملكي في الخليج

(RAF Aircraft in the Gulf)

Role	Type	Qt.
Sirike	Tomado GR.I	4
*strike	Bucancer, 2B	2
Air defence	Tomado F3	1
Attack	Jaguar GR. IA	2
Reconnaissance	Tomado GR. IA	1
MR recon.	Nimrode MR. MK2	8
** Transport	C- 130 H	1
	Tristar	2
	Bac – 125 (VII)	6
Tanker	VC – 10	4
	Victor	7
*** Helicopter	Puma	1
	Chinook	1
		4
		8
		1
		6
		1
		1

- وصلت إلى المسرح في ٩١/١/٢٧ لدعم طلعات الـ (Tornado GR I) بتحديد الأهداف لها ليزريا.
- * شملت (٢) طائرة من السلاح الجوي النيوزيلندي.
- عملت جميعها في دعم الفرقة الأولى المدرعة البريطانية

وحظائر الطائرات، وبدأ الأمر صعباً لعدم توافر الإمكانيات بنظام الملاحة الهجومي لطائرة الأستخدام الـ (LGB) وهو ما دفع إلى نشر سرب (١٢ طائرة) من البوكانير

(Buccaneer) في ١/٢٧ المجهزة بحاوية التهديف الليزرية (pave Spike) لتتولى إضاءة الأهداف للتورنادو (GR 1) كأحد الحلول العاجلة رغم الصعوبات العديدة التي صاحبت ذلك بفعل الإتصالات بين كل من التورنيدو البوكانير المصاحبة وطائرات الاواكس القائمة بالتوجيه والسيطرة وهو ما سبب اسقاط طائرة تونيدو (GR 1) بصاروخي (S A M) لانشغال طياريها عن سماع الإنذار عنهم كما صرح بذلك (A V M Wratten) قائد القوة الجوية البريطانية في الخليج، هذا القصور عولج من خلال نجاح شركة (GEC Fertanti) في خلال أسبوعين من استكمال اختبارات حاويات التصوير الحراري والتحديد الليزري للأهداف (TIALD) ونشرها على وجه السرعة للعمل على طائرات التورنيدو (GR 1) اعتباراً من ٢/٩/ ١٩٩١، الأمر الذي أضاف قدرات ذاتية إليها في استخدام الأسلحة الدقيقة مثل (L G B) وقد حققت هذه الحاويات ٢٢٩ إصابة مباشرة للأهداف دون إصابة طائرة واحدة خلال الـ ١٨ يوماً المتبقية على انتهاء الحملة الجوية.

طائرة الهجوم الارضي (Jagaur GR.1A): قصرت مهامها على طلعات نهارية قصيرة المدى ضد القوات البرية العراقية في الكويت ومواقع الصواريخ (Silk Worm) المضادة للسفن وزوارق الدورية السريعة العراقية، حيث تفتقد إلى الرادار ونظام الملاحة الهجومي الحديث بعكس النموذج الفرنسي (AS - 30L) في عمليات نهارية وليلية واستخدمت في ذلك القنابل العادية ١٠٠٠ رطل، والصواريخ الحرة الأحدث عيار ٧٠ ملم (7 - GRV) الذي أدخل على الخدمة العملياتية حديثاً في أواخر ١٩٩٠، وقد أمنت لها الحماية الذاتية صواريخ (9- A I M) التي جرى تجهيزها به حديثاً على حمالات اطلاق أعلى الأجنحة.

طائرة الدفاع الجوي (Tornado): كانت من النماذج التي أدخل عليها تحسينات المرحلة الأولى وابرزها الرادار المحسن (Foxhunter) والصواريخ جو ـ جو (A I M 9M) بدلاً من المتقادمة (A I M - 9L) وقد اقتصرت مهامها على دوريات جوية قتالية (CAPS) لحماية القواعد الجوية في السعودية في إطار شبكة دفاع جوي متكاملة تديرها طائرات الـ (AWACS) الأمريكية والسعودية وبمشاركة طائرات (F- 15C) الأمريكية ونظيرتها السعودية.

طائرة الاستطلاع التكتيكي (Tornado Gr.1A): مثلت قيمة كبيرة خلال الحرب بتوفيرها قدرات استطلاع ليلية ومراجعة المعلومات المقدمة آنياً، وقد زادت اهميتها عندما أصبح من الضروري

تحديد أماكن قوات الحرس الجمهوري ومواقع الصواريخ (Scud) وذلك من خلال تجهيزها بنظام (Vinten) الوحيد المخصص للكشف بالأشعة تحت الحمراء (I R) بواسطة ثلاث مستشعرات، وعلى سرعات عالية (M= O, 9-1,2) وفي كافة الأجواء وعلى الارتفاعات المنخفضة ليلاً وقد بدأت في مهام الطلعات الاستطلاعية وعلى ارتفاعات منخفضة فوق الأراضي العراقية وشمال الكويت ولفترات مطولة اعتباراً من يوم ٩١/١/٢١.

أنظمة الحرب الالكترونية المحمولة جواً

(Airborne EW) (Systems):

عاود البريطانيون استخدام مفهوم التجهيز السريع (Quick Fix) لأنظمة الحرب الإلكترونية للحماية الذاتية على الطائرات لمواجهة القصور الذي شابها في مواجهة التهديدات الالكترونية المتوقعة في مسرح العلميات بالخليج، معاودين بذلك دوراً مثيراً سبق لهم انجازه إبان حرب الفوكلاند ١٩٨٢:

وقد شملت أبرز الإنجازات في هذا المجال:

تعديل برامج التشغيل (Software) لأنظمة الحرب الالكترونية المحمولة جواً لطائرات القتال التورنيدو (GR1/F3) والجاجوار (GR.1A) لتتضمن تهديدات الأنظمة الغربية للدفاع الجوي لدى العراقيين.

تعديل برامج تشكيل أنظمة الحرب الالكترونية للطائرة التورنادو (GR1) بعد الأسبوع الأول من الحملة الجوية لمواجهة تحولها إلى الارتفاعات المتوسطة في العمليات.

تجهيز الطائرات بأنظمة حرب الكترونية للحماية الذاتية لم تكن تتوافر فيها:

. تركيب موزعات الرقائق المعدنية والمشاعل الحرارية (CHaff/Flare Dispensers) طراز (ALE/40) لطائرات التورنادو (F3) والجاجوار (GR. 1A).

. تركيب مستقبل انذار راداري جديد له قدرة استشعار البث الراداري النبضي الدوبلري (PD) للمقاتلات العراقية ميج ٢٩ وذلك على كل من الجاجوار والبوكانير والعمودية البوما والشينوك.

. تركيب مواد امتصاص الأشعة الرادارية (RAM) عبارة عن شرائح (Tiles) يتم لصقها مع مداخل هواء المحرك، والحافات الأمامية للأجنحة واسطح الذيل، لتقليل المقطع الراداري (C S) لطائرات التورنادو (GR1/F3) والجاجوار (GR 1A) المتجهة إلى الخليج.

تركيب الاشراك الرادارية المقطورة (T R D) بطائرات النمرود (Nimrod MR Mk2) المخصصة لأعمال الاستطلاع البحري وإدارة مهام الـ (S A R) في أعلى الخليج، وذلك كأهداف خداعية لجذب الصواريخ الرادارية جو . جو إليها على مسافة آمنة خلف الطائرة.

رابعاً: مجال الإسناد الإداردي: (Logistic Support):

نقل ونشر القوات البريطانية في منطقة الخليج: مثلت عملية جرانبي (Granby) أكبر عمليات النشر لقوات بريطانية منذ الحرب العالمية الثانية والتي استلزمت قدرات نقل متنوعة هائلة (على سبيل المثال فالفرقة المدرعة الأولى البريطانية التي نشرت من الأراضي الالمانية إلى الخليج كانت تحتوي ٢٨,٠٠٠ فرد و١٥,٠٠٠ عربة منها ٢٦٠٠ عربة مدرعة) لدفع القوات والمعدات والمؤن والذخائر من قواعد الجيش البريطاني في كل من ألمانيا وبريطانيا ويوضح الجدول رقم (٤) المرفق بياناً بحجم القوات والعتاد الذي تم نشرها والوسائل المستخدمة في نقلها ويبرز في هذا المجال عدة نقاط هامة:

أ . الدور البالغ لشركات النقل الجوي المدينة في سد الثغرات التي يفرضها قصور طائرة النقل الجوي لـ (R A F).

ب . رغم السرعة التي وفرتها إقامة الجسر الجوي في بدء النشر، الا ان الجسر البحري ظل يشكل عمل النقل الأساسي حيث تولى نقل المعدات الثقيلة باجمالي (٦٥٧,٠٠٠) طن مقابل(٥٣,٠٠٠) طن فقط للنقل الجوي أي بنسبة ١:١٢:

ج . قيمة أسطول النقل التجاري في دعم الإنتشار في ظروف العمليات والذي تولى تنفيذ ١٤٤ رحلة بحرية في الفترة الزمنية المطولة المستغرقة في دفع القوات المدرعة الرئيسية في مناطق تمركزها في وسط أوروبا (ألمانيا) إلى منطقة الخليج (تستغرق الرحلة البحرية فقط حوالي ٢٢ يوماً حتى الوصول إلى ميناء التفريغ).

الإسناد الاداري للقوات في مسرح العمليات:

مثل مهمة شاقة لطبيعة المعروف عن الإسناد الإداري في مسارح العمليات الصحراوية باعتبار التجارب السابقة في حرب شمال افريقيا إبان الحرب العالمية الثانية إضافة إلى وجود عوامل إخرى من ابرزها بعد المسافة الكبير بين منطقة انتشار الفرقة الأولى المدرعة غرب وادي الباطن وبين قاعدة الامداد الرئيسية في ميناء الجبيل شرق السعودية والتي تصل إلى ٢٨٠ميلاً، الأمر الذي دفع إلى انتشار سلسلة قواعد إدارية عرضية عبر تلك المسافة لمواجهة الإستهلاك اليومي المتوقع للفرقة (يبلغ في المتوسط في ظروف العمليات ١٢٠٠ طن ذخائر، ٥٠٠,٠٠٠ لتر وفود ٤٠٠,٠٠٠ لتر ماء، اضافة إلى حوالي ٣٠,٠٠٠ وجبة غذائية فردية).

ويبرز في جهد تقديم الإسناد الاداري الذي تم في مسرح عمليات الخليج عدة حقائق هامة تشتمل:

. ضخامة حجم وسائل النقل التي تولت توفير الاحتياجات للفرقة الأولى المدرعة البريطانية والتي شملت:

٨٠٠ عربة تتضمن ناقلات دبابات وصهاريج وقود وسيارات لاندروفر.

٧ طائرات نقل (C - 130).

١٦ طائرة عمودية (بيوما) (R A F).

١١ طائرة عمودية (شينوك) (R A F).

١٢ طائرة عمودية (سي كينج) (R N).

. قطعة وسائل النقل البرية حوالي ١٤ مليون كم، بمتوسط طول قافلة يومية تصل إلى ٦٨كم طولاً.

. تولت وسائل النقل الجوي نقل امدادات ذات اولوية إلى مدارج هبوط ومهابط طائرات عمودية أنشأ على وجه السرعة خلف منطقة نشر الفرقة.

استنتاجات ورؤى مستقبلية بريطانية:

بداية يرى البريطانيون أنه من غير الحكمة الوصول إلى استنتاجات دقيقة يمكن تعميمها في حروب أخرى قادمة قد ترى بريطانيا نفسها متورطة فيها وذلك لاعتبارات منها:

. ان العدو في حرب الخليج كان أقل من خصم قادر على المواجهة حيث: .

تعلم دروساً خاطئة من حرب الثماني سنوات مع الايرانيين (خاصة مسألة حرب الاستنزاف) ولم يتهيأ لمواجهة آلة عسكرية محترفة كالآلة الغربية، وان سلاحه الجوي هجر جيشه وفر إلى ملاذ في دولة أخرى، وهو ما لم تفعله قوة جوية أخرى في التاريخ.

إن هناك مناخاً دولياً سمح بنقل قوات مناسبة من مسرح عمليات إلى آخر وعبر خطوط واصلات بحرية طويلة لم تتعرض بأي حال لمحاولة قطعها أو التأثير عليها.

إن هناك مرافئ بحرية وتسهيلات جوية بالغة الحداثة وفرتها الدول المضيفة في مسرح العمليات المحيط بالخصم قد لا تتوفر في أي صراع مسلح آخر.

إن هناك دعماً إدارياً وفرته الدول المضيفة قلص إلى حد بعيد من مطالب الإسناد عبر خطوط مواصلات مطولة من أرض الوطن.

إن الدور البريطاني كان "التابع الأكثر وثوقية" للشريك وهي الولايات المتحدة بآلتها العسكرية الهائلة التي عالجت أوجه قصور عديدة في الآلة العسكرية البريطانية التي جاءت إلى الخليج الأمر الذي قد لا يتكرر دائماً.

إن هناك وللمرة الثانية على التوالي خصماً يواجه البريطانيين بقدر كبير من الغباء الاستراتيجي في إدارة الصراع المسلح (الأرجنتين في حرب الفوكلاند ١٩٨٢ والعراق في حرب الخليج ١٩٩٠) ويسمح بفترة زمنية طويلة للنشر والتأهب المضاد للآلة العسكرية البريطانية الأمر الذي قد لا يتكرر للمرة الثالثة.

أظهرت الحرب قيمة التواجد البريطاني في إطار تحالفات دولية سياسية وعسكرية منظمة فقد وفر تواجد الجيش البريطاني في ألمانيا (B A O R) دفع عناصر رئيسية منه (الفرقة الأولى المدرعة البريطانية) وكذلك من طائرات السلاح الجوي (R A F) المتمركزة في ألمانيا مؤهلة للعمل تحت قيادات أمريكية تكتيكية وبعقيدة قتالية موحدة كما كان الحال في تدريباتهم المشتركة في المسرح الأوروبي الأوسط.

اظهرت الحرب قيمة القاعدة الصناعية البريطانية في سرعة تأهيل معدات القتل الرئيسية (على النحو الذي عرضنا له تفصيلاً) للجيش والسلاح الجوي سواء بالتعديلات التي اجريت قبل دفعها للنشر في الخليج أو داخل المسرح نفسه من خلال نشر فرق هندسية مدنية بلباس عسكري وفرت تقديم المشورة الفنية وأمنت درجات عالية من الإعتمادية والجاهزية للمعدات طوال الحرب، الأمر الذي يجعل من إبقاء السيطرة الوطنية على تلك الصناعات واستمرارها مسألة أمن قومي بالدرجة الأولى.

إن مفهوم التأهيل السريع (Quick Fix) خصوصاً في مجال الحرب الالكترونية لطائرات السلاح الجوي الملكي وإن كان قد حقق اهدافه في حربين متتاليتين خلال عقد واحد (فوكلاند والخليج) فإن الأمر المؤكد أنه لن يحقق ذلك في المستقبل مع تعقد الكترونيات الطيران وتجميع إدارة إنظمتها في إطار حاسب مهام رئيسي واحد لن يتيح إضافة أجهزة حرب الكترونية الا بعد إصدار برامج تشغيل جديدة قد يستغرق اعدادها شهوراً كاملة.

أظهرت الحرب قيمة حيازة طائرات متعددة المهام (Multi - Role) حيث اقتصرت الطائرات البريطانية التي شاركت على تنفيذ مهام دون أخرى، الأمر الذي يفرض الإسراع في تحديث الـ (Tornado) إلى النموذج المتعدد المهام (Tornado) والإصرار على انتاج الأوروبية (E F A) بخطوات متسارعة رغم مشاكل الشركاء وتعاظم التكلفة الحالية لها.

اظهرت الحرب تنامي قدرات الأطراف الاقليمية في الصراعات المسلحة الآتية والمستقبلية فهناك (٨١) صاروخ سكود بالستياً اطلق من قبل العراقيين على دول وقوات التحاف وقبلها (٦٠٠) صاروخ سكود تبادلتها إيران والعراق في حربهما الممتدة ثماني سنوات، وليس ببعيد الوصول إلى رؤوس غير تقليدية لها، وقد تذهب بريطانيا إلى حروب اقليمية لحماية مصالح لها وبصورة متفردة ربما في الخليج

أو جنوب الالطنطي، أو في جنوب شرق آسيا، الأمر الذي يفرض من الآن الإسراع في التهيؤ لمواجهة هذه الأخطار الجديدة من خلال توفير قدرة ردع نووي دون الاستراتيجي (Substrategic Nuclear capability) يمكن بها مواجهة مثل هذه التهديدات الإقليمية، حالياً هناك جدل في الخيار بين تطوير الصاروخ (D S) لأسطول غواصات (Trident) ليشمل رؤوساً تكتيكية أو لانتاج صاروخ تكتيكي نووي جو . سطح (T A S M) له امكانية الإطلاق البعيد (Stand off) من على متن طائرات (R A F).

. الإسراع في توفير أنظمة دفاع جوي متوسطة المدى (M S A M) تتضمن قدرات التعامل مع الصواريخ البالستية (A T B M) (بدلاً من صواريخ (S A M) طراز (Bloodhound) والتي تم خروجها من الخدمة في أوائل عام ١٩٩٠)، وبها امكانيات النشر السريع لتأمين قوات بريطانية تخوض حروباً منفردة في مناطق بعيدة عن أرض الوطن وتتعرض خلالها لتهديدات الصواريخ البالستية التكتيكية التي قد تحمل قدرات غير تقليدية.

أظهرت هذه الحرب وقبلها حرب الفوكلاند ١٩٨٢ أنه لا يمكن قبول استمرار العجز في قدرات النقل الجوي الـ (R A F) خارج مسرح العمليات الأوروبي، وأصبح من الملح الآن الأسراع في احلال الأسطول المتقادم بقدرات نقل جوية تؤمن نشراً كمياً موقوتاً لقوات بريطانية إلى مسارح عمليات بعيدة وتدرس بريطانيا حالياً خياراً بين احلال المتقادمة (C - 130H) أما بالنموذج الأحدث (C - 130G) أو بالروسية (AN - 70) التي تمتلك ٥٠٪ زيادة في الحمولة المربحة لـ (C-130H) وكذلك المدى الذي يصل إلى ٥٥٣٠ كلم ويؤمن الوصول إلى مسرح الخليج بالحمولة القصوى مباشرة دون الحاجة إلى اعادة تزود جوي بالوقود).

كلمة أخيرة:

عندما عاد البريطانيون من حملة جنوب الاطلنطي (الفوكلاند) في صيف عام ١٩٨٢ كانوا قد انتصروا ودفعوا ثمناً باهظاً لذلك شمل غرق ٦ سفن حربية واسناد، وإصابة ٧ سفن أخرى وخسارة ٣٤ طائرة قتال وعمودية وفقد ١٨ عربة مدرعة و ٢٥٠ قتيل، ورغم ذلك كانوا أكثر ثقة في المستقبل وفي قمة عنفوانهم الوطني، فقد اداروا منفردين حرباً في مسرح بعيد للغاية واستردوا ارضاً واسترجعوا هيبة.

وعندما عاد البريطانيون من حملة الخليج في أوائل صيف ١٩٩١ كانوا أيضاً قد انتصروا وربما دفعوا لذلك ثمناً زهيداً للغاية شمل خسارة ٩ طائرات قتال وفقد ٣ عربات مدرعة و ١٦ قتيلاً، وبرغم قوة الإنجاز وزهوة النصر السريع، كانوا أقل ثقة في المستقبل الذي يحمل كثيراً من الغموض ويفرض كثيراً من الجهود وضع كثيراً من الهموم، فهم ينظرون لما حدث في الخليج على انه قد لا يتكرر بصورته

وصورتهم المثالية كشريك تابع لقوة عظمى وأمام خصم حمل في داخله قبل الطلعة الأولى عوامل انهياره، والغالب بل والمؤكد ان عليهم أي البريطانيين ان يتهيأوا من الآن لحرب بعيدة قد يديروها منفردين وأمام خصم قد يملك آلة عسكرية وفكراً استراتيجياً يصعب مواجهته.

الاختصارات المستخدمة:

CAPs Combat Air Patrols

Raf Royal Air Force

RN Royal Navy

AVM Air Vice Marshal

SAS Special Air Services

BAOR British Army of The Rhine

AEW Airborne Early Warning

EW Electronic Warfare

NATO Noth Atlantic Treaty Organization

CFE Conventional force in Europe

FAC (G)

Fast Attach Graft (Missile)

MCM Mine Counter Measures

AFV Armoured Fighting Vchicles

VDS Vichers Defence Systems

SP Self Propelled

PD Puls Doppler

USAF United States Air Force

USN United States Navy

References:

Britain and nato, Natos Sixteen Nations, Special issue Vol.34

Military Technology, Vol/XV, Issue 7.1991

Military Technology, Vol/ XV, Issue7. 1991

Militarg Techno Logg, Vol/XV, Tssu 12 - 1991
Military Technology, Vol/TIT, Issue 2. 1989
Interavia. Vol/ 86, december 1991
JDW. Vo118, No10.5 September 1992
Aviation Weekl and Space Technology Apri 122-1991

وجهات النظر الفرنسية حول الأهداف
والاستراتيجيات في حرب الخليج[1]

المقدم:الهيثم الأيوبي

في حرب الخليج تواجهت إرادتان متعارضتان تسعيان إلى تحقيق أهداف واسعة على المستويين السياسي والجيوستراتيجي، ومن خلال استراتيجيتين متباينتين من حيث الاهداف والمفاهيم والوسائط، ولقد تناولت الدراسات العسكرية والسياسية الفرنسية هذه المسائل بالبحث والتحليل، وتوصلت إلى نتائج متطابقة حيناً ومتباينة حيناً آخر، وليس الغرض من هذا المقال مناقشة الأفكار التي اوردها المحللون الفرنسيون، واتخاذ موقف فكري ناقد أو مؤيد لها، وإنما هو طرح وجهات النظر الفرنسية كما جاءت مع ايجازها ضمن حدود الممكن.

حول أهداف القوات المتحالفة واستراتيجيتها:

يذكر الجنرال الجوي جان فلوري ان القوات المتحالفة دخلت حرب الخليج لتنفيذ هدف حددته الامم المتحدة، ويتمثل في "انهاء احتلال الكويت" وان القوات المتحالفة حددت الاستراتيجية اللازمة لتحقيق هذا الهدف، آخذة في الإعتبار عاملين هما: انقاص خسائر المتحالفين إلى أدنى حد ممكن وتجنب الحاق الخسائر البشرية بالمدنيين أو الإضرار بالأماكن المقدسة.

ويتطابق رأى الجنرال بيير جالوا مع الرأي الجنرال فلوري حول الإضافة المتعلقة بخسائر القوات المتحالفة، ويشير إلى ان إعداد الحرب وإدارتها قد تما بشكل يضمن تحقيق النصر بدون خسائر بشرية، الأمر الذي يلائم المجتمعات الغربية، ويضمن التفاف المواطنين في الدول الغربية حول الحرب وعدم معارضتهم لها.

---

[1] الاتحاد . أبو ظبي ١٧ /١/١٩٩٢.

ويذكر الجنرال هنري باريس والعقيد كلود داجيرال ان الاستراتيجية التي طبقتها القوات المتحالفة تحمل بصمات أمريكية واضحة، بل هي نسخة طبق الأصل عما اعد من قبل لخوض الحرب في أوروبا، وهي في جوهرها . كما يقولون . "استراتيجية جزيرية" تحمل سمات "الإستراتيجية غير المباشرة" التي تتحاشى الصدام الجبهي المباشر مع الخصم قبل انهاكه بالضربات الجوية، لقد كان هدف الضربات الجوية تدمير البنى التحتية اللازمة للمجهود الحربي، وذلك على امتداد الأراضي التي يشغلها العراقيون في الكويت والإنتقال بعد ذلك إلى تدمير الترتيب الدفاعي البري، لذا فقد تم الهجوم الجبهي البري الحاسم في ١٩٩١/٢/٢٤ ضد خصم منهك إلى درجة تجعل دفعه كافياً لسقوطه.

ويعيد الكاتبان استراتيجية القوات المتحالفة إلى منابعها الأصلية أي إلى الإستراتيجية التي وضع اسسها الجنرال الإيطالي دوهي في عشرينات القرن الحالي، عندما أكد امكانية الحسم عن طريق السيطرة على الجو واستخدام القصف الجوي الاستراتيجي لكسر إرادة الخصم ثم جاء الكاتب الاستراتيجي البريطاني ليدل هارت ليؤكدها بعد ذلك بشكل أقل راديكالية وليركز في الوقت نفسه على ضرورة تزامن السيطرة الجوية مع امتلاك قوة برية مدرعة وميكانيكية تعتمد على سرعة العمل.

ويذكر الجنرال الجوي جان فلوري أن قائد القوات المتحالفة الجنرال شوارزكوف اختار الاستراتيجية الجوية لان طول مدى الطائرات ودقة قصفها يسمحان بتنفيذ ضربات دقيقة ضد مراكز الخصم الحساسة المنتشرة في العمق، كما يذكر ان هذه الإستراتيجية الجوية تضمنت مرحلة جوية بحتة استهدفت ابطال المراكز العراقية الحساسة وتدمير المنشآت النووية والكيمياوية واعقبتها عملية برية . جوية مع إحاطة واسعة، في حين تابعت القوات البحرية الضغط والمشاغلة وكأنها تنوي القيام بإنزال بحري على سواحل الكويت.

ولقد تم تنفيذ الجانب الجوي من هذه الاستراتيجية على أربع مراحل: كانت أولاها مستقلة عن العمليات البرية اللاحقة واستهدفت تحقيق السيطرة الجوية وتدمير الأهداف الإستراتيجية وقع الإتصالات، في حين استهدفت الثانية تدمير وسائط الدفاع الجوي على امتداد منطقة العمليات المستقبلية، أما المرحلة الثالثة التي استمرت فيها ضربات المرحلتين الأولى والثانية، فقد كان هدفها تدمير طرق المواصلات وتليين الموقع في الخطوط الدفاعية العراقية المتعاقبة تمهيداً لزج القوات البرية في المعركة، وتضمنت المرحلة الرابعة والأخيرة الحافظ على السيطرة الجوية المكتسبة، وتدمير الأهداف الإستراتيجية التي تمكن العراقيون من إصلاحها وتقديم الدعم الجوي المباشر للقوات البرية المشتبكة في القتال.

وكان الجانب البري عبارة عن عملية التفاف واسعة ينفذها الفيلق ١٨ المندفع نحو السلمان ثم نحو السماوة بغية تطويق القوات العراقية المنتشرة في الكويت وجنوب العراق وتغطية الفيلق السابع المندفع نحو تشكيلات الحرس الجمهوري المنتشر جنوبي البصرة، في حين تقوم بقية القوات البرية المتحالفة بهجوم جبهي يغلق الطوق من الجنوب ويدمر التشكيلات العراقية المنتشرة في الكويت، أما الجانب البحري من الإستراتيجية فقد تمثل في تثبيت القوات العراقية على ساحل الكويت من خلال اجراءات تدفع العراقيين إلى الاقتناع بقرب قيام القوات المتحالفة بعملية انزال برمائي واسعة النطاق وما دام الهدف هو المشاغلة فقد وضعت الوسائط الجوية التابعة للأسطول ومشاة البحرية في خدمة الجانب الجوي من الإستراتيجية كما وضعت تشكيلات مشاة البحرية ودبابتها في إطار الجانب البري من تلك الإستراتيجية.

ويشير العقيد دانييل باستيان إلى الترابط الوثيق بين الإستراتيجية الجوية والمعركة "الجوية . البرية" التي تحقق فاعليتها عبر مراحل ثلاث:

. تأمين السيطرة الجوية (أو على الأقل تدمير مقرات القيادة والقواعد الجوية ووسائط الدفاع الجوي).

. تدمير النسق الثاني لقوات الخصم وقواعده اللوجستيكية وخطوط مواصلاته . دعم القوات البرية المشتبكة في القتال عند الضرورة، وهو يرى أن القوات المتحالفة قد أطالت مدة المرحلتين الأولى والثانية، ونفذت في بعض الحالات وبآن واحد مهاماً تتعلق بعدة مراحل وأمنت الإبطال التدريجي لتشكيلات النسق الأول العراقي قبل بدء الهجوم البري.

ويؤكد العقيد باستيان: ان تحقيق السيطرة الجوية ضروري قبل أية عملية جوية . برية كبيرة، ويذكر انه كان أمام القوات المتحالفة سبيلان للبدء بتحقيق هذه السيطرة هما: تدمير الطائرات وصواريخ الدفاع الجوي وتعطيل مدارج المطارات "أي تدمير عضلات الخصم واحدة تلو الاخرة"، أو البدء بشل "جهازه العصبي" المتمثل في شبكات الإتصال الخاصة بالقيادة والدفاع الجوي، ولقد اختارت القوات المتحالفة السبيل الثاني، ولم تمض عدة أيام حتى أصبح من المتعذر على العراقيين استخدام رادارات الدفاع الجوي، الأمر الذي جعل الوسائط العراقية الكبيرة التي بقيت بعد القصف الجوي عديمة الفاعلية.

وما ان تحققت السيطرة الجوية حتى صار بالإمكان استخدام الطيران بحرية كبيرة في مهام استهدفت تدمير صواريخ الدفاع الجوي، مدارج المطارات وملاجيء الطائرات "٦٠٠ ملجأ" وطرق المواصلات ومصانع الأسلحة، ومستودعات الذخيرة، وتجمعات القوات في العمق وبخاصة تشكيلات الحرس الجمهوري، بفضل هذا القصف في العمق وقصف النسق العراقي الأول بعد ذلك انخفضت

القدرة القتالية العراقية إلى حد بعيد، مما سمح للقوات المتحالفة البرية بخوض القتال في وضع ملائم جداً.

وينهي العقيد باستيان هذا الطرح بامتداح الجنرال شوارزكوف الذي أحسن اختيار تاريخ الهجوم البري، وفقاً للتقديرات الخاصة بما حققه الطيران من تدمير، فلم يكن التاريخ مبكراً، وغلا لتعرض المتحالفون لخسائر كبيرة. لنتذكر عنف القتال في الخفجي. ولم يكن متأخراً في نظر الرأي العام، ولقد أعاد المحرر العسكري لصحيفة لوموند إطالة مدة القصف إلى سببين هما: الشروط الجوية والعواصف الرملية التي عطلت الغارات الجوية، والتأخر في تحليل نتائج الغارات الجوية ضد أهداف مطمورة ومموهة جيداً.

من أجل تطبيق الإستراتيجية الجوية وضعت القوات المتوافر. كما يقول العقيد باستيان. تحت أمرة قيادة جوية مركزية واعتبرت المنطقة كلها مسرح عمليات جوية واحدة وكان هذا التدبير ضرورياً نظراً لتعدد القوى الجوية التابعة لعشر دول (الولايات المتحدة، فرنسا، بريطانيا، السعودية، كندا، البحرين، الإمارات العربية المتحدة، إيطاليا، قطر، الكويت) وحتمية إعداد خطة العمليات الجوية بحيث تشمل كافة الوسائل المنوي استخدامها، لذا كان هناك في كل يوم "أمر جوي" واحد يتضمن كافة التحركات الجوية في مسرح العمليات، أي ما يعادل ٢٠٠٠ . ٣٠٠٠ طلعة/ طائرة يومياً، وكانت كل عملية جوية هجومية تتم وفق خطة دقيقة تضمن التنسيق والتكامل بين الطائرات القاذفة . المقاتلة والطائرات المرافقة لها. مقاتلات اعتراضية، طائرات حرب الكترونية، طائرات صهريج، طائرات تعمل كمراكز قيادة طائرات انذار وسيطرة (A W A C S) علماً بأن مجموع الطائرات المشتركة في عملية واحدة كان يصل في بعض الحالات إلى ١٥٠ طائرة.

وتركز الدراسات الفرنسية إلى أن نجاح الإستراتيجية الجوية للقوات المتحالفة كان مرهوناً بنجاح الحرب الإلكترونية، والحرب الإلكترونية المضادة، وتمكنها من إعماء القوات العراقية، وتشويش اتصالاتها وحرمانها من القدرة على الرد بفاعلية فمنذ الساعات الأولى لبدء العمال الحربية امتلكت الولايات المتحدة ناصبة هذه الحرب وفي مخروط تشتمل قاعدته العراق والسعودية والبحر الاحمر وشرق المتوسط وجنوب تركيا والخليج وغرب إيران، وتقع ذروته في الفضاء على ارتفاع ٣٦٦٠٠ كيلو متر تمكنت الإلكترونيات من إصابة القوات العراقية بالصمم والعمى، مما أدى إلى شللها بشكل كامل، ولم يبق سوى أن تتعرض الدولة كلها للسحق بضربات جوية بلغت قوة انفجارها ما يعادل قوة انفجار ٦ قنابل هيروشيما مع توزيع افضل لقوة التدمير، دون أن تتعرض القوات المتحالفة لعقاب جوي، وهكذا كانت الإلكترونيات الأمريكية الخفية الصامتة الكثيفة متعددة الأشكال، وتعد تجديداً كبيراً يضع الولايات

المتحدة في موقع التقدم بالنسبة إلى بقية الدول الكبرى ويقلص بالتالي الطموحات العسكرية المستقبلية للدول الأوروبية منفردة أو مجتمعة.

"من أجل الحفاظ على حياة أكبر عدد من المقاتلين العاملين في القوات البرية ينبغي كسب الحرب عن طريق الجو" هذه هي العقيدة التقليدية في الولايات المتحدة تلك العقيدة التي يجسدها أسلوب القصف المساحي المعروف باسم (سجادة القنابل)، وهو الأسلوب المفضل لدى الجنرال كرتيس لوماي مؤسس الطيران الإستراتيجي، والصراع في الخليج عبارة عن نموذج كامل للعقيدة الإستراتيجية الأمريكية.

الهدف والإستراتيجية في الجانب العراقي:

في معرض الدعوة لبناء قوة تدخل بحرية . جوية أوروبية يشير جان فرانسوا كوستيلبير إلى الأسباب التي ستؤدي إلى اشتداد حدة الأزمات في العالم الثالث، ويقدم حرب الخليج كمثل على ذلك معتبراً أن الأزمة التي أدت إلى تلك الحرب قد نبعت من "وجود إرادة للسلطة تعمل في فرض نفسها من خلال توسيع منطقة نفوذها وزيادة قوتها الإقتصادية، وامتلاك استقلالية امداداتها".

وتعتبر معظم الدراسات الفرنسية أن أهم الأسباب التي دفعت العراق إلى غزو الكويت تتمثل بـ:

. طموحات الرئيس العراقي ورغبته في أن يكون بطل الأمة العربية كما كان الرئيس جمال عبد الناصر.

. تطلع العراق إلى الهيمنة على منطقة الخليج والإفادة من بعض ثرواتها بعد تراجع الدور الإيراني.

. ضخامة الأزمة الإقتصادية الناجمة عن مصروفات الحرب وتزايد الديون الخارجية وانخفاض سعر النفط.

وترى هذه الدراسات ان فشل العراق في حل هذه المعضلات بالطرق السلمية دفعه إلى المغامرة وغزو الكويت كمدخل لحل المعضلات عن طريق القوة وكان غزوه هذا نوعاً من "الهروب نحو الأمام".

ومن المؤكد ان هذا الغزو . كما يقول العقيد هوبيرت موديل . ما كان ليتم لولا تضاؤل تأثير الإتحاد السوفييتي على أصدقائه في العالم الثالث، صحيح أن الوجود السوفييتي في الدول النامية كان يثير قلق الغربيين، الا ان دعم السوفييت لاصدقائهم كان مترافقاً مع ضغوط تمنع هؤلاء الأصدقاء من التورط في مغامرات خطرة كما حدث في العراق، ولقد ساهمت في حدوث هذا التورط العراقي (غزوالكويت) عوامل متعددة أهمها: القناعة بعدم استعداد الولايات المتحدة للتدخل عسكرياً في الخليج بعد فشلها في فيتنام وايران ولبنان، المبالغة في تقويم القدرات العراقية رغم التباين بين إمكانات إيران

وامكانات القوة المحتمل مواجهتها، عدم تقويم مدى الضعف الذي أصاب السوفييت ومقدار عجزهم عن دعم اصدقائهم، الإعتقاد بأن الغرب لن يتخلى عن العراق بعد الدور الذي لعبه في مواجهة إيران طول ثمانية أعوام، الإعتقاد بامكانية استخدام الكويت رهينة من أجل التفاوض مع الولايات المتحدة وتحقيق بعض المكاسب مقابل الإنسحاب من الكويت في وقت كانت فيه الولايات المتحدة أو الرئيس بوش على الأقل غير راغب في هذا التفاوض، تصور صدام حسين لامكانية قيام الولايات المتحدة بتسليم العراق موقع القيادة الإقليمية في الخليج.

لتحقيق أهداف واسعة سياسية واقتصادية قام العراق بمهاجمة الكويت بأسلوب الحرب الخاطفة وفق استراتيجية هجومية تعتمد على المباغتة الاستراتيجية والإندفاع الحاسم في العمق بقوات برية . جوية متفوقة، تتمتع بالحركية وقوة النار والصدمة، وكان الرد الأمريكي سريعاً، فقبل نهاية يوم ١٩٨٩/٨/٢ أعلنت الولايات المتحدة قرارها بتعزيز وجودها الجوي والبحري في منطقة الخليج، وفي ٨/٧ انطلقت عملية "درع الصحراء" وشهدت المنطقة أكبر حشد عسكري منذ حرب فيتنام، وفي مقابل هذا الحشد المتصاعد انتقل العراق من الهجوم إلى الانتشار دفاعياً، وليس في الدراسات الفرنسية ما يشير إلى ان العراقيين قدر رأوا في قوات "درع الصحراء" تهديداً هجومياً، بل تلمح إلى بقاء القيادة العراقية تحت تأثير القناعات السابقة، وتمسكها بأن الإنتشار الدفاعي كاف للردع، وليس من المستبعد في ظل هذه القناعات ان يكون صدام حسين قد اعتقد بأن القوات الأمريكية ستغرق في الرمال مما يؤدي على المدى البعيد إلى اتفاق أو إلى نوع من التعايش.

ومع ارتفاع عدد القوات الأمريكية إلى ٥٠٠ ألف رجل وتشكيل القوات المتحالفة وتكامل الحشد العسكري واللوجستي والتخلي عن الحصار الإقتصادي كوسيلة كافية لاجبار العراق على الإنسحاب من الكويت، وقيام مجلس الأمن في ١٩٨٩/١١/٢٩ بإصدار قرار يتضمن "استخدام كافة الوسائل اللازمة" لاجبار العراق على الانسحاب تبلور الطابع الهجومي للقوات المتحالفة، وتزايدت قناعة بغداد في احتمال انتقال المتحالفين إلى الهجوم فما هي الإستراتيجية التي اختارها العراق لمواجهة استراتيجية القوات المتحالفة الهجومية؟

تقول دراسة فرنسية انه تحت تأثير المدرسة السوفييتية ودروس الحرب العراقية . الإيرانية وخبراتها، تبنى العراقيون استراتيجية تعتمد على قوة برية كبيرة، مهمتها تدمير الخصم بنيران المدفعية وصدمة المدرعات، ويقتصر دور الطيران فيها على دعم العمليات البرية، ولقد طبق العراقيون هذه الإستراتيجية بشكل هجومي عند غزو الكويت ثم قاموا بتطبيق نموذجها الدفاعي عندما انتقلوا إلى الدفاع معتمدين على أن قوتهم النارية وقدرتهم على شن هجمات معاكسة يدعمها طيران الهجوم

الأرضي ستلحق بالقوات المتحالفة خسائر بشرية كبيرة تدفعها إلى إيقاف الهجوم والدخول في المفاوضات.

وتذكر دراسة عسكرية فرنسية أخرى أن الإستراتيجية العراقية تضمنت شقين رئيسيين يتمثل أولهما في "حرب المدن" بواسطة الصواريخ التكتيكية أرض . أرض، بغية جر إسرائيل إلى الحرب مما يؤدي إلى انفراط التحالف، في حين يتمثل الثاني بالدفاع البري، مع حشد معظم الفرق المدرعة في الكويت وجنوب العراق بغية شن حرب طويلة تلحق بالقوات المتحالفة خسائر بشرية كبيرة، وتؤثر بالتالي على الرأي العام في دول التحالف، وتدفعه إلى المطالبة بإنهاء الأعمال الحربية، ولم يكن للإستراتيجية العراقية أي جانب جوي أما جانبها البري فكان يعتمد على خطوط دفاعية محصنة متعاقبة تنتشر خلفها تشكيلات الحرس الجمهوري للقيام بالهجمات المعاكسة إذا ما تمكنت القوات المتحالفة من خرق الترتيب الدفاعي والتقدم في العمق، على أن يقوم الطيران بمهمة الدعم المباشر، إن هذا المفهوم الاستراتيجي العراقي يدعو إلى الاستغراب لأن العراقيين اكتشفوا إبان المرحلة الأخيرة من الحرب مع إيران الأهمية الإستراتيجية للطيران البعيد المدى، وقدرته على تدمير المراكز الصناعية والنفطية ولكنهم لم يستفيدوا من هذه الدروس في ١٩٩١ وبقيت استراتيجيتهم محرومة من البعد الثالث.

لقد كان على العراق ان يدخل الاستراتيجية الجوية في خطته، وأن يركز اهتمامه على الدفاع الجوي ويحشد كافة الوسائط الكفيلة بتحقيقه، وأن يؤمن ملاءمة أنظمة الكشف والسيطرة مع تهديدات ومتطلبات الحرب الإلكترونية الحديثة، وأن يستخدم بقية طائراته لتنفيذ ضربات كثيفة ضد أهداف حساسة مختارة بعناية وغير بعيدة عن الحدود، وأن يضع خطة يتناوب فيها الصمت الراداري والبث الراداري مع تعزيز الحماية الجوية للرادارات إبان القيام بالإعتراض الجوي مع البث الراداري، لقد كان في وسع العراق إعطاء قوته الجوية أدواراً ومهاماً أكبر، نظراً إلى تعدد مطاراته واراضي الهبوط المتوافرة لديه وامتلاكه لقدرة جيدة على الإنتشار ووجود ملاجئ كفيلة بحماية طائراته، ولكنه لم يفعل ذلك ومن المؤكد استخدام الطيران ما كان ليغير نتيجة الصراع إلا انه كان كفيلاً بإطالة مدته اسبوعاً أو اسبوعين وتكبيد القوات لمتحالفة خسائر أكبر.

وفي الاتجاه نفسه يأتي تشخيص العقيد باتسيان فهو يشبه استراتيجية العراق بالإستراتيجية الفرنسية في مطلع الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ . ١٩٤٠ ويلخصها بالإعتماد على مواقع دفاعية ثابتة وقوية على غرار خط ماجينو، مع الإحتفاظ بالطيران كقوة داعمة للعمليات البرية وهو يرى ان العراقيين قد أهملوا تماماً الإستراتيجية الجوية، واعتقدوا ان العمليات البرية ستبدأ في وقت مبكر وأن بوسعهم إدارة معركة برية طويلة على غرار المعارك السابقة في الحرب العراقية . الإيرانية بغية تكبيد القوات

المتحالفة خسائر كبيرة وغير مقبولة بالنسبة إلى الدول الغربية وإطالة أمد الحرب حتى يحل الصيف بحرارته المعيقة لعمليات المتحالفين، وكان اعتقادهم هذا في رأيه . خطأً كبيراً لأنه يتجاهل دور الطيران الحديث القادر على الإلتفاف حول الدفاعات الحصينة أو القيام بهجمات قوية مستمرة في الليل والنهار، مع تنفيذ " الضربات الجراحية" و"القصف المساحي".

وفي معرض تعداد الأخطاء التي ارتكبها العراقيون عند تنفيذ استراتيجيتهم بغض النظر عن تقويم تلك الإستراتيجية تقول إحدى الدراسات العسكرية الفرنسية: ما دام هدف الإستراتيجية العراقية تأخير القوات المتحالفة وتكبيدها خسائر كبيرة تؤثر على الرأي العام الغربي، فقد كان على العراقيين شن هجمات معاكسة يدعمها الطيران، إلا أنهم لم يقوموا بذلك، وقد يكون احجامهم ناجماً عن عدم قدرتهم على استخدام ما بقي لديهم من طائرات، أو أن انهيار أنظمة السيطرة والقيادة العراقية قد بلغ حداً يمنع القيام بأي عمل بري . جوي منسق.

وفي المجال نفسه كتب المحرر العسكري لصحيفة لوموند: لم تشترك القوات البرية العراقية في القتال وتعرض الطيران العراقي لضربة اصابت قيادته، ومنعته من خوض المعركة، وأجبرته على البقاء في الملاجئ أما الأسطول العراقي الصغير أساساً فقد أخرج من المعركة فور تحركه من قواعده، وإذا استثنينا الغارة التي شنتها القوات البرية العراقية على بلدة الخفجي، وحققت في خلالها خرقاً دام ٣٦ ساعة، وجدنا أن هذه القوات كانت مشلولة ومحرومة من المبادرة والفاعلية وغير قادرة على تحقيق المباغتة.

ويبدو ان حرب الخليج قد رفعت مكانة التقنية المتقدمة إلى حد بعيد ويظهر هذا الأمر بوضوح في معظم الدراسات العسكرية الفرنسية المتعلقة بتلك الحرب ويقول آلان فير: ترفع القوات البرية منذ زمن طويل شعار "قيمة التقنية من قيمة الإنسان" ولقد كشفت حرب الخليج ضرورة تعديل هذا الشعار بإضافة "قيمة الإنسان الآن مرهونة بالتقنية التي يستخدمها" ولا تتجاهل الباحثة دنيس ارتود دور التفوق التقني الأمريكي في النجاح المحقق في حرب الخليج وانعكاسات ذلك التفوق على الحروب المستقبلية، مؤكدة ان الانتصار في المواجهات سيكون من نصيب الطرف الذي يمتلك أسلحة متطورة تعتمد على الالكترونيات والليزر ولكنها تؤكد في الوقت نفسه ان التفوق التقني الأمريكي لم يكن قادراً على تحقيق النصر لو لم يك متزامناً مع العقيدة العسكرية الأمريكية الجديدة، المستوحاة من أفكار كلاوزفيتز، والمبنية على التحشد والمناورة والمباغتة وإذا كانت إدارة الحرب الفيتنامية قد تمت من قبل السياسيين وخضعت لمفاهيم السياسة وقيودها وأساليبها فإن إدارة الحرب الخليج بقيت في يد العسكريين الذين تعلموا الكثير من هزيمة فيتنام وصاغوا لما بعد فيتنام عقيدة عسكرية جديدة، واستقوا من خلالها

استراتيجية فاعلة جرى تطبيقها في حرب الخليج، في ظل توجيهات عامة وخطوط عريضة وضعها السياسيون، هل يرجع النصر الذي حققته القوات المتحالفة في الخليج إلى احتلال مكان الصدارة قبل الإستراتيجية، كما حصل في فترات متعددة من التاريخ، أم ما تزال الاستراتيجية في المقدمة؟ في الجواب على هذه التساؤلات يكن الفهم الحقيقي لحرب الخليج ومن الواضح ان الدراسات العسكرية الفرنسية المعلنة لم تتوصل حتى الآن إلى إجابة حاسمة لهذه المسألة التي تشكل في اعتقادنا المدخل الحتمي لتطوير الفكر العسكري في المستقبل المنظور.

الجيش الروسي بعد

عاصفة الصحراء"[1]

المقدم: يوري سيلفانوف

من الجيش الاوكراني

بعد ان هزم في لمح البصر جيش صدام حسين المدجج بالسلاح السوفييتي في الأساس بات واضحاً إلى أقصى حد ان قفزة نوعية تجري في الفن العسكري، وأصبحت قدرة الدولة العسكرية لا تقاس بمؤشرات كمية مثل عدد الدبابات والطائرات وحتى الصواريخ، وبدأت تفعل فعلها، وبعد "عاصفة الصحراء" فإن الجيش السوفييتي الهائل الحجم والثقيل الحركة بما يمتلكه من كميات ضخمة من الأسلحة التي أكل الدهر عليها وشرب ومستوى تنظيم العمليات القتالية الذي يرجع عهده إلى العصر الحجري، أخذ يبدو كشيء عفا عنه الزمن ومن هذه الناحية فإن عملية الإنهيار التي بدأت في القوات المسلحة للإتحاد السوفييتي السابق تبدو أمراً نافعاً بلا ريب لأن روسيا لن تتمكن إلا بهذه الوسيلة من التخلص بأسرع وقت من الماكينة العسكرية القديمة الباهظة التكاليف والبالية جداً وتمهيد التربة من أجل الإسراع في عملية بناء قوات مسلحة جديدة وحديثه فعلاً، وتؤكد الخطوات التطبيقية الأولى التي قام بها العسكريون الروس أنهم يفهمون المسألة على هذه الصورة بالذات فقد اعتمدت سياسة تكتيكية جديدة تتوجه نحو المستقبل ونفذ عدد من التدريبات التجريبية تم في خلالها اختيار التكنولوجيات العسكرية الروسية المماثلة لما استخدمه الامريكيون في الحرب ضد العراق.

وقد تم أمور أخرى تقوية القدرة القتالية للقوات الصاروخية النووية الإستراتيجية الروسية عن طريق استخدام الطراز الجديد من الصاروخ الثقيل اس اس ١٨ (الطراز ٦) الذي يتمتع بدقة أكبر في اصابة الهدف، وجهزت القوات البرية الآن بالدبابات الحديثة ت . ٧٢، الدبابة "الكمبيوتر" ت . ٨٠،

---

[1] البيان . دبي ١٩٩٢/١/١٧م.

وأنجز عملياً تحويل المدفعية إلى استخدام المدفعية ذاتية الحركة وبدأ استخدام مدفع (أم اس تي ١) ذاتي الحركة الذي لا يوجد له نظير في العالم وتجهيز القوات بأحدث نموذج من منصات الإطلاق المتعددة القذائف ويجري تحديث القوات الجوية ومنها الطيران الإستراتيجي من قاذفات القنابل، ويرد إلى الوحدات الجوية المزيد من القاذفات الأسرع من الصوت تو . ٣٢ (طراز . ٣) المجهزة بأحدث الصواريخ المجنحة "جو . أرض".

ويجري في كل مكان تبديل الطائرات القديمة الطراز بمقاتلات الجيل الخامس: ميج . ٢٩ وسو . ٢٧، كما لا يتخلف عن الركب الأسطول البحري، ففي مارس عام ١٩٩١، أنزلت الى الماء غواصة نووية ضاربة جديدة، وفي عام ١٩٩٢ بدأ تشغيل حاملة طائرات ذات حمولة ٦٥ ألف طن، ومن المقرر أن تبدأ في عام ١٩٩٣ التجارب على حاملة طائرات أخرى بهذا الحجم.

"عاصفة الصحراء" من وجهة النظر الروسية:

منذ عامين وفي ليل ١٧ يناير عام ١٩٩١ بدأت القوات المتحالفة العمليات القتالية ضد العراق بإطلاق ١١٤ صاروخاً مجنحاً من طراز "توماهوك" التي تطلق من البحر ودخلت الأزمة السياسية والعسكرية الحادة في منطقة الخليج العربي التي كانت بدايتها احتلال العراق للكويت فترة جديدة نوعياً هي فترة الصراع العسكري، إذ ان نظام بغداد لم يبد ردود فعل إيجابية إزاء مجموعة التدابير السياسية والإقتصادية والدبلوماسية وغيرها الرامية إلى حل الوضع المتأزم سلمياً وبدأ الدبلوماسيون عاجزين عن إعادة صدام إلى جادة العقل وأعطيت الكلمة إلى الصواريخ والطائرات.

لقد كانت هذه الحرب من أقصر الحروب زمناً، فقد استغرقت العملية البرية الهجومية ٤٣ ساعة لا غير، بينما كانت في الوقت نفسه من أكثر الحروب التي عرفها التاريخ دماراً، بيد ان العسكريين والسياسيين والعلماء سيقلبون صفحاتها مراراً كثيرة، لقد اندلعت في فترة أفول المواجهة الشاملة بين الشرق والغرب وبقيت يومذاك فترة أقل من سنة على انهيار الاتحاد السوفييتي، لقد هزت الحرب الشرق الأوسط وانقسم العالم العربي اعتماداً على خطوط الإنفصام الجديدة.

ويعطي العسكريون احكامهم على دروس وعواقب الحرب من وجهة نظرهم وبرأيهم ان هذه الحرب دشنت عهداً جديداً للحروب ذات التسمية الطنانة مثل "عصر حروب التكنولوجيا الرفيعة". التي يمكن تحقيق النصر فيها باستخدام الوسائل القتالية الاوتوماتيكية التي تعمل بدون مشاركة الإنسان، ويتم النجاح فيها ليس باستخدام القصف العشوائي الشامل بل بـ "العمليات الجراحية" لتدمير أهم المنشآت بمساعدة الأسلحة المفكرة الذكية.

وبغية إستعادة الرابطة المقعدة بين الظروف والأسباب التي قادت إلى الحرب في الخليج من الضروري العودة إلى الوراء لفترة ما لا يقل عن ١٠ اعوام مضت حين قامت الثورة في إيران، واندلعت الحرب العراقية الإيرانية وخرجت بغداد من هذه الحرب بديون قدرها ٧٠ مليار دولار ومئات آلاف القتلى والجرحى، وظهرت في المنطقة دولة عملاقة إقليمية تصبو إلى ممارسة دور زعيمة العالم العربي.

كان العراق منذ وقت بعيد يبيت الخطط لضم الكويت، وكما قال دبلوماسي سوفييتي في عمان في نهاية فبراير عام ١٩٩١ فإن القرار بشأن غزو الكويت كان يتسم إلى حد كبير بطابع عاطفي انفعالي وفي أغلب الظن أنه صدر تحت تأثير المشاعر التي اعتملت في نفس صدام حسين باعتقاده ان الكويت اقفلت الباب في المفاوضات مع العراق حول السياسة النفطية.

ومما يؤكد "انفعالية" القرار بشأن اجتياح الكويت وجد حقائق أخرى، فإن صدام حسين غير في غضون عدة أيام بعد احتلال الكويت "المبررات" لخطواته، ففي البداية ظهرت إلى الوجود خرافة "الثوريين الكويتيين" ثم أخذوا في بغداد يتحدثون عن ضرورة إعادة توزيع الثروات النفطية بين جميع العرب، وفي ١٢ أغسطس فقط ظهرت مبادرة صدام حسين المعروفة التي ربط فيها تسوية الأزمة بحل القضية الفلسطينية.

علاوة على ذلك فقد تبين ان الجيش العراقي لم يكن جاهزاً فحسب لشن مثل هذا العدوان، وحسب اقوال العقيد فكتور باتساليوك الملحق العسكري السوفييتي السابق في العراق فإن العملية نفسها لم تكن جيدة التخطيط، وأظهرت الأحداث اللاحقة ان القوات العراقية في الكويت تركت للأقدار في الواقع.

أخيراً فمن المستبعد ان يكون صدام حسين قد أقدم على غزو الكويت لو لم يكن يشعر أنه لن يواجه ردود فعل صغيرة جداً وكانت توجد لديه المسوغات من أجل التعويل على مثل هذه الآمال، ويتخذ البعض أقوال السفيرة الأمريكية أبريل غلاسبي من أن الولايات المتحدة لن تتدخل في النزاع الكويتي . العراقي باعتباره الضوء الاخضر للقيام بالغزو.

لقد وضعت القيادة العسكرية الأمريكية خطة "عاصفة الصحراء" من أجل تحقيق أهدافها النهائية في العمليات القتالية ضد العراق . أي سحق حشود القوات العراقية في الكويت ومناطق العراق الجنوبية وكذلك تحرير أراضي الكويت، وتضمنت الخطة ثلاث عمليات مستقلة ولكنها مترابطة ومنسقة . جوية وهجومية برية وكذلك عملية إنزال بحري بالإسم الرمزي "سيف الصحراء".

وفي أواسط يناير عام ١٩٩١ حشدت الولايات المتحدة ودول التحالف قوات وقطعاً أكبر يبلغ مجموع افرادها أكثر من ٦٠٠ ألف رجل و١٦ فرقة وما يربو على ٤ آلاف دبابة واكثر من ٣٧٠٠ مدفع وهاون وحوالي ٢٠٠٠ طائرة حربية واكثر من ١٠٠ سفينة حربية بينها ست من مجموع ١٤ تشكيلة لحاملات الطائرات الموجودة لدى الولايات المتحدة وكانت القوات الأمريكية نواة القوات المتعددة الجنسيات (٧٥ . ٨٠٪).

ويومذاك وصف المعلقون العسكريون الغربيون الجيش العراقي بأنه "قوي ومستعد للعمليات القتالية" وقدروا ان هذا الجيش لدى بدء الأزمة العراقية . الكويتية يحتل المرتبة الرابعة بين جيوش العالم إذ كان يوجد لديه ٥,٥ آلاف دبابة واكثر من ٧٠٠ طائرة حربية واكثر من ٣ مدفع ميدان وهاون، وتم تحشيد القسم الرئيسي منه في الكويت وفي جنوب العراق، كما حشدت هناك حوالي ٤٠ فرقة و٥ آلاف دبابة و١٠ سفن فقط.

وكما نرى فإن لدى العراق عدداً أكبر من الدبابات حقاً ولكن اكثرها من الموديلات القديمة بينما كان لدى القوات المتعددة الجنسيات عدد من الطائرات يزيد بثلاثة أضعاف على ما لدى العراق ناهيك عن السفن الحربية عموماً، واخذ بعين الاعتبار مزايا الأسلحة والذخيرة فإن الولايات المتحدة وحليفاتها كانت تتمتع بتفوق كبير في القوات الوسائل.

بدأت العمليات القتالية المباشرة في حوالي الساعة الثالثة من صباح يوم ١٧ يناير بشن قوات التحالف هجوماً جوياً مباغتاً بواسطة الطيران الإستراتيجي والتكتيكي والطائرات المنطلقة من الحاملات، وتم اختيار الأهداف في المرحلة الأولى لتشمل وسائل الدفاع الجوي العراقية ومراكز إدارة الدولة والقوات ومواقع إطلاق الصواريخ العملياتية التكتيكية والمطارات والمراكز النووية والكيماوية، وفي المرحلة الثانية وجهت الضربات في الأساس إلى العناصر الأساسية للبنية التحتية: عقد الإتصال وخطوطه الرئيسية ومستودعات الذخيرة أما المرحلة الثالثة فتضمنت توجيه الضربات إلى منشآت الصناعة الحربية وتشكيلات الدبابات والمشاة.

وكانت الولايات المتحدة وحليفاتها تراهن منذ البداية على توجيه ضربة قاضية أولى إلى العراق وجرت العمليات بموجب السيناريو الذي كان قد وضعه الجنرال الإيطالي ج. دوي منذ أكثر من ٨٠ عاماً خلت في فجر ولادة الطيران، فقد كان يعتقد أنه بعد كسب التفوق في الجو يمكن توجيه الضربات إلى مراكز الدولة والمراكز الإقتصادية للعدو، حتى تحقيق النصر التام عليه، ويؤكد الجنرال ماليوكوف الذي كان في مطلع عام ١٩٩١ يشغل منصب رئيس الأركان العامة للقوات الجوية السوفييتية أن نتيجة الحرب في الخليج العربي حسمها الطيران بالذات ففي الساعات الأولى من الحرب كسب

السيطرة التامة في الجو واخذ المبادرة الاستراتيجية ومن ثم نسف القدرة العسكرية للعراق وقوض الروح المعنوية للقوات العراقية ووضعها النفسي مما أثر بلا ريب تأثيراً حاسماً على نتائج العملية الهجومية البرية السريعة.

ثمة أسباب كثيرة لهزيمة العراق، لقد ورط صدام حسين بلاده في حرب تعتبر خاسرة مقدماً ولم يستطع ان يقيم بصورة صائبة ترتيب القوى الجديد في العالم وفي المنطقة بينما أفلحت الولايات المتحدة في تكوين تحالف ضد العراق ضم إلى جانب حلفائها التقليديين بعض الدول العربية مثل سورية التي كانت دوماً تقاوم الولايات المتحدة والغرب، وبدت وهمية حسابات بغداد في كسب دعم العالم الثالث و"الشارع العربي".

واضعي النظام العراقي في عزلة تامة، أما موسكو فقد وقفت إلى جانب المجتمع الدولي.

ولدى الحديث عن الأسباب العسكرية لهزيمة العراق ينبغي اولاً: ابراز عنصر المباغتة العملياتية التكتيكية الذي كسبه الحلفاء، ولم يكن صدام حسين يتوقع أن يشن الهجوم عليه في اليوم التالي لانتهاء فترة أنذار صادر عن مجلس الأمن الدولي.

وثانياً: تفوق القوات المتعددة الجنسيات في المعدات ووفرة آلات حديثة لم يستخدم الكثير منها في أي مكان قبل حرب الخليج، وتحول الخليج العربي إلى ميدان تجارب لبعض اصناف هذه الأسلحة، ويخص ذلك في المقام الأول احدث وسائل المكافحة الالكترونية الرادارية التي استخدمت على نطاق واسع جداً لأول مرة في تاريخ الحروب فأعمت منذ الساعات الأولى للحرب وسائل الدفاع الجوي والإتصال والتوجيه العراقي، ويذكر في هذا الصدد استخدام السلاح الذكي الشديد الدقة الذي صنع على أساس احدث منجزات العلوم والمعدات الليزرية والإلكترونية لأول مرة أيضاً في تاريخ الحروب.

ثالثاً: فإن من أخطاء القيادة العسكرية العراقية إنها لم تقدر حق التقدير إمكانات الطيران الحديث ويبدو ان خبرة الحرب الإيرانية . العراقية كانت ذات مردود مضاد بالنسبة للجنرالات العراقية إذ ولدت لديهم الثقة بأنهم إذا ما حفروا الأنفاق تحت الأرض وأقاموا منظومة دفاع قوية في الكويت فسينزلوا خسائر كبيرة بالقوات المهاجمة، لقد كانت خطة العملية الهجومية البرية تقضي بالحاق الهزيمة بالقوات العراقية في الكويت وفي المناطق الجنوبية من العراق وجرى الهجوم في ثلاث اتجاهات، على امتداد حساب البحر، في الجبهة، وبالالتفاف على مجموعة القوات العراقية بهدف عزلها وتطويقه في منطقة البصرة، لكن إيقاف اطلاق النار بسرعة بعد مضي أقل من يومين في الجبهة بأسرها حال دون تنفيذ هذه المناورة المقررة لتشكيلات ووحدات الفيلق الأمريكي السابع، وفرقة الدبابات البريطانية الأولى، وهذا أتاح للقوات الرئيسية من الحرس الجمهوري العراقي ان تتفادى التطويق.

وعموماً فإن القوات المهاجمة لم تلق مقاومة منظمة من جانب القوات العراقية المنهمكة والتي فقدت معنوياتها ولا يستثنى من هذا سوى بعض وحدات الحرس الجمهوري الأكثر كفاءة وذات الخبرة في القتال والأسلحة الممتازة، أما معركة الدبابات الكبيرة التي كتب عنها في الغرب فهي في الواقع لم تكن منازلة بالدبابات بالمعنى التقليدي لهذا التعبير فحين كان يجري اشتباك بين وحدات دبابات الحرس الجمهوري المزودة بالدبابات السوفييتي (تي . ٧٢) التي يمكن مقارنتها من حيث الخصائص القتالية بدبابات (ابرامز) الأمريكية كان الأمريكيون يفضلون اطلاق النار من بعد أو استدعاء الطائرات العمودية اباشي، وهذه العموديات المسماة بـ (قاتلة الدبابات) كانت بعد تحقيق التفوق الجوي تطلق نيرانها على الدبابات العراقية، وفي المواقع الأخرى كانت الصور تتكرر لأن الامريكيين سعوا إلى تفادي الخسائر في الافراد.

أما فيما يتعلق بعمليات الإنزال البحري فقد نفذ بعضها فقط، إذ لم ينزل الامريكيون سوى في جزيرتين في الخليج كان العراقيون قد احتلوهما ويعزز الخبير العسكري الجنرال سكوراتوف سبب ذلك ليس إلى زوال الحاجة إلى عملية الإنزال بعد النجاح السريع للحلفاء بل لأن الولايات المتحدة سعت هناك أيضاً إلى تجنب وقوع خسائر بين أفرادها.

"عاصفة الصحراء"
والعمليات الحاسمة
للقوات الخاصة*

بقلم العميد: د. أحمد حمزة محمد

في "عاصفة الصحراء" كان عدد القوات الخاصة حوالي ٩٤٠٠ مقاتل من بين أكثر من نصف مليون مقاتل لقوات التحالف، وبالرغم من أن هذه القوات قد لعبت دوراً رئيسياً، الا ان هذا الدور ظل مجهولاً، نظراً لأن متابعة العمليات أظهرت ان قوات التحالف كانت محظوظة خلال جميع مراحل القتال بدءاً من الهجوم الجوي إلى مرحلة إجتياح القوات العراقية في الهجوم البري بعد الخدعة الكبرى بأن الحرب البرية ستبدأ بإنزال برمائي على شواطئ الكويت، وهو ما جعل القادة العراقيين يحولون جزءا كبيرا من قواتهم للدفاع عن الشاطئ ويرجع المحللون نجاح عمليات عاصفة الصحراء إلى الأدوار المتميزة للقوات الجوية والبحرية ثم القوات البرية، وكذا العمليات الحاسمة للقوات الخاصة.

* . الحرس الوطني . الرياض، العدد ١١٥، مارس ١٩٩٢.

ومن العمليات الحاسمة التي قامت بها القوات الخاصة أثناء حرب تحرير الكويت على سبيل المثال وليس الحصر العمليات التالية:

. تعطيل شبكة الدفاع الجوي العراقية في ليلة الضربة الجوية نتيجة للعملية التكتيكية التي قامت بها قوات الكومادوس الجوية.

. نجاح فريق عمليات الحرب النفسية في استخدام أكبر القنابل (غير النووية) حجماً في الترسانة الأمريكية، ونتج عن ذلك إلقاء بعض الوحدات العسكرية العراقية أسلحتها واستسلامها للقوات المتحالفة، وأدى ذلك إلى حصول أجهزة الإستخبارات الأمريكية على خرائط ومعلومات هامة عن حقول الألغام العراقية في الكويت.

. نجحت قوات الكوماندوس البحرية في خداع القوات العراقية على الشواطئ الكويتية بتوقع قيام قوات ضخمة بالهجوم على شواطئ الكويت قوامها عدة آلاف من قوات المشاة البحرية الأمريكية، وبالتالي حولت القيادة العراقية فرقتين شرقاً لمواجهة هذا الهجوم الوهمي مما سهل لقوات التحالف عملية المناورة غرباً والتوغل داخل الأراضي العراقية.

. عملت القوات الخاصة التي تم نقلها داخل العراق قبيل بدء المعارك البرية كحلقة اتصال لتحذير قوات التحالف عند تحرك قوات الحرس الجمهوري.

. قام فريق سري من قوات "دلتا" (وهي أكفأ قوة في الجيش الأمريكي لمكافحة الإرهاب) بدور هام في تتبع وتدمير منصات صواريخ "سكود" العراقية، وفي اليوم الأخير من المعركة وحده تم تدمير ٢٦ صاروخاً بواسطة هذا الفريق.

فتح ثغرة في منظومة الدفاع الجوي العراقي

كان على القوات المتحالفة قبل بدء الهجوم الجوي على القوات العراقية في عملية عاصفة الصحراء ان تقوم بعمل ثغرة في شبكة الدفاع الجوي العراقية المقامة حول العاصمة بغداد لتتمكن طائرات التحالف من النفاذ منها.

وكان من الضروري القيام بعملية خاصة لفتح هذه الثغرة، وتم ذلك بنجاح، واندفعت طائرات التحالف عبرها دون ان تكتشفها شبكة رادار الإنذار العراقية، وكان وراء ذلك عملية حاسمة للقوات الخاصة.

وكان يتعين على المخططين لعملية الإغارة التخطيط لها بعناية كبيرة، ووضع كل الإحتمالات في الإعتبار، ولتنفيذ ذلك كان يلزم أن تقوم القوات الخاصة بتدمير محطتين من محطات الرادار العراقية.

وقد صممت شبكة الإنذار العراقية بحيث ترتبط كل اثنتين منها ببعضهما بدائرة الكترونية، ولهذا كان من الضروري تمير محطتين متصلتين في وقت واحد، لأن تدمير محطة واحدة فقط سيوفر الوقت الكافي لتوفير الإنذار المطلوب بواسطة المحطة الثانية.

وفي تمام الثانية وعشرين دقيقة صباحاً (بتوقيت المملكة العربية السعودية) في السابع عشر من يناير ١٩٩١ انطلقت قوة خاصة من القوات الجوية الأمريكية بقيادة الرائد ليونك عبر الحدود العراقية، وانقسمت القوة الضاربة إلى مجموعتين من الطائرات المروحية، وتضم كل منهما طائرتين لحمل قوات الكوماندوس، وأربع طائرات عمودية طراز "أباشي" (AH -64A) مسلحة بالمقذوفات الصاروخية الموجهة.

وقام قائد المهمة بالتحليق بطريقة متعرجة خوفاً من ان يسمع صوت محرك الطائرة، واستمر في الطيران المنخفض في الأودية الجبلية الجافة في محاولة منه لتفادي الرادارات العراقية، واعتمد على أجهزة الحاسبات وأجهزة الملاحة الموجودة في كابينة القيادة.

وعلى بعد ثمانية أميال من الهدف (محطات الرادار العراقية) اسقطت طائرة ليونك مشاعل متوهجة لتحديد المكان المناسب لهبوط الطائرات.

ورصد أحد الجنود العراقيين بمركز التحكم الأرضي وجود الطائرات العمودية، فانطلق لتحذير مركز القيادة، ولكن إحدى طائرات "اباشي" أطلقت صاروخاً من طراز "هل فاير"

(Hillifre) الموجه بأشعة الليزر ليدمر الموقع الراداري بأكمله، وتحولت المحطة الرادارية الثانية بعد خمس ثوان إلى كرة من اللهب.

وفي رحلة العودة، نظر ليونك من الكابينة فرأى طائرات القوات المتحالفة تنطلق عبر الثغرة التي فتحتها قوات الكوماندوس بعد تدمير محطتي الرادار.

ولا شك ان المهمة التي قامت بها هذه المجموعة الخاصة كانت من المهام الصعبة، (إذ كان يتعين عليها الطيران ١٥٠ ميل في الساعة وعلى ارتفاع لا يزيد على ٥٠ قدماً عبر صحراء مقفرة يلفها الظلام الدامس.

فتح ثغرة في حقول الألغام العراقية

وقع الإختيار على السرب الثامن من القوات الخاصة الجوية الأمريكية للقيام بمهمة فتح ثغرة في حقول الألغام العراقية باستخدام قنابل "بلو ٨٢" التي تزن الواحدة منها ١٥ ألف رطل.

وفي الساعات الأولى من صباح السابع من فبراير، أقلعت طائرتا نقل عسكريتان من طراز (C 130 -) وكل منهما تحمل قنبلة "بلو ٨٢"، وكان قد سبق ذلك بيوم واحد أن قامت طائرات التحالف

بإمطار المنطقة بالمنشورات التي تدعو القوات العراقية إلى الإستسلام حتى لا يتعرضوا لأكبر القنابل التقليدية في العالم.

وكان صوت انفجار القنبلة (بلو . ٨٢) أشبه بصوت انفجار قنبلة ذرية وتصاعدت سحابة ضخمة من النيران على شكل نبات عش الغراب في مكان الإنفجار الذي وقع في الجزء الجنوبي الغربي للكويت، وانتقل دوي هذا الصوت أميالاً كثيرة، وتوقفت على أثره شبكات الإذاعة العراقية الموجودة على طول الحدود مع الكويت.

وفي اليوم التالي مرت طائرة أخرى من طراز (C - 130) على مكان القاء كلتا القنبلتين، وألقت بحمولة من المنشورات فيها رسالة تقول "لقد ضربتم أمس أكبر قنبلة تقليدية في العالم، وما زال المزيد منها في الطريق اليكم".

ولم يكن الضحايا العراقيون في حاجة إلى مزيد من الإقناع لالقاء أسلحتهم، فقد أسرعوا عبر الحدود وألقوا بأسلحتهم، وأعلنوا استسلامهم، وكان من بينهم أحد ضباط المخابرات العراقية الذي أخذ معه خرائط حقول الألغام الموجودة على الحدود الكويتية، وقد مكن ذلك مركز القيادة والسيطرة لدول التحالف من تحديد الثغرات في حقول الألغام.

وعندما اندلعت الحرب البرية، بدأت قوات مشاة البحرية وقوات التحالف في شق طريقها عبر تلك الثغرات خلال ساعات قليلة.

الخدعة الكبرى للانزال البحري

قبل بدء الحرب البرية، اقتربت قوة قوامها ١٧ ألف فرد من قوات مشاة البحرية الأمريكية، من الساحل الكويتي،وبدأ وكأنها ستقوم بإنزال برمائي لمهاجمة السواحل، غير ان ستة جنود فقط من كوماندوس البحرية هم وحدهم الذي قاموا بعملية الهجوم الخداعي.

فمع حلول ظلام يوم السبت، الثالث والعشرين من فبراير ١٩٩١، وقبل يوم واحد من شن الهجوم البري، أبحر الملازم "توم ديتز" ومعه خمسة جنود من قاعدتهم في قاربين من القوارب الحربية السريعة (طراز فاونتين ٣٣ الذي تصل قوة محركاته ألفي حصان) وتحرك القاربان بسرعة ٤٠ ميلاً في الساعة باتجاه السواحل الكويتية.

وفي الساعة العاشرة مساء توقف قارب الملازم "ديتز" على مسافة خمسة عشر ميلاً من الساحل الكويتي وقامت مجموعته بتجهيز قواربها المطاطية للتحرك.

وأبطأ القاربان عند الاقتراب من الساحل وأخذ "ديتز" في التوقف كل عدة أميال كي يتحقق رجاله من الموقف على الشاطئ باستخدام جهاز الرؤية الليلية، وعلى مسافة ٥٠٠ ياردة من الشاطئ أغلق

"ديتز" محركات القاربين، وتسلل رجاله بملابس الغوص في هدوء وكل رجل يحمل عدة عوامات يجرها أثناء السباحة في الشاطئ، بالإضافة إلى جراب مليء بعشرين ر طلاً من المتفجرات المجهزة بساعات توقيت، وقد اعتقد العراقيون ان هذه العوامات علامات إرشادية للسفن القادمة.

وأخذ الرجال في السباحة جنباً إلى جنب في هدوء، وطبقاً للتعليمات توقفت المجموعة كل مائة يادرة لفحص منطقة الشاطئ باستخدام جهاز رؤية ليلية، وبعد الوصول إلى الشاطئ اخذوا في الإنتشار وتفريغ العبوات الناسفة، وباستخدام إشارات اليد أمر "ديتز" رجاله بضبط ساعات الشحن، ثم تسللوا عائدين إلى مياه الخليج، وما ان اقتربوا من القاربين المطاطيين حتى بدأت قوة بحرية أخرى اقتربت من الشاطئ بإطلاق نيران مدافعها السريعة الطلقات تجاه الشاطئ، وبعد دقيقتين، وفي تمام الواحدة صباحاً انفجرت العبوات الناسفة التي وضعت على الشاطئ، وتصاعدت كرات من اللهب في سماء المنطقة.

وبعد مضي ثماني ساعات تلقى الملازم "ديتز" رسالة من قائد قوات الكوماندروس لمشاة البحرية بالخليج العربي يهنئة فيها بنجاح العملية فقد بدأت فرقتان عراقيتان في التحرك باتجاه الشاطئ لمواجهة الهجوم الوهمي المرتقب.

العمليات الخاصة خلف الخطوط

بمجرد بدء الحرب البرية بدأ رجال العمليات الخاصة تنفيذ عملياتهم بقيام فريق مكون من ستة رجال باستخدام طائرة عمودية بمهمة سرية داخل العراق حيث قاموا بجلب عينات من تربة المنطقة التي ستتدفع عبرها الدبابات والعربات المدرعة لشن الهجوم البري.

وكان الفريق قد حمل معه أثناء هذه المهمة كاميرات تصوير رقمية قام بتثبيتها في هذه المنطقة لإرسال الصور مباشرة إلى مركز القيادة وأظهرت العينات التي أحضرها رجال الكوماندوس ان أراضي هذه المنطقة لن تكون عائقاً أمام تحرك الدبابات والعربات، كما أعطت الصور التي ارسلتها الكاميرات الرقمية صورة طبيعية وواقعية لميدان القتال المرتقب.

وقبل بدء الهجوم البري، كانت مجموعات القوات الخاصة التي تم نقلها داخل الأراضي العراقية قد بدأت في مراقبة ومتابعة التحركات العراقية، وأخذت تبث رسائلها المشفرة إلى مراكز قيادتها.

وكان شوارزكوف يرى ضرورة تأمين جانبي الهجوم الذي شنه الفيلقان ٧ و١٨ بهدف محاصرة قوات الحرس الجمهوري وصد أي هجوم مضاد يقوم به الإحتياطي العراقي من الشمال، ولذلك قامت القوات الخاصة بدفع العديد من عناصرها في مجموعات صغيرة وبصورة سرية إلى جنوب العراق قبيل بدء الحرب البرية لتحذير قوات التحالف ضد التحركات والكمائن العراقية.

وتحركت مجموعة من الكاماندوس (٣ أفراد) باتجاه الشمال في اتجاه نهر الفرات لمراقبة أحد الطرق الهامة التي تربط العراق بالكويت، وقضى أفراد المجموعة الليل يحفرون خندقاً عميقاً، وقاموا بتمويهه باستخدام مواد سابقة التجهيز.

وعلى الرغم من كل هذه التجهيزات وأعمال التمويه للخندق، الا ان طفلة صغيرة محبة للاستطلاع كشفت سر المجموعة عندما رفعت غطاء الحفرة، ونظرت إلى أفراد المجموعة الثلاثة وهم في ملابسهم المموهة، ثم أخذت في الصراخ والجري إلى والدها الذي جاء بدوره إلى مكان الخندق، فقفز الرجال من خندقهم وحاولوا تهدئة الاب، ولكن دون جدوى، وفر الرجل وابنته جرياً لابلاغ الجنود العراقيين.

ووجد الرجال الثلاثة أنفسهم محاصرين بحوالي مائة من جنود المشاة العراقيين، وطلب رجال الكوماندوس المعاونة الجوية في الحال من طائرة (F-16) فالكون كانت في مهمة لقصف أحد المواقع العراقية.

وبمجرد تلقي اشارة رجال الكوماندوس اقلعت طائرة عمودية تابعة للقوات الخاصة من طراز "بلاك هوك" التي تستخدمها القوات الخاصة، والتي طارت بسرعة ١٦٠ ميلاً في الساعة وعلى ارتفاع منخفض حتى انها كادت تصطدم بأحد الجبال، وكان أفراد المجموعة الثلاثة على وشك الإنهيار عندما لاحت الطائرة العمودية في الأفق، وأطلقوا صاروخاً نارياً في الهواء لتحديد موقعهم لطاقم الطائرة، ورد العراقيون بالمثل لدرجة أن الطائرة نجحت من الإصابة بأعجوبة.

وانطلقت الطائرة عائدة إلى قاعدتها دون خسائر لطاقم الإنقاذ أو لرجال المجموعة.

وفي عملية أخزى قامت إحدى مجموعات القوات الخاصة والمكونة من ثمانية أفراد والتي كانت مكلفة بمراقبة تحركات القوات العراقية وتخريب خطوط الإتصال، وقعت في كمين عراقي، واستمرت تقاتل لمدة ست ساعات متصلة حتى وصلت الطائرات العمودية لإنقاذها.

تدمير قواعد "سكود"

عندما بدأ المعتدي العراقي يوجه صواريخ سكود للمدن السعودية كلف الميجور جنرال "وين داوننج" قائد قوات "دلتا" الخاصة بتشكيل خلية عمل تضم عناصر من الكوماندوس البريطانيين المعروفين باسم (S A S) بالإضافة إلى قواته، تساندها طائرات (ثندر بولت 10 - A)، وقامت الطائرات العمودية بنقل هذه القوات إلى غرب العراق لتتبع منصات صواريخ (سكود) واستخدمت هذه القوات عربات الكوماندوس المعدة للتحرك في الصحراء وفي المناطق الريفية التي تختفي فيها

المنصات ومن المعروف ان بطاريات صواريخ (سكود) تتلقى الأوامر الخاصة بالأهداف المطلوب ضربها من مراكز قيادة وسيطرة تحتوي على منشآت ضخمة مخصصة لتخزين الصواريخ.

وبدأ رجال القوة الخاصة في تدمير منشآت القيادة والسيطرة وقواعد الإطلاق في هجمات ليلية خاطفة وأحياناً كانت تقوم هذه القوة باتخاذ مواقع لتحديد ورصد منصات الصواريخ المتحركة باستخدام اشعة الليزر، ثم تستدعي القوات الجوية للتعامل معها، وعلى مدى أسبوعين استطاعت هذه القوات تدمير أكثر من إثني عشر موقعاً لإطلاق صورايخ "سكود".

وفي السابع عشر من فبراير ١٩٩١ (آخر يوم في الحرب البرية) رصدت طائرات الإستطلاع قيام القيادة العراقية بنقل ٢٦ صاروخاً بالقرب من الحدود الغربية استعداداً لإطلاقها وصدرت التعليمات إلى مجموعات القوات الخاصة بالتعامل مع هذه الصواريخ، وتم تدميرها بالفعل*.

"عاصفة الصحراء" وأداء الدفاع الجوي العراقي١

بقلم اللواء الركن: خضر الدهراوي

بانتهاء عملية عاصفة الصحراء ووقف إطلاق النار وتحرير الكويت ظهرت آراء المحللين العسكريين والتصرحيات المسؤولين بالنسبة لتقييم أداء الدفاع الجوي العراقي في هذه الحرب، ففي أول مارس ١٩٩١ أعلن المارشال ديمتري يازوف وزير الدفاع السوفييتي ان على الإتحاد السوفييتي ان يعيد النظر في أنظمته الدفاعية الجوية بالكامل، في ضوء ما حدث في الكويت والعراق خلال حرب الخليج، لتحديد كيفية مواجهة الأسلحة المتقدمة التي استخدمتها القوات الأمريكية في هذه الحرب، وقال يازوف في حديث أمام البرلمان السوفييتي: ان ما حدث في حرب الخليج يستوجب مراجعة الدفاعات الجوية السوفييتية في ضوء ما أظهرته الحرب من نقاط ضعف في نظم الدفاع الجوي السوفييتي التي استخدم العراق بعضها،وقال يازوف: إن نظام الدفاع الجوي العراقي كان عقمياً تماماً في مواجهة طائرات التحالف، وإن الطائرات العراقية من طراز ميغ ٢٩السوفييتية الصنع أو الميراد الفرنسية إما تعطلت في بداية الحرب أو أرسلت إلى إيران، وفي الوقت نفسه قال يازوف: ان هزيمة العراق يجب الا تحمل كل أسبابها لعيوب في الأسلحة السوفييتية، وأشار إلى ان العراق تمكن من إسقاط ٩٣ طائرة للتحالف بواسطة نظام الدفاع الجوي السوفييتي "شوكار"، وهو ما نفته قوات التحالف.

---

* . الرجع: مجلة NEWSWEEK ٦/١٧/ ١٩٩١م.

١الحرس الوطني . الرياض، العدد ١١٥، مارس ١٩٩٢.

ولتقييم أداء الدفاع الجوي العراقي والوقوف على أسباب فشله في تحقيق المهام سنتناول عدة مراحل للمواجهة بالتحليل:

أولاً: مرحلة ما قبل بدء العمليات ١٩٩٠/٨/٢ . ١٩٩١/١/١٧

وهي المرحلة التي بدأت منذ غزو الكويت في ٢ أغسطس ١٩٩٠ وتم فيها أكبر حشد قامت به الدول المتحالفة في منطقة الخليج بهدف تحرير الكويت، وكان حجم الحشود العسكرية الأمريكية التي تدفقت على المملكة العربية السعودية لم يسبق له مثيل منذ حرب فيتنام، وقد أطلق على هذه المرحلة عملية "درع الصحراء".

وفي هذه المرحلة يأتي دور قائد القوات الجوية والدفاع الجوي العراقي، الذي يتولى فيه متابعة حشد أسلحة الهجوم الجوي والصاروخي للدول المتحالفة في مسرح العمليات من طائرات وصواريخ سطح/أرض، ووسائل الإستطلاع الجوي والفضائي، ووسائل الإعاقة الإلكترونية، ثم مقارنة الإمكانيات القتالية للوسائل الهجومية والدفاعية، واعداد التقارير التي توضح مدى قدرة القوات الجوية والدفاع الجوي العراقي على توفير الوقاية للقوات والأهداف الحيوية في العراق والكويت المحتلة عند نشوب الحرب.

أما بالنسبة لحجم القوات الجوية والصاروخية وأسلوب الإستخدام للدول المتحالفة فقد كان معلناً عنه طوال هذه المرحلة في الصحف وتصريحات المسؤولين، ونذكر بعضها لما له تأثير على التقدير:

ـ بعد أسبوع من الغزو العراقي للكويت نشرت الواشنطن بوست الأمريكية في ١٠ أغسطس ١٩٩٠ تصوراً للمخطط الذي وضعه عسكريون امريكيون للرد الأمريكي على العراق فيما لو قررت العراق الهجوم على المملكة العربية السعودية، وواضح من المخطط أنواع طائرات وصواريخ الدول المتحالفة التي ستستخدم في توجيه الضربات الجوية والصاروخية إلى الأهداف العراقية، وتتضح منه الصورة التي سيكون عليها شكل الحرب والأسلحة التي ستستخدم فيها.

. وبعد مضي حوالي شهر من الغزو نشرت صحيفة نيويورك تايمز الأمريكية جدولاً بحجم القوات الأجنبية التي وصلت إلى المنطقة حتى ١٩٩٠/٨/٢٩ والمنتشرة في السعودية والمياه القريبة منها، وبيانها: ٥٠ طائرة اف . ١٥ سي، جناح مقاتل طائرات أف . ١٥ايه، جناح مقاتل طائرات اف . ١٦، ٥ طائرات إنذار وقيادة وسيطرة أواكس، ٢٢ طائرة أف . ١١٧المعروفة باسم الشبح، وجناح مقاتل طائرات إي . ١٠، طائرات اف . ١١١ من القواعد التركية، وطائرات استطلاعية.

. وفي نوفمبر ١٩٩٠ قامت قوات حلف الأطلنطي بإجراء مناورات في البحر المتوسط اشتركت فيها نحو ٢٠٠ سفينة، وامتدت لأول مرة في تاريخ البحريات فترة طويلة حتى منتصف ديسمبر

١٩٩٠، بهدف اختبار استعدادها لمعاونة القوات الأمريكية والمتعددة الجنسيات في العملية المقبلة، سواء كان هذا الدعم من قواعدها في تركيا وجنوب أوربا، ا من حاملات الطائرات في شرقي البحر المتوسط، ووصفت هذه المناورات بأنها قوات ردع ولكن يمكن ان تتحول إلى قوة قتالية في حالة وقوع أي مفاجأة.

ـ أجريت الولايات المتحدة وحلفاءها في الخليج مناورة "الرعد الوشيك" في ١٨ نوفمبر ١٩٩٠ للتأكد من أداء القوات مهامها في العملية المرتقبة لتحرير الكويت، وشارك في هذه المناورة أكبر قوة جوية في عملية "درع الصحراء" تضم ألف طائرة أمريكية وبريطانية، واستهدفت هذه المناورة التدريب على التنسيق بين القوات المتحالفة ضد العراق في حالة اندلاع حرب في منطقة الخليج، وكانت أخبار هذه المناورة معلنة.

. أعلن المسؤولون في وزارة الدفاع الأمريكية ان حجم القوة الجوية الأمريكية في المنطقة يصل مع بداية عام ١٩٩١ إلى ألف طائرة، بعضها من طراز ستيلث المعروفة بطائرات الشبح.

والسؤال: هل كان هناك تقدير سليم بواسطة قائد القوات الجوية والدفاع الجوي العراقي لإمكانات قواته في مواجهة الإمكانات القتالية للقوات الجوية والدفاع الجوي لدول التحالف؟ وهل كانت قواته قادرة على تحقيق المهام المكلفة بها والتي غالباً ما تكون اكتشاف الأهداف الجوية المعادية والإنذار عنها، ومنع العدو من الاستطلاع الجوي، ثم توفير الوقاية للقوات والأهداف الحيوية بالدولة؟

والمعروف ان التقدير في هذا المجال لابد ان يتناول الموضوعات الآتية:

وسائل الإستطلاع الجوي والفضائي لدول التحالف،

وهل كان من الممكن للعراق منعها من تنفيذ مهامها؟

في الواقع أن الولايات المتحدة أعلنت عن إطلاق مجموعة من الأقمار الصناعية لمراقبة التحركات العسكرية التي تجري في العراق والكويت المحتلة، وتتيح لها القدرة على تحديد المواقع والأهداف بدقة متناهية، حتى الأهداف التي تطبق اجراءات الإخفاء والتمويه، كما أعلنت عن إطلاق القمر الصناعي "لاكروس" وهو أفضل قمر يستخدم في تعقب المركبات المتحركة ليلاً، ويستطيع التقاط صور فورتوغرافية لأي هدف على الأرض يزيد حجمه على نصف متر، وأشعته الرادارية لعدة أقدام، مما يساعد المخططين على تحديد محلات المخابئ.

وفي هذا الصدد ذكر "جون بيك" محلل الشؤون الفضائية ان أسطول الأقمار الصناعية كان يرسل صوراً سريعة وواضحة بدرجة كافية تتيح فرصة ملاحقة الأهداف المتحركة، وتزويد القيادة العامة للقوات الأمريكية وحلفائها في الخليج بالمعلومات.

أما العنصر الآخر للاستطلاع فهو طائرات الإنذار المبكر والسيطرة "اواكس" لكشف الأهداف البرية والجوية من مسافات بعيدة في مختلف الأحوال الجوية، هذا بخلاف أنواع أخرى من طائرات الإستطلاع وخاصة طائرات الإلكتروني لكشف مواقع الرادار والإتصالات، وطائرات سي ١٣٥ التي تجعل المحادثات اللاسلكية داخل العراق مسموعة.

ومن الواضح انه لم يتوفر لدى العراق الوسائل لمنع الإستطلاع الفضائي والجوي، ومعنى ذلك ان دول التحالف سيكون لديها المعلومات عن القوات والأهداف والتحركات العسكرية العراقية.

***الآثار الناجمة عن غزو الكويت، التي لها تأثير في فاعلية الدفاع الجوي:**

كانت هناك اعتبارات يجب ان يتناولها قائد القوات الجوية والدفاع الجوي العراقي لما لها من تأثير على امكانيات قواته وتشمل:

ـ موقف الاتحاد السوفييتي، وهو المصدر الرئيسي لتزويد العراق بالأسلحة والذخائر، وقد أدان الغزو العراقي للكويت وقرار ضمها، وصرح بأنه يدعم التنفيذ الكامل لقرارات مجلس الامن التي تطالب بانسحاب القوات العراقية من الكويت، ومعنى ذلك أن هذا سوف يؤثر على الإمداد باحتياجات القوات الجوية والدفاع الجوي، كما يؤثر على استمرار المعونة الفنية والخبرة السوفييتية للمعدات الحديثة.

ـ كما سيتأثر الإمداد بالأسلحة والمعدات المستوردة من فرنسا بالموقف الفرنسي المؤيد لقرارات مجلس الأمن، أما العقوبات الإقتصادية وفرض الحصار البري والبحري والجوي على العراق فلا شك انه سيكون له تأثير على مطالب القوات واحتياجاتها من المعدات الفنية وقطع الغيار، خصوصاً وجود القوات الجوية وقوات الدفاع الجوي في اوضاع استعداد متقدمة منذ بدء غزو الكويت، وتشغيل المعدات لفترات طويلة سيؤدي إلى استنزاف كبير في قطع الغيار مما يؤثر على القدرات والكفاءة القتالية.

. إتساع رقعة القتال، فالهجمات الجوية ستكون من عدة جبهات من الجنوب والغرب وأيضاً من اتجاه الشمال الغربي بواسطة الطائرات المتمركزة في القواعد الجوية بتركيا، وخاصة أن تركيا أكدت لجيمس بيكر وزير الخارجية الأمريكي أنه بإمكان الولايات المتحداة استخدام القواعد الجوية التركية في شن هجمات عسكرية ضد العراق.

. احتمال قيام حلف الناتو بمساعدة الولايات المتحدة، رغم أن الميثاق التأسيسي للحلف يحظر قيامه بأي عمل عسكري خارج حدود الدول الأعضاء، الا ان الإتجاه العام هو أن يقوم الحلف بمساعدة الولايات المتحدة في أي عمل عسكري محتمل في الخليج بشكل عام إذا دعت الضرورة إلى ذلك.

حشد القوات الجوية لدول التحالف:

كان حشد الطائرات في مسارح العمليات مستمراً ولم يستغرق وقتاً طويلاً، وكانت دول التحالف تعلن من آن لآخر عن وصول طائراتها إلى منطقة الخليج بالأعداد وبالوحدات، وبمقارنة ميزان القوى المذكورة في الملحقين (١) و(٢) نجد الآتي:

ـ هناك تفوق كمي لدول التحالف في طائرات القتال بنسبة ١:٢,٤٢، وفي طائرات حوامة المسلحة بنسبة ١:١,٣٣ (على افتراض ان العراق يمتلك ٧٠٠ طائرة قتال، و٣٠٠هليكوبتر مسلحة).

وأيضاً يوجد تفوق نوعي في طائرات القتال المتعددة الواجبات ذات السرعات العالية والقدرات الكبيرة في المناورة، المدى الكبير الذي يغطي أعماق العراق مع الوضع في الإعتبار توفر طائرات صهريج للإمداد بالوقود في الجو.

. التفوق النوعي في التسليح والقوى التدميرية الكبيرة للأسلحةالجوية الهجومية متمثلة بالصواريخ جو/جو ذات مدى يصل إلى ما يزيد على ٣٠ كم، واستخدام الصواريخ التي تعمل ذاتياً بأسلوب (أطلق وانس) والذخائر المتطورة لضرب الملاجئ وممرات الطائرات، وقنابل تفجير الألغام، ووجود أجهزة الكمبيوتر ذات التقنية العالية التي توفر أدق البيانات اللازمة للإشتباك.

. توفر الطيارين والفنيين مما يساعد على زيادة معدل الطلعات النهارية والليلية وتوجيه الهجمات الجوية الكثيفة بأكبر حشد من طائرات دول التحالف.

. نظم القيادة والسيطرة الآلية الأرضية والمحمولة جواً والتطور في وسائل التوجيه تتيح لطائرات دول التحالف مهاجمة الأهداف العراقية وإطلاق اسلحتها وهي خارج مدى وسائل الدفاع الجوي العراقية.

. استخدام طائرات الشبح اف . ١٧٧ التي لا يمكن لأجهزة الرادار اكتشافها مما يحقق المفاجأة في توجيه الهجمات إلى الأهداف خاصة في الضربة الأولى.

. الإستخدام المتوقع للإعاقة الالكترونية بأنواعها المختلفة الإيجابية والسلبية والحرارية على نطاق واسع وتأثيرها على وسائل الدفاع الجوي العراقية.

ـ أغلب طائرات دول التحالف مزودة بنظم الكترونية ومستشعرات متقدمة ووسائل الكترونية مضادة تضمن لها الدفاع عن نفسها في مجابهة الإعداءات التي تتعرض لها.

. صواريخ كروز المزودة برؤوس حربية تقليدية والمنطلقة من السفن الحربية الأمريكية تتوفر فيها القدرة على الطيران على ارتفاعات منخفضة جداً مما يجعل من الصعب اكتشافها وتعقبها للإشتباك معها، ويمكن اطلاقها من مسافات بعيدة، كما أنها تتميز بنظم توجيه متطورة تحقق للصاروخ درجة عالية من الدقة في إصابة وتدمير الأهداف باستخدام نظام مقارنة تضاريس الأرض تركوم

(TERCOM) حيث تصل درجة الدقة إلى حوالي ٣٠ . ١٠٠ متر، ولم يظهر حتى الآن دفاع فعال ضد هذا النوع من الصواريخ.

فكرة الدفاع الجوي العراقي كما يراها المحللون

من المعتقد أن قائد القوات الجوية والدفاع الجوي العراقي قد توصل إلى نتيجة المقارنة بين امكانية وقدرات القوات الجوية والدفاع الجوي لدول التحالف، وبين امكانيات وقدرات قواته، وبنى عليها فكرة الدفاع الجوي لتوفير الحماية للقوات والأهداف الحيوية في العراق والكويت المحتلة.

ولنا أن نتساءل: كيف كانت الفكرة التي تحقق هذه المهمة في ضوء الحقائق الآتية:

ـ كان هناك تفوق كمي ونوعي في الطائرات والتسليح ونظم القيادة والسيطرة ونظم الإمداد ومستوى التدريب في دول التحالف.

ـ الطائرات العراقية وتسليحها لا يرقى إلى مستوى طائرات الدول المتحالفة . ليس لدى العراق الوسائل لمنع الاستطلاع الجوي والفضائي.

. لا وسائل فعالة للدفاع المضاد للصواريخ البالستيكية مثل صواريخ كروز الأمريكية.

. إمكانات العراق في مجال الإعاقة الإلكترونية المضادة محدودة جداً.

. لا وسائل فعالة ضد طائرات الشبح التي سيكون لها دور في مفاجأة الدفاعات العراقية.

أمام هذه الحقائق لن تكون هناك فكرة معقولة يقبلها المنطق، ولكن يمكن التكهن بالآتي:

ـ ربما كانت فكرة الدفاع الدفاع الجوي العراقي مبنية على أساس قيام القوات الجوية والدفاع الجوي بامتصاص تأثير الضربات الجوية والصاروخية المتفوقة لقوات الحلفاء، والإستمرار في الصمود أمام هذه الضربات، مستفيداً من الإجراءات التي قام العراق بإعدادها للمعركة وتشمل: وجود عدد كبير من ملاجئ الطائرات بالقواعد الجوية، وتوفر الأفراد والمعدات الهندسية لاصلاح المدارج التي تتعرض للهجمات الجوية، ووجود تحصينات لمراكز القيادة ومواقع الصواريخ، والإخفاء والتمويه وأعمال الخداع لعرقلة الأعمال الجوية المعادية، وامتصاص الضربات الجوية في أهداف هيكلية (غير حقيقية).

أيضاً محاولة اسقاط وتدمير أكبر عدد ممكن من الطائرات لتقليل فاعليتها بقدر الإمكان حتى بدء العملية البرية، التي تقوم فيها القوات البرية العراقية المحصنة هندسياً باحتواء وصد القوات المهاجمة وهزيمتها بتوجيه الهجمات والضربات المضادة بواسطة الاحتياطيات التعبوية والإستراتجية وإحراز النصر والإحتفاظ بالكويت التي ضمها وجعلها المحافظة رقم ١٩.

وفي هذا الصدد يقول الجنرال "لاكاز" رئيس أركان الجيش الفرنسي السابق: تبني العراق استراتيجية القنفذ التي كانت متبعة خلال الحرب العالمية الثانية، وتقضي بتحمل ضربات العدو الأولى وانتظار هجومه البري والتحامه في القتال وجهاً لوجه.

- وربما تكون الفكرة قد تأثرت باعتقاد القيادة السياسية العراقية أن دول التحالف لن تشن أية عملية، ويؤيد هذا الإتجاه ما قاله بريماكوف مبعوث الزعيم السوفييتي ميخائيل جورباتشوف، من انه التقى بالرئيس العراقي صدام حسين ثلاث مرات في بغداد، وأنه حتى اللحظة الأخيرة في منتصف يناير ١٩٩١ كان الرئيس صدام يعتقد ان القوات الموحدة للتحالف الدولي لن تشن عملياتها القتالية، وأدى ذلك إلى زيادة رصيده من التشويش والإرتباك، وأوصل العراق إلى قدر من الحسابات الخاطئة، ويضيف بريماكوف في سلسلة مقالاته التي خصصها لمسيرة حرب الخليج ومقتضياتها: إن بغداد تحت قيادة صدام حسين ظلت لفترات طويلة ترفض ان تصيخ السمع لصوت العقل والرشد.

- وإذا تحدثنا عن الخطأ في تقدير الموقف العسكري وتأثيره على فكرة الدفاع الجوي العراقي، فمما لا شك فيه ان تقدير الموقف العسكري الذي وضعه العراق في مواجهة العراق المتحالفة كان خطأ؛ حيث لم يضع في اعتباره التفوق التكنولوجي الجوي للقوات المتحالفة، التي تمتلك أحدث الأسلحة التي تتفوق كثيراً على نوعيات الأسلحة لدى العراق، بالرغم من النصح الذي قدمه الإتحاد السوفييتي، ويظهر ذلك بوضوح عندما أعلن ادوارد شيفرنادزة وزير الخارجية السوفييتي السابق شهادته أثناء أزمة الخليج من خلال اتصاله بالأحداث والأطراف المباشرة بالأزمة، بأنه قضى أربع ساعات مع طارق عزيز وزير خارجية العراق وشرح له كل النتائج الممكنة للعدوان العراقي، وأطلعه على القدرة العسكرية الأمريكية والخصائص النوعية للأسلحة والمعدات الأمريكية وما تتميز به من دقة وقدرة ملموسة، وأن القادة العراقيين يقدمون على الإنتحار.

ومن الواضح ان كل معايير المقارنة من كم وكيف وتسليح وتدريب وتأمين فني ومادي كانت في جانب دول التحالف، وأنه رغم التحذيرات فإن القيادة العراقية لم تأخذ بعين الإعتبار خطورة الموقف، وهنا يصعب على المحلل العسكري ان يجد تحليلاً مقبولاً للموقف العراقي سوى اعتقاد العراق بأن دول التحالف لن تشن حرباً، وان الأمر لا يعدو أكثر من تهديد؛ وحتى إذا نشبت الحرب فإن العراق يعتمد على المعركة البرية.

ثانياً: مرحلة عملية عاصفة الصحراء مرحلة القصف الجوي من ١٩٩١/١/٧ إلى ١٩٩١/٢/٢٤:

استهدفت هذه المرحلة إضعاف القوات العراقية قبل الهجوم البري وسارت الأحداث في هذه المرحلة كالآتي:

ـ بدأت عملية عاصفة الصحراء في الساعة الثالثة صباح يوم ١٧ يناير ١٩٩١، بالتوقيت المحلي في منطقة الخليج، بتوجيه ضربات صاروخية/جوية ضد أهداف تم التخطيط لها مسبقاً، واشترك في هذه الضربات القوات الجوية للدول المتحالفة (الولايات المتحدة وانجلترا والمملكة العربية السعودية والكويت)، وأقلعت طائراتها من المطارات السعودية ومن حاملات الطائرات المنتشرة في المنطقة، منسقة أعمالها مع قاصفات الصواريخ الأمريكية كروز، من طراز توماهوك بعيدة المدى ذات الرؤوس التقليدية الشديدة الإنفجار المنطلقة من السفن الحربية في الخليج، وكانت طائرات الإنذار المبكر والسيطرة "الاواكس" محلقة في الجو تحت حراسة طائرات اف . ١٥ الإعتراضية التي كانت تزود بالوقود في الجو أثناء مهمة الحراسة للقيام بمراقبة ورصد الطيران العراقي والسيطرة على التحركات وإدارة أعمال القتال بتوجيه القاذفات إلى أهدافها.

وذكرت التقارير العسكرية الواردة من جبهة القتال . حينئذ . أن اسراباً من طائرات الشبح أف . ١١٧ هي التي بدأت الغارات الجوية حيث أفلتت من الرادارات العراقية وتوغلت حتى قلب بغداد وقامت بضرب مراكز القيادة والتحكم وعناصر الدفاع الجوي بالتنسيق مع القصف المكثف بصواريخ توماهوك، ويؤكد ذلك أن صفارات الإنذار لم تسمح الا بعد عملية القصف بالفعل، كما أدت الحرب الإلكترونية دورها في إعاقة وسائل الاتصالات داخل العراق.

. واستمرت موجة الغارات الصاروخية والجوية المكثفة في حشد لم يسبق له مثيل على مدى أربع ساعات، وتركز القصف الجوي والصاروخي على المواقع الاستراتيجية العسكرية ومراكز الاتصالات الرئيسية السلكية واللاسلكية، والقواعد الجوية، وقواعد الصواريخ وشبكات الرادار ومراكز الطاقة، ومصانع الأسلحة الكيماوية والبيولوجية، والمنشآت النووية، ومقر وزارة الدفاع العراقية والقصر الجمهوري.

. وأوردت التقارير العسكرية أن جميع الطائرات التي قامت بالضربة الأولى قد عادت جميعها إلى قواعدها سالمة وأنها لم تواجه أي عقبات في مهمتها الأولى، وأن وسائل الدفاع الجوي العراقية لم تتمكن من إصابة الطائرات المغيرة على بغداد، وأن العراق لم يرد على الهجوم باستخدام المقاتلات الإعتراضية في اشتباكات جوية، وفي هذا الصدد يذكر ريتشارد تشيني وزير الدفاع الأمريكي ان الضربة الجوية الأولى

حققت مفاجأة تكتيكية كاملة باغتت العراق، وأوضح تشيني أنه لم يتم رصد أي مقاومة جوية من جانب العراق، وأن الحلفاء حققوا درجة عالية جداً من المفاجأة لم تتوقعها العراق.

ونتيجة هذا النجاح تقرر استئناف الغارات الجوية النهارية في نفس اليوم في الساعة التاسعة والدقيقة الخامسة والثلاثين بالتوقيت المحلي في منطقة الخليج، واستمرت موجات الهجوم النهارية في عمليات قصف متتالية حوالي ٤ ساعات، ولم يشاهد أي اشتباك جوي.

ثم تم استئناف الغارات الجوية بعد ظهر يوم ١٧ بدلاً من الإنتظار حتى حلول ليل اليوم التالي بعد ان أصبحت سماء العراق مفتوحة نتيجة تدمير وإعطاء أنظمة الصواريخ المضادة للطائرات العراقية، وقامت القاذفات بي . ٥٢ بهجمات على القوات في جنوب العراق والكويت وذلك في أعقاب بدء الموجة الثالثة للغارات الجوية.

. وبعد ذلك تواصلت الغارات على العراق والكويت المحتلة طوال يوم ١٨ يناير وحاولت ٢٠طائرة عراقية التصدي للقوات الجوية المهاجمة إلا انها فرت إلى العمق العراقي بعد إسقاط طائرتين منها، وفي اليوم الثالث للعمليات الموافق ١٩ يناير اشتركت الطائرات الصديقة المنطلقة من الأراضي التركية في ضرب أهداف في شمال العراق انطلاقاً من قاعدة انجيرليك في تركيا، ثم اشتركت الطائرات الفرنسية والإيطالية والقطرية في الغارات الجوية، وبعد ذلك اشتركت طائرات دولة البحرين، وأخذت الضربات الجوية تتواصل على القوات العراقية بشكل مكثف بعد ان تحقق لها السيطرة الجوية في سماء المعركة.

الجدول رقم (١)

القوات الجوية وقوات الدفاع الجوية العراقية

حسب ما ورد في الكتاب السنوي الذي اصدره معهد الدراسات الإستراتيجية في لندن عام ١٩٩١/٩٠، فإن العراق كان يمتلك الطائرات والأسلحة المضادة للطائرات الآتية:

عدد الأفراد ٤٠,٠٠٠، منها ١٠,٠٠٠ دفاع جوي.

طائرات القتال وعددها ٦٨٩ طائرة بيانها كالآتي:

. القاذفات:

سربان (سرب ١٠ طائرات تي يو . ٢٢، وسرب ٨ طائرات تي يوم . ١٦).

. طائرات الهجوم الأرضي: ٢٢ سرباً:

٥ أسراب . ٩٠ طائرة ميج . ٢٣,

٤ أسراب . ٦٤ طائرة ميراج . ٥ فرنسية.

سربان . ٣٠ طائرة سوخوي . ٧.

سربان . ٣٠ طائرة جيه . ٦,

٤ أسراب . ٧٠ طائرة سوخوي . ٢٠.

سرب . ١٦ طائرة طائرة سوخوي . ٢٤,

٤ أسراب . ٦٠ طائرة سوخوي . ٢٥.

. مقاتلات اعتراضية: ١٧ سرباً، وبيان الطائرات من هذا النوع كالآتي:

١٥٠ طائرة ميج . ٢١,

٢٥ طائرة ميج . ٢٥,

٣٠ طائرة ميج . ٢٥,

٣٠ طائرة ميراج ألف . ١ فرنسية الصنع.

٣٠ طائرة ميج ٢٩,

٤٠ طائرة سي أتش جيه . ٧ صينية الصنع.

. طائرات استطلاع: سرب مكون من طائرات مجهزة للاستطلاع:

٥ طائرات ميج . ٢١,

٧ طائرات ميج . ٢٥.

. طائرات الإنذار المبكر والقيادة والسيطرة:

طائرات الإنذار المبكر والسيطرة (عندنان١)، (عدنان . ٢) وهي عبارة عن طائرات نقل سوفيتية الصنع تم تجهيزها لهذا الغرض في عام ١٩٩٠.

. طائرات الهليوكبتر: عددها ٤٨٩، منها ١٥٩ طائرة مسلحة بأسلحة هجومية، وبيانها كالاتي:

٥٦ مسلحة بالصاروخ أي اس . ١١ والصاروخ هوك.

٤٠ مي . ٢٤ . ٣٠ مسلحة بالصواريخ أي اس ١٢,

١٣ مسلحة بالصواريخ الفرنسية اكسوسيت المضادة للسفن.

٢٠ مسلحة بالصواريخ اس أي . ٣٤٢.

. هذا بخلاف طائرات النقل: سربان (٤٧ طائرة سوفيتية الصنع).

هناك مصادر أخرى ترفع هذه الأعداد إلى حوالي ٧٥٠ . ٨٠٠ طائرة قتال، وذلك بالإضافة ٦ طائرات استطلاع استراتيجي ميج . ٢٥ آر، و٤٠ مقاتلة أف . ٦ صينية الصنع و١٢٠ ميراج

اف . ١ (بدلاً من ٣٠)، كما ترفع عدد الحوامات إلى ٥٥٠، منها ٣٠٠ حوامة قتالية مختلفة الصنع سوفييتية وفرنسية.

بالنسبة لأسلحة الدفاع الجوي كما ورد في المصدر المشار إليه:

. مدفعية الدفاع الجوي:

حوالي ٤٠٠٠ مدفع مضاد للطائرات من أعيرة مختلفة، تشمل مدفعية خفيفة مثل المدافع عيار ٢٣ ثنائي المواسير، ٢٣ رباعي المواسير ذاتي الحركة، ٣٧ فردي وثنائي المواسير، ٥٧ مم ثنائي المواسير ذاتي الحركة، ومدفعية متوسطة المدى مثل المدافع عيار ٨٥ مم ١٠٠ مم، والنوع الثقيل ١٣٠ مم، وجميعها سوفييتية الصنع.

وفي مصادر أخرى يرتفع هذا العدد إلى ٥٠٠٠ مدفع مضاد للطائرات.

. أنظمة الصواريخ أرض/جو:

١٠٠ بطارية سام . ٢، سام . ٣، سام . ٦ (متوسط المدى)، ١٠٠ قاذف صاروخي رولاند، وسام . ٩.

علاوة من صواريخ سام . ٧، سام . ١٤، وعين الصقر التي تطلق من الكتف.

هذا بالإضافة إلى الوحدات العضوية من المدافع والصواريخ أرض/جو في التشكيلات الميدانية على المستويات المختلفة، ويدخل في الإعتبار الأسلحة الكويتية المضادة للطائرات التي استولى عليها العراق أثناء الغزو مثل الصواريخ "هوك" الأمريكية الصنع التي حاول التدريب عليها في الفترة قبل بدء العمليات، وهناك مصادر قدرت الصواريخ المضادة للطائرات بألف منصة اطلاق من أنواع الصواريخ المذكورة.

. التجهيزات الهندسية:

أقام العراق ملاجئ لأعداد كبيرة من الطائرات في أثناء الحرب العراقية الإيرانية وذكر بعض المصادر انها حوالي ٣٠٠ ملجأ من تصميم بريطاني تنفيذ شركات يوغسلافية وبلجيكية، وهذه الملاجئ منتشرة في حوالي ٤٠ قاعدة جوية، وأن هذه القواعد تتوفر فيها المعدات الهندسية اللازمة لإصلاح المدارج بواسطة المهندسين.

وقام العراق بتنظيم أعمال الخداع بإنشاء مطارات كاذبة ومواقع هيكلية (غير حقيقية) لامتصاص ضربات العدو الجوية، وقام أيضاً بتحصين المواقع ومراكز القيادة الرئيسية والتبادلية، وأعمال الإخفاء والتعمية باستخدام شباك التمويه الحديثة لإخفاء المواقع.

. تسليح الطائرات:

الصواريخ جو/أرض أي أم . ٣٩، أي أس . ٤، أي اس . ٥، أي اس . ١١، أي اس . ١٢، أي اس .٣٠ ال . علاوة من القنابل من اوزان مختلفة.

الصواريخ جو/جو أي أي . ٢، ٦، ٧، ٨، سوفيتية الصنع، آر . ٥٥٠، آر . ٥٣٠ فرنسية الصنع.

. وابتداء من اليوم العاشر للعمليات الموافق ٢٦ يناير بدأت ظاهرة لجوء الطائرات العراقية إلى إيران، واستمرت حتى نهاية العمليات وبلغت حوالي ١٥٠ طائرة، تم رصدها بواسطة دول التحالف، وتأكد ان اعدادها بلغت ١٤٨ طائرة.

. واستمر القصف الجوي والصاروخي لعدة أيام متتالية بصورة مكثفة على الأهداف داخل العمق العراقي والكويت المحتلة بهدف تدمير القدرة القتالية العراقية وإحداث أكبر قدر من التدمير المادي والمعنوي في القوات المسلحة العراقية.

. وبنهاية اليوم الثامن والثلاثين للعمليات من الأسبوع السادس لها، الموافق ٢٣ فبراير، أتمت القوات الجوية المشتركة تنفيذ مهامها القتالية داخل العمق العراقي والكويت المحتلة مستهدفة الأهداف العسكرية والإستراتيجية وقوات الحرس الجمهوري التي تعتبر العمود الفقري للدفاعات العراقية في مواجهة أي هجوم بري محتمل، والجسور لقطع خطوط الأمداد، ومصادر الطاقة ومنصات اطلاق الصواريخ، وبلغ عدد الطلعات في مرحلة القصف الجوي ٩٤ ألف طلعة طائرة.

وبلغت خسائر العراق في الطائرات:

. ٤٢ طائرة قتال في اشتباكات جوية منها ٦ عمودية.

. ١٠٥ طائرات قتال دمرت على الأرض وداخل الدشم.

. ١٤٧ طائرة مدنية وعسكرية لجأت إلى إيران (١٢١ طائرة قتال، ٢٦ طائرة نقل).

وبلغت خسائر قوات دول التحالف في الطائرات:

. ٣٣ طائرة قتال (٢٤ أمريكية، ٥ بريطانية، ١ ايطالية، ٢ سعودية، ١ كويتية) ومن هذا العدد ١٨ طائرة تدمرت بالمقاومة الأرضية.

مرحلة العملية البرية ٢٤ فبراير . ٢٨ فبراير ١٩٩١

مع اقتراب موعد بدء المعركة البرية بعد ٣٧ يوماً من بداية عملية عاصفة الصحراء فإن القوات المتحالفة قد قامت بالقصف الجوي والبحري المركز على الأهداف العراقية الإستراتيجية والعسكرية، وقامت مئات الطائرات للقوات المتحالفة بمهمات قتالية في العمق العراقي والكويت المحتلة شملت غارات نهارية على بغداد.

وفي الساعة الرابعة صباح يوم ٢٤ فبراير بتوقيت المملكة العربية السعودية (يوم ٣٩ . عمليات) بدأت القوات المشتركة هجوماً برياً وبحرياً وجوياً، وقامت القوات المشتركة بالهجوم الجوي لمساندة القوات البرية مع الإستمرار في ضرب الأهداف الإستراتيجية، وواصلت قوات الإحتلال العراقي ممارسة سياسة الأرض المحروقة بإشعال النار في آبار النفط الكويتية مما أدى إلى تغطية دفاعاتها بدخان كثيف أسود من حقول النفط المشتعلة.

وفي الساعة الثامنة صباح نفس اليوم قامت ٣٠٠ طائرة مروحية بنقل وحدات من الفرقة الأمريكية ١٠١ اقتحام جوي إلى مواقع أمامية عبر الكويت. واستمرت القوات الجوية لدول التحالف في مساندة القوات البرية حتى الساعة الثامنة صباحاً بتوقيت السعودية يوم ٢٨ فبراير حيث توقفت العمليات القتالية الهجومية بعد ١٠٠ ساعة من بدء العملية البرية.

واستمرت القوات المشتركة في تنفيذ عدد من الطلعات الجوية تشمل الدوريات والإستطلاع لمراقبة أي تحركات للمعتدي العراقي، وبلغ مجموع الطلعات الجوية منذ بدء عملية عاصفة الصحراء ١١٠٥٣٧ طلعة طائرة.

ثالثاً: تحليل أداء الدفاع الجوي العراقي في عملية عاصفة الصحراء:

يعتمد التحليل على المعلومات الواردة في البلاغات العسكرية المعلنة أثناء الحرب، وعلى تصريحات القادة العسكريين في مسرح العلميات، والمسؤولين في وزارة الدفاع الأمريكية (البنتاغون) وفي دول التحالف والإتحاد السوفييتي، ويتناول التحليل النقاط التالية:

دور المفاجأة في احراز السيطرة الجوية

لعبت المفاجأة دوراً هاماً في احباط وسائل الدفاع الجوي العراقي وإحراز السيطرة الجوية لدول التحالف في سماء مسرح العمليات، فقد حققت القوات المتحالفة المفاجأة نتيجة اختيار موعد بدء الحرب بعد ١٩ ساعة فقط من إنتهاء المهلة المحددة للإنسحاب من الكويت بخلاف ما كان يتوقعه الرئيس العراقي، وبتوجيه ضربات جوية شاملة اشتركت فيها طائرات الشيخ أف . ١١٧ التي لا تكشفها أجهزة الرادر، وقد اقلعت الطائرات من المطارات السعودية ومن حاملات الطائرات المنتشرة في المنطقة، منسقة أعمالها مع القصفات الصاروخية توماهوك المنطلقة من السفن الحربية، وتمكنت الضربات من تحقيق أهدافها بدقة ونجحت في تحديد الدفاعات الجوية العراقية وتحقيق السيطرة الجوية في سماء المعركة، مما كان له أثر كبير في تقليل نسبة الخسائر في القوات الجوية لدول التحالف، ولم تحدث خسائر سوى طائرة أمريكية واحدة اف .١٨.

كثافة الهجمات الجوية والصاروخية وتأثيرها على الدفاع الجوي العراقي

كان معدل الطلعات اليومي حوالي ٢٥٠٠ طلعة طائرة في الأسبوعين الأول والثاني للعمليات، وكان أكثر من نصف هذا العدد للإسناد الذي يشمل طائرات الحراسة وطائرات التزود بالوقود في الجو وطائرات البحث والإنقاذ وطائرات الإستطلاع والباقي طائرات الطلعات الهجومية.

وفي الأسبوع الثالث كانت نسبة طائرات الإسناد في هذا المعدل ٥٠٪، وفي الأسبوعين الرابع والخامس للعمليات بعد الحصول على السيادة الجوية كانت الطلعات الهجومية تقدر بحوالي ٦٥٪، والباقي للإسناد، أما في الأسبوع السادس فقد ازدادت نسبة طائرات الإسناد على حساب الطلعات الهجومية بسبب تكثيف أعمال الطيران لصالح نقل القوات المتحالفة إلى مواقع الهجوم في العملية البرية.

وأمكن بهذا المعدل من الطلعات توجيه الهجمات الجوية بكثافة عالية إلى الأهداف الإستراتيجية من عدة اتجاهات وبأعداد كبيرة من الطائرات في وقت واحد وفي مجموعات منتشرة على مواجهة واسعة في العمق والإرتفاع، مما أدى إلى إرباك السيطرة على قوات الدفاع الجوي وإضعاف أدائها.

وكانت كثافة الهجمات الجوية متفوقة بدرجة كبيرة على إمكانات الدفاع الجوي العراقي مما أدى إلى إحباطه وفشله في صد هذه الهجمات.

التخطيط الجيد في اختيار الأهداف في العراق والكويت المحتلة

حيث تم التخطيط حسب الأولوية في افتتاحية القصف الجوي والصاروخي التي استهدفت مراكز القيادة والتحكم ومراكز الإتصالات والقواعد الجوية وأنظمة الدفاع الجوي من الرادارات والصواريخ، وبذلك أمكن لدول التحالف تحقيق السيادة الجوية في سماء المعركة، وهذا ما قاله الجنرال "كولن باول" رئيس هيئة الأركان المشتركة الأمريكية في مؤتمر عقد حينئذٍ حيث قال: إن الولايات المتحدة وحلفاءها حققوا سيادة جوية مطلقة فوق العراق منذ اندلاع القتال.

الاستخدام الموسع والمكثف للاعاقة الألكترونية

وهي إحدى الركائز الهامة التي كان يتفوق بها الحلفاء وبتأثيرها على أداء أنظمة الدفاع الجوي العراقية بتعمية أجهزة الرادار وإعاقة وسائل الإتصال داخل العراق مما أدى إلى ارباك نظم القيادة والسيطرة في العراق.

الخصائص الفنية والتكتيكية لطائرات دول التحالف

حيث وفرت إمكانات كبيرة في القصف الدقيق من مسافات بعيدة خارج مدى نيران وسائل الدفاع الجوي الأرضية العراقية، باستخدام طرق التوجيه الراداري والتلفزيوني والكهروبصري، والتوجيه بالأشعة تحت الحمراء وبأشعة الليزر.

الملحق رقم (٢)

القوات الجوية والدفاع الجوي لدول التحالف المشتركة

في عملية "درع الصحراء"

القوات الجوية الأمريكية:

. طائرات قتالية عددها حوالي ١٢٠٠، تشمل:

طائرات السلاح الجوي:

قاذفة استراتيجية بي . ٥٢، ٢٦ طائرة.

أف . ١٥ أي ايجيل ٤٨ طائرة.

أف . ١١١، ٥٠ طائرة.

أف . ١١٧، (الشبح)، ٤٤ طائرة.

أف . ١٥ ايجل (اعتراضية) ٩٦ طائرة.

أف . ١٦ فالكون ١٢٠ طائرة.

هجوم ارضي أي . ١٠ تندربولت.

قاتلة الدبابات ١٢٠ طائرة.

أف . ٤ فانتوم ٢٤ طائرة.

استطلاع فانتوم آر أف . ٤، ٢٤ طائرة.

مقاتلة الكترونية هجومية أف . ١١، ٢٤.

طائرات القوات البحرية:

مقاتلة اعتراضية أف . ١٤ تومكات ١٢٠ طائرة.

مقاتلة متعددة الأعتراض أف . ١٨، ١٩٣ طائرة.

قاذفة تكتيكية أي . ٦ انترودر ١٦٠ طائرة.

قاذفة تكتيكية أي . كورسير ٤٨ طائرة.

قاذفة هجومية عمودية أي في . ٨ هاير ٦٠ طائرة.

قاذفة عمليات الكترونية أي أي .٦، ٣٦ طائرة.

قاذفة عمليات الكترونية أي أي .٦، ٣٦ طائرة.

حوامات قتالية تضم:

حوامة هجومية متوسطة المدى أباتشي ١٤٠ طائرة تتبع الجيش.

حوامة هجومية متوسطة المدى كوبرا ١٦٠ طائرة تتبع البحرية.

طائرات إنذار مبكر وقيادة وسيطرة أي . ٣ سنترى (ايواكس)، طائرات إنذار أي . توماهوك أي، وطائرات رصد وتشويش وتنصت سي . ١٣٥، إي سي . ١٣٠ هيركوليس، وطائرات رصد واستطلاع بحري بي . ٣ اوروت سي . ٣ فايكنج (وهذه الأنواع تبلغ حوالي ١٠٠ طائرة للدعم والمساندة).

. بالإضافة إلى طائرات النقل، والطائرات الصهريج للإمداد بالوقود في الجو، والحوامات للأغراض المختلفة.

أسلحة الدفاع الجوي الأمريكية:

٦٠ منصة لإطلاق صواريخ (باتريوت) المضادة للطائرات والمضادة للصواريخ البالستيكية.

٦٠ منصة لإطلاق صواريخ هوك المضادة للطائرات.

٢٠٠ مدفع مضاد للطائرات ذاتي الحركة من نوع فولكان عيار ٢٠مم.

علاوة من الصواريخ المضادة للطائرات التي تحملها السفن والصواريخ العضوية في التشكيلات البرية على المستويات المختلفة.

القوات الجوية البريطانية:

. طائرات قتالية: ٦٦ طائرة بيانها كالآتي: مقاتلة هجومية تورنيدو أي دي أس ٣٦ طائرة.

مقاتلة هجومية جاجوار ١٢ طائرة.

مقاتلة اعتراضية تورنيدو ١٨ طائرة.

. حوامات قتالية ٤٨ (٢٤ متوسطة لينيكس، ٢٤ خفيفة جازيل).

. طائرات استطلاع بحري "نمرود ٤"، ٨ طائرات هليكوبتر للرصد والإستطلاع البحري (٩ طائرات لينكس، طائرتان سي كينج).

. بالإضافة إلى طائرات نقل ثقيلة، وطائرات تموين جوي بالوقود، وحوامات مساندة متنوعة.

أسلحة الدفاع الجوي البريطانية:

٩٦ منصة إطلاق مضادة للطائرات (٢٤ اطلاق صواريخ رابير، ٧٢ قاذف صواريخ "جافين" تطلق من الكتف).

علاوة على الصواريخ المضادة للطائرات التي تحملها السفن البريطانية.

القوات الجوية الفرنسية:

. طائرات قتالية: عدد ٤٠ طائرة بيانها كالآتي:

مقاتلات ميراج . ٢٠٠٠ ١٠ طائرات.

مقاتلات اعتراضية أف . ١ ٦ طائرات.

طائرات هجوم ارضي جاجوار ٢٤ طائرة.

حوامات مسلحة خفيفة جازيل ٤٨ طائرة.

حوامات متوسطة بوما ٢٣ طائرة.

علاوة على طائرات نقل وتموين جوي.

أسلحة الدفاع الجوي الفرنسية:

قاذفات صواريخ مضادة للطائرات ميترال: ٢٤ علاوه من الصواريخ المضادة للطائرات التي تحملها السفن الفرنسية.

قوات دول الخليج:

. طائرات قتال: ٤٠٠ طائرة من الأنواع أف . ١٥ ايجل، وتورنيدو، وأف . ٥ تايجر، وميراج أف . ١، وميراج ٢٠٠٠، وألف . ١٦ فالكون، وجاجوار.

. حوامات قتالية: ١٠٠ طائرة.

صواريخ توماهوك المنطلقة من السفن الأمريكية

وقد كان لها دور بارز في تدمير الأهداف العراقية، خاصة أنظمة الدفاع الجوي والمطارات منذ بداية الحرب وتتميز بقوة تدمير كبيرة ودرجة دقة عالية جداً بفضل استخدام نظام التوجيه المتطور "تركوم" الذي يعمل على تصحيح مسار الصاروخ حتى وصوله إلى الهدف. وهذه الصواريخ أقل تعرضا لدفاعات العدو الجوية لأن اطلاقها يتم من مسافات بعيدة خارج مدى هذه الدفاعات، كما يصعب اكتشافها بأجهزة الرادار نتيجة صغر حجم البصمة الرادارية، وقدرتها على

الطيران على ارتفاعات منخفضة جداً في خطوط سير متعرجة تسمح لها باختراق الدفاعات ووصول الرأس الحربي إلى الهدف. ولم يتوفر لدى العراق أي سلاح مضاد لهذه الصواريخ.

النتائج التي حققها القصف الجوي والصاروخي

تم إحداث أكبر قدر من التدمير المادي والمعنوي في القوات المسلحة العراقية من خلال القصف الجوي والصاروخي المستمر للأهداف العسكرية العراقية ذات القيمة الإستراتيجية، ونجحت الغارات الجوية التي جرت خلال مرحلة القصف الجوي في قطع طرق الإمداد والمواصلات بين العراق والكويت وداخل العراق، مما أثر على امداد التشكيلات والوحدات العراقية الموجودة على خطوط الجبهة باحتياجاتها الأساسية من ذخائر ومواد فنية ولوجستية.

وقد صرح الجنرال "نورمان شوارزكوف" القائد العام للقوات الأمريكية في المنطقة ان العمل الذي تم حتى الآن، أثناء الحملة الجوية، بالقصف الجوي قد أدى إلى ان العراق قد فقد السيطرة والتحكم في سلاح الطيران، وأن الطائرات التي لجأت إلى إيران قد قامت بذلك لأنها لا تستطيع ان تقوم بشيء الا الهرب، ولذلك هربت الطائرات بعد ان فقدت التحكم المركزي.

وصرح "تشيني" وزير الدفاع الأمريكي، في مؤتمر صحفي عقد في الرياض أثناء مهلة القصف الجوي لقوات التحالف، ان الحملة الجوية وهي الآن في أسبوعها الرابع حققت نتائج هامة وتسير على أحسن ما يرام حتى الآن، وقد استطاعت ان تضرب المراكز الرئيسية في العراق، وأصبح الدفاع الجوي والسلاح العراقي غير فعالين بالمرة، ولا وجود الآن لحريته، كما تم نسف معظم المرافق النووية والكيمياوية التي تنتج مثل هذه الأسلحة، وتم أيضاً تدمير القدرات على انتاج الأسلحة البيولوجية، كما تم ضرب خطوط الاتصال بين القيادة العراقية وبقية أجزاء العراق وذلك بنسف الجسور ومراكز الاتصالات، وأوضح ان الطائرات الحليفة حققت تقدماً ضد قوات الحرس الجمهوري التي تعد العمود الفقري، وقال ان القوة الجوية للحلفاء مازالت تقوم بدور مؤثر في إنهاك الآلة العسكرية العراقية.

تأثير الحرائق المشتعلة على الوسائل الهجومية والدفاعية

أشعلت القوات العراقية النيران في حقول النفط الكويتية بهدف إخفاء مواقعها من طائرات دول التحالف بالدخان الأسود الناجم عن الحرائق، وتولدت السحب الكثيفة التي كان لها التأثير على أسلحة الدفاع الجوي العراقي بإعاقة المراقبة والإشتباك مع الطائرات المغيرة، كما كان لها تأثير أيضاً على تقدير وتقييم حجم الخسائر والأضرار التي لحقت بالقوات العراقية.

تقييم أداء القوات الجوية والدفاع الجوي العراقية:

من الواضح ان المقاتلات الإعتراضية، وهي العنصر الرئيسي في الدفاع الجوي العراقي، لم يظهر دورها في معركة جوية، كما ان معظم الطائرات العراقية التي حلقت في الأجواء العراقية تم تدميرها بواسطة طائرات الحلفاء المسلحة بصواريخ جو/جو سايد وايندر وسبارو، وبلغ عدد الطائرات العراقية التي تم اسقاطها في اشتباكات جوية ٤٢ طائرة قتال منها ٦ طائرات عمودية، ولم تحاول طائرة واحدة عراقية اختراق المجال في المملكة العربية السعودية، وقد تسبب غياب السلاح الجوي العراقي عن أجواء المعركة في التدمير المادي والمعنوي الذي لحق بالعراق، وهناك من يرى ان لجوء أفضل الطائرات القتالية العراقية إلى إيران كان خطأ كبيراً لانه يترك المجال الجوي العراقي مفتوحاً أمام هجمات طائرات التحالف، كما يحرم نفسه من غطاء جوي حيوي عند وقوع المعارك البرية، ولكن هناك آراء أخرى ترى ان سلطات العراق وجدت طائراتها لا تستطيع العمل في ظل الغارات الجوية الكثيفة، وأن ملاجئ الطائرات أخذت تتعرض للتدمير، لذا اضطرت إلى تهريب الطائرات حفاظاً عليها.

وهذا التفسير يتماشى مع ما قاله الجنرال "توماس كيلي" مدير العمليات بهيئة الأركان الأمريكية، ان السلطات العراقية سمحت للطائرات بالفرار إلى إيران، بعد ان اكتشفت ان الملاجئ المحصنة لا تحمي الطائرات من الغارات، وهناك تفسير آخر لغياب السلاح الجوي العراقي صرح به الجنرال "ايتين كوبيل" رئيس أركان القوات الجوية الفرنسية الأسبق، حيث قال: إن الطائرات العراقية لم تغادر مطاراتها نظراً لصعوبة الإقلاع في ظل كثافة الغارات الجوية، خصوصاً وأن السلاح الجوي للدول المتحالفة يسيطر على الأجواء في منطقة القتال، كما أن الطائرات العراقية أصبحت محرومة من أجهزة الرادار التي توجهها فضلاً عن وسائل الاتصال وهي الاهداف الأولى التي قام طيران الدول الحليفة بتدميرها، وأعرب عن إعتقاده أنها أصبحت مشلولة نظراً لإصابة ممرات الهبوط والإقلاع بسبب تعرضها للتدمير المستمر بالقنابل جي بي ٢٣٣ ذات التأثير الهائل في إحداث حفر تستغرق وقتاً طويلاً في الإصلاح.

وقد فشل الدفاع الجوي العراقي في التصدي للقصف الجوي، ولم يستطع منع دول التحالف من تحقيق هذا الهدف، وفشل في تحقيق المهمة الأساسية المكلف بها وهي توفير الوقاية للقوات والأهداف الحيوية للدولة، أيضاً لم يتوفر لدى العراق الوسائل الدفاعية القادرة على منع الإستطلاع الجوي الاستراتيجي والفضائي، ولذا كانت المعلومات على الأهداف وتحركات القوات العراقية والخسائر التي لحقت بها متوفرة لدى قوات التحالف أولاً بأول في الوقت الذي كان فيه العراق

محروماً من الحصول على المعلومات بالوسائل الجوية، خصوصاً بعد إرسال طائراته المجهزة للاستطلاع (عدنان . ١) إلى إيران.

وإذا تناولنا أسلحة الدفاع الجوي العراقي، فسنجد ان العراق كان يمتلك أعداداً كبيرة من أنظمة الصواريخ أرض/جو القصيرة المدى والمتوسطة المدى والصواريخ الفردية التي تطلق من الكتف، وشبكة من الرادارات والمدفعية المضادة للطائرات من أعيرة مختلفة بما في ذلك الأسلحة المضادة للطائرات المستولى عليها أثناء غزو الكويت، والأسلحة المضادة للطائرات الموجودة بالتشكيلات الميدانية على المستويات المختلفة، ومعظم هذه الإسلحة سوفييتية الصنع والبعض من الغرب مثل صواريخ هوك المستولى عليها وصواريخ رولاند.. وبالرغم من هذا الحشد الهائل من أسلحة الدفاع الجوي فإن الأداء كان ضعيفاً جداً في مواجهة التفوق الكمي والنوعي لأسلحة الهجوم الجوي والصاروخي لدول التحالف.

ومن الناحية التطبيقية في عملية عاصفة الصحراء، وبالرجوع إلى المقارنة بين أعمال قتال وسائل الهجوم الجوي التي نفذتها دول التحالف، وبين أعمال قتال أسلحة الدفاع الجوي العراقي وقدرتها على صد وتدمير وسائل الهجوم الجوي المتمثلة بمتوسط عدد الأهداف الجوية التي تم إسقاطها، مع استبعاد هجمات صواريخ كروز لعدم وجود دفاع عراقي ضدها، نجد الآتي:

. عدد الطلعات الجوية لدول التحالف منذ بدء عملية عاصفة الصحراء ١١٠٥٣٧ طلعة طائرة.

. عدد الطائرات التي أسقطها الدفاع الجوي العراقي حسب ما جاء في إعلان وزير الدفاع السوفييتي ٩٣ طائرة (مع التحفظ على هذا الرقم الذي نفته قوات التحالف).

ما ورد في البلاغات العسكرية العراقية، منها البلاغ رقم ٢٣ الذي ذكر أن العراق تمكن من إسقاط ١٨٠ طائرة، وبلاغ آخر ذكر ان الإسقاط بلغ أكثر من ٢٦٣ هدفاً، في الوقت الذي أعلنت فيه دول التحالف بأن خسائرها في طائرات القتال ٣٧ طائرة، منها ١٨ طائرة فقط بأسلحة المقاومة الأرضية.

. يتضح من هذه البيانات ان الدفاع الجوي العراقي كان يعاني من نقاط ضعف، وانه كان عقيماً في مواجهة طائرات التحالف، وأن إدارة أعمال القتال لم تكن على المستوى المطلوب في الأداء.

وهكذا أثبتت الحرب فشل النظرية التي بنيت عليها فكرة الدفاع الجوي العراقي، والتي تقضي بالصمود وامتصاص الضربات الجوية الصاروخية التي توجه إلى الأهداف، بتطبيق الإجراءات

التي تساعد على الصمود، ولكن هذه الإجراءات لم تنجح، فقد أثبتت عمليات القصف الجوي التي استمرت ٤٢ يوماً ان ملاجئ الطائرات العراقية تعرضت للتدمير بأسلحة الهجوم الجوي المتطورة، ولم توفر الحماية للطائرات مما اضطر العراق إلى السماح لطائراتها باللجوء إلى إيران، وأن أساليب التوجيه البصري والكاميرات التلفزيونية في أسلحة الدفاع الجوي العراقي لم تنجح في التغلب على الإعاقة والتشويش الالكترونيين، وأن الإخفاء باستخدام شباك التموية الحديثة لم ينجح، وكانت وسائل الإستطلاع بدول التحالف قادرة على كشفها، وأن مراكز القيادة الرئيسية والتبادلية تم تدميرها، وأن أعمال الخداع لامتصاص ضربات العدو الجوية في أهداف هيكلية (غير حقيقية) بإنشاء مطارات كاذبة ونشر مواقع الصواريخ الهيكلية لخداع الطائرات المغيرة لم تنجح، لإن دول التحالف كانت على علم بها ووضعتها في الحسبان.

وقد أدى شن الهجمات الجوية والصاروخية ليل نهار إلى انخفاض الروح المعنوية بين القوات والسكان في العراق والكويت المحتلة، كما أثر على أوضاع استعداد القوات وخاصة وحدات الدفاع الجوي العراقي، مما حدّ من كفاءة المعدات وصلاحيتها للقتال في ظروف تطبيق الحصار الإقتصادي على العراق١.

الفصل الثالث

العسكرية العربية ومستقبل النظام

١المراجع:

1-Military Balance, 1990/1991.

2-Newsweek 28 Jan, 1991.

3-Air and cosmos magazine, 4-10Feb 1991.

4 - Newseek, Feb11,1991.

الأمني العربي بعد حرب الخليج

العسكرية العربية وحرب الخليج[1]

بقلم: العميد الدكتور: هيثم الكيلاني

يمثل توجه مجلة "القوات الجوية" نحو اعداد (التقرير الأخير عن حرب الخليج) جهداً نوعياً جديداً هو موضع التنويه والتقدير، وخصوصاً ان هذا المسعى يتسع في جنباته لآراء العسكريين حول أداء القوات المشاركة في الحرب من طرفي الصراع، وإذا كانت هذه الشيمة دليلاً محموداً على الموضوعية والنزاهة والروح العلمية فإنها تحمل الكاتب عبئاً إضافياً، وهو ما يدعوني إلى تسجيل الملاحظات الآتية:

. إن الحجم الذي حددته المجلة لمقالات التقرير لا يمكن ان يستوعب عرض آراء جميع كبار العسكريين العرب حول أداء قوات الطرفين، فثمة كم كبير من الكتب والتقارير والمجلات تضغط على الكاتب حتى يستوعبها في دراسته.

. لا أستطيع ان أدعي أنني أملك في يدي جميع (آراء كبار العسكريين العرب) أو أنني اطلعت على جميع آرائهم، ولكنني أزعم أنني اطلعت على بعضها، وجمعت لدي قسماً من المراجع أستند إليها في كتابة هذه الدراسة.

. ليس لي أن ادعي ايضاً انني أطلعت على آراء كبار العسكريين في الطرف الآخر من الصراع والأسباب معروفة، احدها وأهمها إنقطاع الإتصال وعدم إمكان انتقال المراجع والمطبوعات الصادرة في العراق إلى خارجه، سوى القليل النادر منها، ويشكل هذا النقص ثغرة في القدرة على تحقيق توازن معقول بين آراء الطرفين بالشكل الذي حددته إدارة تحرير المجلة.

. ثمة مفكرون وكتاب عرب غير عسكريين تناولوا حرب الخليج بدراسات عسكرية أو ان ما كتبوه إشتمل على آراء في الجانب العسكري من الحرب، وكان بودي ان تكون الدراسة شاملة لهذه الفئة من المفكرين والكتاب العرب غير العسكريين ولكن خطة إدارة تحرير المجلة بشأن (التقرير الأخير عن حرب الخليج) حصرت الأمر صراحة (بآراء كبار العسكريين العرب).

وليس جميعهم حصراً، ذلك ان حدود المقالة تفرض أسلوب الإختصار والإقتصار وهذه الملاحظة هامة ومقصدها التعبير عن التقدير والإحترام لآراء جميع الكتاب العسكريين العرب الذين اسهموا بدراساتهم وأفكارهم في معالجة شؤون حرب الخليج بمختلف مقدماتها وأسبابها ونتائجها

---

[1] الإتحاد . أبو ظبي ١٩٩٢/١/١٧.

وجميع جوانبها، وهو إسهام لا يمكن لمثل هذه الدراسة الموجزة ان تستوعبه وتفيه حقه من التقدير والتكريم.

وجهة النظر السعودية:

قد يكون مناسباً ان نبدأ بعرض آراء قائد القوات المشتركة ومسرح العمليات الفريق الأول الأمير خالد بن سلطان بن عبد العزيز ولابد من توضيح بشأن قيادة قوات التحالف الدولي، فمن المعروف أن هذه القوات كانت تخضع لقيادتين وليس لقيادة واحدة، وهما:

١ . قيادة القوات المشتركة ومسرح العمليات، التي كان يرأسها الأمير خالد، وتتبعها قوات ٢٤ دولة هي قوات الدول العربية والإسلامية وقوات أخرى، وتتولى مهام الإسناد الإداري لجميع قوات مسرح العمليات (٣٧ دولة).

٢ . قيادة القوات المركزية الأمريكية التي كان يرأسها الجنرال نورمان شوارزكوف، وتتبعها قوات الولايات المتحدة وفرنسا وانجلترا وإيطاليا وكندا، وكان يجمع القيادتين مركز للتنسيق متعدد الجنسيات كوسيلة فعالة لوحدة القيادة، وكانت خطط العمليات توضح بالإشتراك بين القيادتين، وكانت هذه الخطط وأوامر العمليات تحمل توقيع القائدين، وفي حديثه لجريدة الأهرام القاهرة ١٩٩٢/٢/٢٨ أثنى الأمير خالد على القوات العربية والإسلامية التي اشتركت في الحرب، وأشاد بحسن أدائها وانضباطها وكيفية تنفيذ الواجبات التي كلفت بها، وضرب أمثلة على ذلك، أما عن أعمال أداء القيادة العسكرية العراقية فقد وصفها بأنها كانت استنزافاً للقوات العراقية، ويشهد على ضعف الفكر العسكري، فلا يعقل أن يدافع أي قائد عسكري قواته في معركة هجومية دون غطاء جوي وهو يعلم في نفس الوقت ان الجانب المقابل يمتلك السيادة الجوية، ثم وصف معركة الخفجي التي قادها الأمير خالد نفسه بأنها أكبر معركة برية تشترك فيها القوات السعودية منذ نشأة المملكة، كانت اختباراً فعلياً لقدرة القوات التي قاتلت في هذه المعركة (وهي القوات السعودية ووحدات من الحرس الوطني ووحدات من دولة قطر) ولقدرة القيادة على القيادة والسيطرة الحازمة.

عرض الأمير خالد في حديثه الصعوبات والمشكلات التي نجمت عن (وجود قوات من ٣٧ دولة . وهو ما لم يحدث من قبل في أي حرب عرفتها البشرية . مع اختلاف أسلحتها وذخائرها ومعداتها وعقائدها القتالية وعاداتها وتقاليدها وأذواقها ولغاتها، اضافة إلى اختلاف طبيعة الأرض والطقس بالنسبة إلى العديد منها) وأشار إلى (وضع أنظمة عملياتية وامدادية تغلبت على ما ظهر من مشاكل، كما ان تخصيص قطاعات مسؤولة دون التعرض للعقائد القتالية أو الاستخدام القتالي التفصيلي كان أساس التخطيط العملياتي مع مراعاة كثير من الاعتبارات مثل: مناسبة وحدات كل

قطاع للمهمة المكلفة بها، تآلف كل قوة مع القوات التي على اجنابها، وتعاون القوات التي سبق لها إجراء تدريبات مشتركة، وتجمع القوات التي تتكلم لغة واحدة).

الرد على شوارزكوف:

وفي الرد الذي نشره الأمير خالد على كتاب الجنرال الأمريكي نورمان شوارزكوف ،يحتاج الأمر إلى بطل) جريدة الاهرام القاهرية ١٩٩٢/١٠/٢٢) أشار إلى محاولة شوارزكوف التلميح إلى (أداء القوات المصرية وتنفيذ المهام بالنسبة إلى القوات السورية) وقال الأمير خالد (لقد أدت القوتان المصرية والسورية مهامها على أكمل وجه، وكانت مشاركتها في هذه الحرب فعالة وضرورية) وأورد شرحاً لفكرته هذه ثم عاد فأكد رأيه ثانية في جريدة الحياة اللندنية (١٩٩٢/١٢/٣) وأشار إلى أن (أحد الأسباب التي ساعدت على سرعة تقدم ارتال المعتدي واقتحامها لمدينة (الخفجي) هو تأخر المعاونة الجوية القريبة وعدم الاستجابة للطلب في الوقت المناسب حيث كانت السيطرة العملياتية الجوية من مسؤولية القوات الجوية الأمريكية).

وجهة النظر المصرية:

في الجوانب العسكرية لحرب الخليج يبرز (التقرير الإستراتيجي العربي الذي أصدره مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية بمؤسسة الأهرام عام ١٩٩١ ثم عام ١٩٩٢ (القاهرة) كنموذج لدراسة مكثفة ومختصرة تتدرج في إطار تقرير عام وشامل عن النظام الدولي والإقليمي بسياساته واقتصادياته وتطوراته الإجتماعية، وهكذا خصص تقرير عام ١٩٩١ للجوانب العسكرية من حرب الخليج ٢٦ صفحة من ٥٦٣ صفحة) حيث بحث في التقرير الثاني (١٩٩٢) نتائج الحرب ودلالاتها وأمن الخليج والتفاعلات والسياسات العربية بعد أزمة الخليج وذلك في ثنايا التقرير، وقد أعاد القسم الخاص بالجوانب العسكرية لحرب الخليج في التقريرين وحدة الدراسات العسكرية في المركز.

الفكر السياسي العراقي:

يرى التقرير ان الفكر العسكري العراقي سعى خلال العمليات العسكرية في الكويت إلى البحث عن أفضل صيغة ممكنة لتحقيق الهدف المحدد . وهو تعظيم المكانة الإقليمية والعالمية للعراق وتصحيح التفاوت بين محدودية النفوذ والتأثير السياسي للعراق وبين تعاظم قواته العسكرية . بحيث تأخذ هذه الصيغة في إعتبارها جملة القيود الهائلة التي تجابه تنفيذ مثل هذا الهدف، كما تأخذ في اعتبارها الكفاءة القتالية المحدودة نسبياً للقوة العراقية حال المقارنة مع عناصر الحشد العسكري الدولي المواجه لها، وقد ركز التقرير في دراسته للفكر العسكري العراقي على أربع نقاط:

الاستراتيجية العسكرية العراقية في حرب الخليج:

وتتلخص في هدفين عملياتيين أولهما ردع قوات التحالف الدولي عن مهاجمة القوات العراقية في الكويت من خلال تكثيف أعمال الحشد العسكري العراقي فيها، وثانيهما الإعداد للدفاع عن الأراضي التي تم احتلالها في حال فشل الردع، وقد انبنى الفكر السياسي والعسكري العراقي على ان هناك إمكانية كبيرة لبلوغ هذين الهدفين من خلال افتراضين أولهما ان معسكر التحالف الدولي لا يمكن ان يغامر بشن الحرب التي ستؤدي . حسب الفكر العراقي إلى اندلاع حريق هائل في المنطقة تترتب عليه عواقب وخيمة للسياسات والإقتصاديات الغربية ولتدفق النفط ولسائر دول المنطقة، وثانيها ان الرأي العام في الغرب يمكن ان يلعب دوراً ضاغطاً على معسكر التحالف ليحول دون شن الحرب على العراق تحاشياً لخسائر جسيمة بشرية واقتصادية.

من هذا المنطلق اعتقدت القيادة العراقية ان الحرب لن تقع وعملت على تعزيز وضعها الدفاعي عن طريق الفتح الإستراتيجي واسعة النطاق للقوات العراقية في إتجاه مسرح العمليات الكويتي وجنوب العراق، ثم اتبعت ذلك بتعزيز دفاعاتها عن الأراضي التي احتلتها في الكويت.

وهكذا بنت القيادة العراقية خطتها العسكرية على مفهوم الدفاع في مختلف المستويات الإستراتيجية والعملياتية والتكتيكية، مع الأخذ بعين الإعتبار إمكان التحول إلى الهجوم المضاد العام عقب إحتواء الهجوم العادي، وعلى هذا اقامت القيادة العراقية جبهة متصلة من المواقع والنطاقات الدفاعية، مع تركيز قوات كبيرة على الإتجاهات الرئيسة للحيلولة دون تمكين قوات معسكر التحالف من شن حرب خاطفة تنزل بالقوات العراقية ضربات قاضية.

وعلى الرغم من ان هذه الإستراتيجية الدفاعية لم يكن ينتظر لها ان تتيح للجانب العراقي تحقيق الحسم العسكري لصالحه، إتجه الفكر العسكري العراقي إلى توظيف هذه الإستراتيجية من أجل تعريض قوات التحالف للإستنزاف ولأضخم حجم ممكن من الخسائر البشرية سعياً وراء إحداث تحولات في الموقف السياسي العسكري لمعسكر التحالف اضافة إلى المراهنة على حدوث تحولات في مواقف الدول العربية لصالح العراق تحت ضغط الرأي العام العربي وقد احتفظت القيادة العراقية بالصواريخ أرض/أرض وبوسائل الحرب الكيمياوية لتهدد بها وتزيد عامل الضغط النفسي على قوات التحالف.

التكتيكات العراقية خلال العمليات العسكرية في الكويت:

سيطر مبدأ الدفاع على العمليات والتكتيكات العراقية حتى ان العمليات الهجومية المحدودة التي قامت بها القوات العراقية لم تكن تشير إلى نيات هجومية ولم تكن أيضاً في إطار الإستعداد

لعمل هجومي اوسع نطاقاً، وقد اعتمدت القيادة العراقية عند التطبيق على ثلاثة أشكال دفاعية: الخطوط الدفاعية الثابتة، والدفاع تعميق القائم على سلسلة من المواقع الدفاعية المتتالية، والاحتياطات التي تمثل قوة ضاربة متأهبة خلف الخطوط الدفاعية، ويمكن نقلها بسرعة إلى أي موقع أضف إلى ذلك ان القيادة زودت المواقع بالإحتياجات والمؤن التي تكفي القوات للقتال مدة تتراوح بين شهرين وثلاثة أشهر.

تجسدت الخطة على أرض في ثلاثة اتجاهات، الإتجاه الساحلي، والحد الأمامي على طول الحدود الكويتية . السعودية، واتجاه الوسط وجنوب العراق والبصرة.

اقتبست القيادة العراقية هذا النموذج الدفاعي من تجارب الحربين العالميتين الأولى والثانية، وتمسكت بمبادئ الحرب المرتبطة بمفهوم الدفاع الاستراتيجي مثل مبدأ الحفاظ على الهدف (احتلال الكويت) مع ما ينبثق عنه من أهداف مبدأ الحشد (أكبر قدر ممكن من القوات في مسرح العمليات لردع المعسكر المعادي عن نيته في الهجوم ولإحباط الهجوم إذا ما شنه الخصم "ومبدأ الإقتصاد بالقوى (توزيع القوات بشكل جيد في الجبهة والعمل على امتلاك احتياطات كافية) مع مراعاة التوازن التكاملي بين مبدأ الحشد ومبدأ الاقتصاد في القوى.

القصف الصاروخي العراقي:

ويجدر بنا ان نزيد الأمر وضوحاً فيما يتعلق بمبدأ المفاجأة الذي لا يحتل منزلة رفيعة في الوضع الدفاعي، ولهذا لم يبرز تطبيق هذا المبدأ في العمليات العراقية سوى في حالتين: القصف بالصواريخ البالستية أرض/أرض والهجوم على مدينة الخفجي الحدودية السعودية.

كانت أعمال القصف الصاروخي العراقي الأكثر كثافة وتركيزاً في الإدارة العراقية للحرب وقد بلغ عدد الصواريخ المطلقة على السعودية ٣٥ صاروخاً، واستهدف القصف زيادة تكلفه الحرب وبث الرعب والخوف في صفوف المسؤولين والشعب وإحداث إضطرابات داخلية أي ان الهدف كان سياسياً أكثر منه عسكرياً ذلك انه لم يكن استخدام هذه الصواريخ على نطاق واسع ضد الأهداف العسكرية لقوات التحالف ممكناً، لارتفاع دائرة الخطأ المحتمل المتصفة بها تلك الصواريخ ولافتقار القيادة العراقية لقوات استطلاع كافية وملائمة، اما عدد الصواريخ المطلقة على إسرائيل فبلغ ٣٧ صاروخاً، استهدف جر إسرائيل إلى دائرة الحرب، إذ كانت القيادة العراقية ترى ان دخول إسرائيل الحرب كان يمكن ان يؤدي إلى حدوث ردود فعل شعبية واسعة النطاق لمصلحة العراق في العالم العربي اعتمدت خطة استخدام الصواريخ أرض/أرض على استراتيجيتين: الكثافة والتمويه والخداع، اما الإستراتيجية الأولى فقد تبنت طريقة إطلاق عدد كبير نسبياً من الصواريخ في وقت واحد ومن

اتجاهات متعددة وضد أكثر من هدف وبحيث يصعب التصدي لها جميعاً، وأما استراتيجية التمويه والخداع فقد انطوت على استخدام مواقع هيكلية على نطاق واسع وعلى تخفيض كثافة القصف حيناً أياماً للخصم بأن هجماته الجوية نجحت في القضاء على فاعلية الصواريخ العراقية، وقد أدت هاتان الاستراتيجيتان إلى بعض النجاحات، حين أخفت القيادة أغلب منصات الصواريخ في مخابئ الأمر الذي جذب العديد من الهجمات الجوية المتحالفة ضد المواقع الهيكلية في بادئ الأمر، وحيث كانت القيادة تعاود الهجمات الصاروخية بعد الظن بأن سلاح الصواريخ قد قضى عليه.

اتسمت خطة استخدام الصواريخ الفاعلية، ثم بالفشل عن تحقيق أهدافها ويرجع ذلك إلى عاملين رئيسيين، أولهما كثافة القصف الجوي لطائرات التحالف ضد منصات إطلاق الصواريخ العراقية، ودقة ذلك القصف وثانيهما نجاح الصواريخ المضادة للصواريخ (باتريوت) في أداء وظيفتها وبخاصة ان تدني المستوى التكنولوجي للصواريخ العراقية قد ساعد على زيادة نسبة هذا النجاح.

هذا عن خطة استخدام الصواريخ أما عن العملية الهجومية التي قامت بها القوات العراقية ضد مدينة الخفجي السعودية فهي عملية تكتيكية هدفت إلى سبر مدى قوة استعداد قوات التحالف والوقوف على اوضاعها ومناطق انتشارها ودفع قيادة التحالف إلى التعجيل ببدء المعركة البرية قبل ان تستكمل خطة العمليات الجوية أهدافها، وقد فشلت العملية في تحقيق أهدافها وارتدت على القوات العراقية استنزافاً لها، وأخفقت في التعجيل ببدء المعركة البرية، وأدت إلى أن تكثف القوات الجوية المتحالفة عملياتها الرامية إلى عزل مسرح العمليات الكويتي وضرب القوات العراقية المرابطة داخل الخطوط الدفاعية على الحدود الكويتية السعودية.

قصور التخطيط الإستراتيجي العراقي:

يرجع تقرير الأهرام الهزيمة العسكرية التي تعرضت لها القات العراقية في إثر بدء المعركة البرية إلى تضافر مجموعة متنوعة من العوامل والإعتبارات تندرج في قصور التخطيط الإستراتيجي العراقي واختلال موازين القوى لغير مصلحة العراق والمساوئ العديدة التي صاحبت التطبيق العراقي لمبادئ الحرب.

فعن قصور التخطيط الإستراتيجي العراقي يقول التقرير أن الإستراتيجية العسكرية العراقية إرتكزت إلى مبدأ الدفاع كإطار عام للعمل العسكري الإستراتيجي للقوات العراقية. والواقع . يقول التقرير . إن المذاهب العسكرية المعاصرة على اختلافها ترفض الإعتراف بالدفاع على المستوى استراتيجية أو بالحرب الدفاعية ككل.

فمن المعروف في علم وفن الحرب ان استراتيجية الدفاع الصرف يمكن اللجوء إليها في حالات محددة ونادرة في الوقت نفسه، مثل الرغبة في اكتساب الوقت أو العمل على خلق واستدراج ظروف وشروط تساعد على إحداث تغيير في ميزان القوى لمصلحة الطرف المدافع وفي زعمنا ان هذا ما كانت تسعى إليه القيادة العراقية،حيث احتسبت ان الاستراتيجية الدفاعية الصرف تساعدها في إطالة زمن الحرب وعلى تكبيد الخصم خسائر متزايدة وعلى تعبئة الرأي العام العربي تأييداً للعراق، وتعبئة الرأي العام العالمي شجباً للتحالف وتوفيراً للخسائر البشرية، نضيف إلى ذلك كله ان ميزان القوى كان يميل إلى مصلحة قوات التحالف في ثلاث نواح جداً هامة وحاسمة في الحرب الحديثة، القوات الجوية والقوات البحرية والتطور التكنولوجي في نظم الأسلحة للقوات المتحالفة والمتقدمة تقدماً واسعاً على حالة نظم الأسلحة العراقية،وعلى هذا فإننا نرى ان الخيارات التي كانت متاحة للقيادة العراقية في إطار العوامل والظروف التي أشرنا إليها قليلة ومحدودة، وكان خيار الاستراتيجية الدفاعية الصرف أنسب الخيارات المتاحة للقيادة العراقية إن لم يكن أنسبها.

فإذا ما انتقلنا الآن إلى عامل موازين القوى العسكرية نجد ان ديناميكية الصراع المسلح في حرب الخليج اتسمت بحالة من الاختلال الساحق لموازين القوى لغير مصلحة العراق، فقد وضعت القيادة العراقية العراق في مواجهة مع المجتمع الدولي وتصدت القوات العراقية لقوات تحالف دولي تتفوق عليها كمياً ونوعياً وفي أغلب أنواع الأسلحة ومعدات القتال الرئيسية إلى جانب افتقار العراق إلى مصادر الدعم والإسناد الخارجية والتناقص المستمر في الموارد العسكرية والإقتصادية المتاحة له، وهكذا ترتب على هذا الاختلال العميق وجود تفاوت حاد في أنواع رئيسية من الأسلحة (مثل القوات الجوية) ونقصان حاد أيضاً في القدرات اللوجستية العراقية وقد أدى ذلك كله إلى تضاؤل قدرات العراق على خوض قتال طويل الامد.

أما عن التطبيقات العراقية الفاشلة لمبادئ الحرب، فيتحدث التقرير عن إهمال قاتل لبعض مبادئ الحرب مثل العمل الهجومي والامن والحسم في القتال إضافة إلى التطبيق الفعلي لمبادئ الدفاع والحشد في القوى والحفاظ على الهدف ومركزية القيادة اشتمل على أخطاء جسيمة.

أهداف قوات التحالف الدولي:

أما عن قوات التحالف الدولي وحسبما حدده تقرير الأهرام فقد كانت الأهداف الأساسية لدول التحالف: إخراج القوات العراقية من الكويت وتدمير القوة العسكرية العراقية التي كانت متخصصة لمسرح العمليات الكويتي، وانتزاع قدرة العراق على استخدام أو انتاج أو تطوير أسلحة التدمير الشامل، وتنفيذ هذه الأهداف بأدنى قدر ممكن من الخسائر البشرية والمادية في صفوف القوات

المتحالفة وفي الأهداف الحيوية في الدول المجاورة، وقد تتابعت عمليات قوات التحالف في الجو والبر والبحر من أجل تحقيق الأهداف المذكورة، وحسب الأوليات العملياتية الآتية: تدمير نظام القيادة والسيطرة والاتصال وتعطيل نظام الدفاع الجوي العراقي وتحييد القوات الجوية العراقية، ومنع العراق من شن هجمات مضادة ذات أهمية استراتيجية، وتدمير قدراته في مجال إنتاج أسلحة التدمير الشامل، وتدمير القاعدة الصناعية والإنتاجية، وعزل القوات في مسرح العمليات الكويتي وضرب قوات الإحتياط الإستراتيجية ثم العملية الهجومية البرية.

تمكنت قوات التحالف من تحقيق هذه الأهداف بخطة استراتيجية هجومية اشتملت على مراحل ثلاث، الحشد والتدريب، العملية الجوية الإستراتيجية، العملية الجو . برية، ففي مرحلة الحشد والتدريب حرصت قيادة التحالف على إستغلال الزمن لأعمال التعبئة والحشد والإعداد للحرب وشهد الجانب السعودي من مسرح العمليات إحدى أكبر عمليات الحشد البري والجوي والبحري فيما بعد الحرب العالمية الثانية، ومع الحشد كانت برامج مكثفة للتدريب تطبق في مختلف قوات التحالف، وبخاصة فيما يتعلق بالتعاون والتنسيق والعمليات المشتركة.

وكان الأمر يتطلب قيادة عملياتية موحدة، تستطيع إدارة العمليات وتنسيق الخطط الميدانية والتكتيكية والعمليات المشتركة البرية . الجوية . البحرية، وبخاصة ان القيادة المنشودة ستتكلف بادارة مجموعة قوات من أكثر من ٣٧ دولة، اختلفت نسبة مساهماتها في مجموعة قوات التحالف بين (٤٣٠) ألف جندي و(١٠٠) قطعة بحرية (الولايات المتحدة الأمريكية) وقطعة بحرية واحدة فقط (من كل اليونان والنرويج والبرتغال) و ١٥٠ جندياً (هندوراس)، لقد كان تأليف القيادة أمراً جداً هاماً وحساساً، فالقيادة مناط بها تشغيل قوات هذا التحالف الدولي، وهي منظمة أداءها ومنسقة حركاتها، وقد تطرقنا إلى هذا الأمر في مطلع الدراسة.

دور القوات الجوية المتحالفة:

تعد العمليات الجوية الإستراتيجية التي نفذتها قوات التحالف واحدة من أضخم العمليات الجوية في التاريخ العسكري، سواء من حيث نوعية وعدد الطائرات المشتركة فيها، أو من حيث حجم الأهداف الإستراتيجية التي تعاملت معها، وكانت العمليات الجوية أحد العوامل الرئيسية في تحقيق النصر لا سيما من خلال تهيئتها مسرع العمليات وتقليلها الخسائر إلى أدنى حد ممكن والدعم المباشر للقوات البرية.

وقد تحلت القوات الجوية المتحالفة العبء الرئيسي في عملية (عاصفة الصحراء) ونفذت عملياتها في مراحل أربع متفاصلة ومتواصلة في آن: مرحلة حيازة السيطرة الجوية، ومرحلة مهاجمة

القوات الضاربة والإحتياطية العراقية المتمركزة جنوب العراق وشمال الكويت (عزل مسرح العمليات) ومرحلة الهجوم على القوات الأمامية تمهيداً للهجوم البري، ثم مرحلة دعم الهجوم البري.

أدت القوات الجوية المتحالفة مهامها باستخدام أساليب جديدة في العمل الجوي وأنظمة متقدمة للحرب الالكترونية وصواريخ وقنابل ذات دقة عالية وأساليب توجيه متطورة وذلك كله بالتعاون مع نظام جد متطور ومتكامل للقيادة والسيطرة والإتصال والإنذار وجمع المعلومات.

كانت الحرب الجوية في الخليج تطبيقاً بارعاً لنظرية المعركة البر . جوية الحديثة ويقوم الهيكل الأساسي لهذه النظرية في التنفيذ الواسع لأعمال القذف الجوي ضد الأعماق المعادية، من خلال الاستفادة القصوى من التفوق النوعي والكمي شبه المطلق لفوات التحالف، وبقصد الإخلال بالتوازن الإستراتيجي والتكتيكي للقوات العراقية تمهيداً للبدء بالهجوم البري.

وقد ربط حرب الخليج وبخاصة عملياتها الجوية مجرياتها بأرقى وأحدث وسائل الإستطلاع وفي مقدمتها أقمار الإستطلاع وجميع المعلومات والتجسس التي أطلقتها قيادة التحالف فوق منطقة الأزمة، إلى جانب أجهزة التشويش والإعاقة ضد وسائل الاتصال والتوجيه والقيادة والسيطرة العراقية في مختلف المستويات وكذلك ضد أنظمة الكشف الراداري وإدارة النيران.

قامت القوات الجوية المتحالفة بواجباتها وفق خطط العمليات المقررة والتطورات الناشئة في مسرح العمليات، ويمكن تقييم أداء هذه القوات باللمحات الموجزة المتمثلة بمنع القوات الجوية العراقية من العمل فوق مسرح العمليات،إذ تم تدمير ٧٠٪ من القدرة الجوية العراقية، وتدمير جميع محطات الرادار ومراكز القيادة والسيطرة والاتصال والقواعد الجوية، وتدمير حوالي ستة الوية مدرعة وعشر بطاريات مدفعية ميدانية في النطاق الدفاعي الأول، ومعظم مخازن الذخيرة وقطع التبديل، وتدمير جميع عناصر القوة البحرية وتدمير جميع أسلحة وعناصر الدفاع الجوي وتدمير البنية التحتية الأساسية الإقتصادية.

وحينما حل يوم ١٩٩١/٢/٢٤ موعد انطلاق الهجوم البري لم يعد هناك أهداف استراتيجية عراقية ذات قيمة هامة ومفيدة للمجهود الحربي تتطلب تدخل القوات الجوية تمهيداً للهجوم البري لقوات التحالف.

عملية "عاصفة الصحراء" . الصفحة الأخيرة:

شكلت مرحلة الحرب البرية الصفحة الأخيرة من عملية (عاصفة الصحراء) وشهدت تنفيذ الهدف الأساسي من الحرب ولم تدم سوى أربعة أيام وفقاً لخطة هدفت إلى تثبيت القوات العراقية في مواقعها الدفاعية عن طريق الخداع بشن عملية إنزال برمائي ضخم على السواحل الكويتية، في

حين تتحرك قوات التحالف لأداء عمليتين معاً، هجوم شامل بالمواجهة على الحد الأمامي للدفاعات العراقية الممتدة بمحاذاة حدود الكويت الجنوبية مع السعودية وتطويق استراتيجي واسع بالقوات المدرعة والميكانيكية مع إنزالات جوية في العمق التكتيكي والعميق الإستراتيجي لضرب مثل الشكوك التي ساورت قيادة القوات المتحالفة بشأن صحة التقارير التي كان الطيارون يقدموها إليها فيما يتعلق بنسبة تدمير الأهداف مما دعا القيادة إلى اشراك الصواريخ المتنوعة بصورة مبكرة في القتال وأدى في الوقت نفسه إلى أن تؤجل القيادة بعض الوقت بدء المعركة البرية.

وفي هذا المجال واجهت قيادة قوات التحالف مشكلة الكم الهائل من المعلومات التي تقدمها الأقمار الصناعية، والتي تحتاج إلى جهد ووقت كبيرين لفرزها وتصنيفها وتحليلها ولهذا كان تحديد نسبة الأهداف العراقية المصابة أمراً سهلاً، في حين كان التحقق من نسبة التدمير يتطلب الجهد والوقت الكبيرين، ولقد أفادت تقارير الطيارين والأقمار الصناعية ان نسبة الإصابة بلغت ٨٠٪ في حين أنه تبين فيما بعد أن نسبة التدمير كانت حوالي ٤٠٪.

استغلت القيادة العراقية نجاح وصول صواريخها إلى إسرائيل لرفع معنويات قواتها ولتؤثر في الرأي العام العربي، لهذا زاد اهتمامها بهذا السلاح وركزت جهودها على إستخدام منصات الإطلاق المتحركة والتي أجادت تمويهها واخفائها ونقلها من مكان إلى آخر، كما أجادت اختيار الأهداف التي توجه إليها الصواريخ.

في مواجهة الصواريخ العراقية، عمل طيارو القوات المتحالفة على تدمير منصاتها وتصدت لها صواريخ (باتريوت) المضادة، ويرى الكتاب ان بعض المبالغة رافق استخدام نظام باتريوت، الذي لم يكن (على ذلك المستوى من الفعالية) فقد تم إستخدام ١٥٨ صاروخاً للتصدي لـ ٧٠ صاروخاً عراقياً، وكانت النتيجة ان الإعتراض لم ينجز الا ضد ٤٥ صاروخاً عراقياً.

قوم الكتاب تقويماً دقيقاً تأثيرات المرحلة الجوية على الروح المعنوية للقوات العراقية وصمودها، فبعد أن أعلنت قيادة التحالف عن نجاحها في تدمير القوات الجوية والدفاع الجوي العراقي، اصيب الشعب العراقي بكامل فئاته وقواته المسلحة بنوع من الإحباط، وانعكس ذلك سلباً على القوات العاملة في الميدان، وقد تجسد تدني الروح المعنوية في صور عشرات الألوف من الأسرى العراقيين الذين استسلموا بسرعة لطلائع قوات التحالف البرية وفي نداءات الإستغاثة التي اطلقتها بعض قيادات الفرق، وسقوط الخط الدفاعي الأول بسهولة، وفي سرعة تفكك التشكيلات الميدانية، وفي دمار وانهيار ٢٦ فرقة من أصل ٤٨ فرقة عراقية قوام كل منها حوالي عشرة آلاف

مقاتل وفي بقاء الجنود العراقيين في مواقعهم بلا طعام مدة خمسة أيام، وبلا ماء مدة ثلاثة أيام، وبكلمة أخرى في عدم قيام الجيش العراقي بخوض أية أعمال قتالية فعالة.

خطة العراق الدفاعية:

لخص الكتاب خطة العراق الدفاعية، فأشار إلى المواقع والخطوط المحصنة، وقوات الإحتياط العام العالية الكفاءة، وأوضح قدرات الأسلحة والقوات العراقية، وشرح الخطة العراقية بشأن استدراج قوات التحالف إلى "المصيدة" أرض القتال" والصمود أطول مدة ممكنة ثم تحطيم الهجوم المعادي، ومع أن القوات العراقية لم تخض أية أعمال قتالية ذات فعالية فقد برزت بعض النقاط الجديرة بالإهتمام، مثل التحضير المسبق للحرب، والتمويه العملياتي الجيد للأهداف في مسرح العمليات، ومحاولة توسيع إطار النزاع باستدراج إسرائيل للحرب واستخدام طرائق مختلفة للتضليل والخداع العملياتي، والى جانب ذلك فقدت القيادة العراقية كل قدرة في الإستطلاع ومعرفة ما يجري في الطرف الآخر من استعدادات وتحركات وتحشدات كما أن الرئيس العراقي "لم يقد الأعمال القتالية، حتى ولم تعط الأوامر للإستخدام القتالي للأسلحة والمعدات، وفي واقع الأمر كان الجيش العراقي بمثابة ميدان مليء بالدرجات الحية من أجل قوات الإئتلاف".

أسباب نجاح قوات التحالف:

يعزو الكتاب أسباب ظفر قوات التحالف إلى عدة أسباب منها:

التخطيط الدقيق والمراعاة الشاملة لظروف المناخ والطبيعة والإعداد الجيد للرأي العام العالمي، والإستخدام الواسع للفضاء والأقمار الصناعية والإعتماد على نظرية قتالية حديدة قوامها الحرب الخاطفة، واستخدام أحدث أنواع الأسلحة والأنظمة السلاحية والذخائر والإستطلاع الجيد الذي أتاح لقيادة القوات ان تحرز معلومات دقيقة ومفصلة عن المجهود الحربي العراقي بحيث كان لديها قبل بدء الأعمال القتالية معلومات عن مواقع ٨٥٪ من الأهداف الإستراتيجية والنووية و١٠٠٪ من المنشأة الكيمياوية والتجمعات والبنى العملياتية للقوات العراقية في الكويت وفي العراق و٥٠٪ من الأهداف الصاروخية.

ويرى الكتاب ان أسباب هزيمة القوات العراقية تعود بالدرجة الأولى إلى ضعف القيادة العسكرية العليا، إذ كانت غير حاسمة وعاجزة عن قيادة القوات منذ الأيام الأولى للقتال، فأصاب الشلل عمليات القيادة والتعاون بين صفوف الأسلحة وتعطلت قيادات الفيالق والفرق واستبعد الطيران والدفاع الجوي عن خوض الأعمال القتالية النشيطة.

وقفة تقويمية لحرب الخليج:

كتب العماد مصطفى طلاس الفصل الأخير من الكتاب ليكون خاتمة يضمنها خلاصات تقويمه للحرب ومن أهم ما ورد فيها: ان أصل المأساة يرجع إلى قصور رؤية الرئيس العراقي، وعدم قدرته على التقاط المعطيات المتبدلة وتحليلها بموضوعية والتوصل إلى نتائج تناسب المقدمات فقد افقده وهم القوة القدرة على تقدير الموقف الإستراتيجية بشكل صحيح، وأقنعه بأنه يمتلك الحقيقة، وأن الأزمة شهدت منذ بدايتها حرباً نفسية استخدم فيها الطرفان كافة أسلحتهما، بيد أن تباين مصداقية الأطروحات أدى إلى تباين النتائج المحققة، فقد كشفت العمليات عن ضعف تلك الإمكانات في مجالي المناورة، وإتخاذ القرارات، وأن حرب الخليج أثبتت مرة جديدة أهمية استراتيجية الهجوم غير المباشر، التي طبقتها قيادة التحالف حين زاوجت بين الهجوم الجبهي والالتفاف الذي شكل الضربة الرئيسية بالقوات الضاربة للتحالف، وذلك بعد نجاح العمليات الخادعة التي بدأ بها الهجوم البري على شكل كماشة وأن المعركة الجوية أدت دوراً أساسياً في تحطيم البنية العسكرية العراقية وأضعاف الروح المعنوية في صفوف الشعب والقوات المسلحة وقهر الإرادتين العسكرية والسياسية للقيادة العراقية العليا.

آراء عسكرية عربية أخرى:

ننتقل الآن إلى المبثوثة في مختلف المجالات العسكرية العربية المتخصصة، وهي كثيرة ومتنوعة، وكما أشرت في مطلع الدراسة فإن معظم هذه المقالات يبحث في مراحل الحرب ووقائعها وأسلحتها ومظاهرها التكتيكية والتكنولوجية وغيرها وأقلها يتطرق إلى أداء القوات وتقويمه، ولهذا فضلت ان انتقي نماذج من هذه المقالات التي تحدثت في أداء القوات وتقويمه، ولهذا فضلت ان انتقي نماذج من هذه المقالات التي تحدثت في أداء القوات لتعبر عن آراء بعض العسكريين العرب الذين اسهموا بعملهم في دراسة حرب الخليج كل حسب إختصاصه وفي ميدانه ومن وجهة نظره.

أبدأ ببعض المقالات التي وردت في جريدة الأهرام القاهرية ومجلة (السياسة الدولية) التي يصدرها مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية بالأهرام، والتي كتبها رئيس وحدة الدراسات العسكرية بالمركز العميد مراد إبراهيم دسوقي، ونظراً إلى أن هذه الوحدة هي التي صاغت (التقرير الإستراتيجي الفهدي) الذي عرضنا أداءه في الصفحات السابقة فيمكننا القول إن التقرير الإستراتيجي العربي) الذي عرضنا أراءه في الصفحات السابقة فيمكننا القول إن التقرير الإستراتيجي استوعب معظم ما ورد في تلك المقالات وإضافة إلى ذلك نشير إلى الدراسة التي نشرتها مجلة السياسة الدولية (العدد ١٠٤، ابريل ١٩٩١) للعميد الدسوقي بعنوان "عاصفة الصحراء الدروس

والنتائج" فقد اشار إلى الدروس المستفادة التالية، التي يمكن اعتبارها شكلاً من أشكال التقويم لأداء طرفي القتال:

١ . أثبتت الحرب أنه لا يمكن الإعتماد على العمليات الجوية لحسم الحرب، ولابد من العمليات البرية للوصول إلى نتائج نهائية في حين أثبتت الحرب الجوية أهميتها في تهيئة مسرح العمليات وتقليل الخسائر إلى حد كبير.

٢ . إستحالة إن تعمل القوات البرية، مهما بلغت امكاناتها بدون غطاء جوي ودعم من القوات البحرية.

٣ . فشلت الدفاعات الثابتة في صد هجوم لديه قدر من التصميم،وفي التغلب على أعمال المناورة الواسعة وإتضحت ضرورة ان يكون الدفاع مزيجاً من النقاط القوية والإحتياطات المدرعة التي تدعمها قوات جوية قادرة.

٤ . ظهرت أهمية الخداع والتمويه والتضليل.

٥ . كان للتعاون والتنسيق دور كبير في تمكين قيادة القوات المتحالفة من السيطرة على قواتها بالرغم من الإختلافات في اللغة والمعدات والأساليب القتالية.

٦ . أثبتت الحرب فائدة قصوى في إفقاد الخصم القدرة على الإتصال بقواته.

٧ . ظهرت أهمية تأييد الرأي العام الداخلي والدولي في نجاح العمليات العسكرية واستمرارها.

٨ . كان للمعلومات السليمة والموقوفة دور بالغ الأهمية في إنجاح القوات المتحالفة.

يعتبر العدد الذي أصدرته مجلة "القوات الجوية" العدد ٣٥/مارس في ذكرى حرب الخليج مرجعاً عسكرياً فذا، فهو ثري بالدراسات والمقالات التي أحاطت بالحرب من جميع جوانبها، سياسياً وعسكرياً وتقنياً وسلاحياً، بمقدماتها ووقائعها ونتائجها وسوف أعرض بعض الآراء التي وردت في كتابات بعض العسكريين العرب الذين أسهموا في تحرير هذا العدد الخاص كنموذج على تلك الإسهامات الفكرية العسكرية العربية النيرة.

كتب اللواء جبر علي جبر مقالة عن (الحملة الجوية لحرب الصحراء) وفسر فشل القوات الجوية العراقية ووحدات الدفاع باداء مهامها بالأساليب الآتية: استخدام قوات التحالف لوسائل الحرب الإلكترونية الحديثة ونظم أسلحة متقدمة وبدء الضربة الجوية الشاملة خلال الليل ونجاح قوات التحالف في شل المطارات العراقية والتفوق العددي والتقني والتجريبي لقوات التحالف. وقومت المقالة أداء القوات العراقية بأنها (كانت أكثر نجاحاً في أعمال الدفاع الجوي السلبي . كالخداع والتمويه . عنها في الأعمال القتالية النشيطة).

وفي العدد نفسه من مجلة (القوات الجوية) تحدث اللواء خضر الدهراوي عن أداء الدفاع الجوي العراقي في الحرب وناقش الأمور التي يفترض ان تكون قيادة القوات الجوية والدفاع الجوي قد أخذتها في إعتبارها حيث خططت لمواجهة الهجوم الجوي المتوقع وانتهى الكاتب من تحليله إلى أن تقدير الموقف العسكري الذي وضعه العراق في مواجهة قوات التحالف كان خطأ إذ انه أسقط من حساباته التفوق التكنولوجي الذي كانت القوات الجوية المتحالفة تتميز به ويعزو الكاتب إسقاط هذه الحسابات إلى اعتقاد القيادة العراقية العليا بأن دول التحالف لن تشن الحرب على العراق وأن الأمر لا يعدو أكثر من تهديد وحتى إذا نشبت الحرب فإن العراق يعتمد على المعركة البرية. وحلل الكاتب دور المفاجأة في إحراز القوات المتحالفة السيطرة الجوية وآثار الهجمات الجوية والصاروخية الكثيفة والنتائج التي حققتها.

وقوم الكاتب أداء القوات الجوية والدفاع الجوي العراقي بغياب دور المقاتلات الإعتراضية أمام كثافة الهجمات الجوية المتحالفة إضافة إلى تدمير المطارات وحرمان الطائرات العراقية من شبكة الرادارات التي توجهها في أعمالها القتالية والملاحية وكذلك فقدان وسائل الإتصال، وأوضح الكاتب فشل النظرية التي بنيت عليها فكرة الدفاع الجوي العراقي والتي تقضي بالصمود وامتصاص الضربات الصاروخية الجوية المعادية وذلك بتطبيق الإجراءات التي تساعد على الصمود ولكن هذه الإجراءات لم تنجح فقد دمرت ملاجئ الطائرات والمطارات وشبكات التوجيه والإتصال ومراكز القيادات الرئيسية والتبادلية.

وتحدث السيد محمد رؤوف إسماعيل في مجلة "القوات الجوية" العدد ٣٧ يوليو ١٩٩١ في مقالة عن السيطرة الجوية في حرب الخليج وركزت المقالة على المعركة (البر. جوية) وأشارت إلى التنظيم الجديد للمجهود الجوي لقوات التحالف، ففي حين كان كل من أسلحة الطيران والبحرية والمارينز حملته الجوية بقيادة مستقلة في السابق دمج التنظيم الجديد للقوات الجوية لمختلف هذه الأسلحة ولمختلف قوات التحالف تحت قيادة موحدة للعمليات الجوية، مما أدى إلى استغلال قدرات القوات الجوية بصورة أكثر فاعلية، وحقق السيطرة الجوية، وحسن من مستوى أداء هذه القوات وأكدت المقالة أن أبرز ما اضافت حرب الخليج من دروس جديدة إلى فن الحرب كان في مجال العمليات الجوية سواء في النقل الإستراتيجي الكثيف أو إدارة العمليات الجوية بهذا الكم الهائل من الطائرات الحليفة المتنوعة أو ترسيخ نظرية "الحرب . البرجوية" أو عمليات الأبرار الجوي الواسعة التي وصفت بأنها أكبر عمليات شهدها تاريخ الحروب حتى اليوم وتنتهي المقالة إلى التفريق والتمييز الواضحين لطرائق استخدام القوات الجوية في المذهبين العسكرين الأمريكي والروسي.

تحدث اللواء حسام سويلم في مجلة "الحرس الوطني" مارس ١٩٩٢ عن الحسابات العراقية الخاطئة، فردها إلى:

إفتقاد النظام العراقي الرؤية الواضحة للنظام الدولي الجديد، وتوقعه عدم دخول أمريكا الحرب وسوء تفسيره لرد فعل المملكة العربية السعودية ودول الخليج، والرهان الخاسر على موقف مصر، وحساباته الخاسرة لمواقف تركيا وايران واللعب بورقة السياسة المناهضة لاسرائيل وبورقة البترول وورقة الرهائن الغربيين وبعد أن تحدثت المقالة عن ركائز الإستراتيجية العراقية في حرب الخليج وهي:

استراتيجية الردع وبناء حجم ضخم من القوات المسلحة وإدارة معركة دفاعية طويلة الزمن حددت أخطاء الإستراتيجي العراقي في تخطيط الحرب، وهي المبالغة في الإعتماد على صواريخ سكود للعمل كسلاح ردع، وتبني مفاهيم خاطئة حول التوازن العسكري مع عدم تطبيق مبادئ الحرب، والفشل في تخطيط عملية دفاعية استراتيجية ناجحة، وسوء تقدير القيادة العراقية لاتجاهات هجوم القوات التحالف.

وفي الإطار نفسه كتب المقدم سعد بن محمد العتيبي في مجلة (الحرس الوطني) ديسمبر ١٩٩١ مقالة تحدث فيها عن أساب هزيمة الجيش العراقي فجاء بإضافات جديدة ابرزها: مركزية القيادة في السلطة السياسية، وسوء التوقيت في اتخاذ القرارات وسوء تقدير الموقف وارجع نصر القوات المتحالفة إلى الأسباب الآتية:

التخطيط الكفؤ والتنفيذ الفعال والمذهب العسكري الملائم والإستراتيجية العسكرية الملائمة والصحيحة هذه لمحات من آراء بعض العسكريين العرب الذين تناولوا في بحوثهم ومقالاتهم موضوع أداء القوات التي اشتركت في حرب الخليج وذلك من الطرفين، وأذا كانت هذه الدراسة قد أعطت صورة موجزة وسريعة عن بعض تلك الآراء، فإنها تكون قد حققت الغرض الذي سعت إليه مجلة "القوات الجوية" الزاهرة.

ضرورة إقامة نظام أمن عربي

محكم*

بقلم اللواء: محمد محيي الدين فرغلي

* . الحرس الوطني . الرياض، العدد ١١٥، مارس ١٩٩٢.

لعل من أبرز وأهم الدروس التي يمكن للعرب ان يستخلصوها من تجربتهم التاريخية الأليمة في أزمة الخليج، التي إحتلت فيها قوات العراق دولة الكويت العربية الشقيقة فجر يوم ٢ أغسطس من عام ١٩٩٠م، وبعد أن فشلت كل المساعي السليمة العربية والعالمية لإقناع النظام العراقي بالإنسحاب من الكويت، اضطر المجتمع الدولي إلى فرض العقوبات على العراق، التي كان آخرها استخدام القوة العسكرية لتحرير الكويت وطرد المعتدي إلى حيث أتى.. لذا فقد أظهرت هذه التجربة الحاجة الماسة لوضع نظام أمن عربي قوي محكم، يوفر الحماية الكاملة لأعضائه من مخاطر التهديد الخارجي والداخلي.

لقد وضح جلياً للجميع ان المخاطر التي تهدد الأمة العربية ليست كلها خارجية، ولكن من الممكن أيضاً أن تكون مخاطر عربية، فقد دفعنا التصرف العراقي الأهوج إلى أن يقاتل بعضنا البعض، ليصبح أعداء العرب في النهاية، أول المستفيدين من هذا العدوان الغاشم.

ورغم الدرس القاسي الذي لقنه العالم الحر لصدام حسين واتباعه، ورغم المحنة القاسية التي وضع فيها حاكم العراق المستبد شعبه، فليس مستبعداً أن يظهر طاغية غيره بعد أن تتقادم الأحداث وتمر الأيام.

لقد أصبحت إرادة السلام ونبذ الحرب هي السائدة بين شعوب العالم الآن، وخاصة بعد التغيرات العالمية وظهور ما يعرف بالنظام العالمي الجديد، لكن السلام مطلب يحتاج إلى من يعمل له ويسعى لتحقيقه، ويتعاون مع محبيه لحمايته والدفاع عنه.

نظام الأمن العربي يجب ان يكون عربياً

يعلم العرب علم اليقين أن أفضل نظام يحمي أمن الأمة العربية يجب ان يكون نابعاً من هذه الأمة، معتمداً على تضامنها وتعاونها، لذا يجب ألا يغيب عن أذهاننا هذا المفهوم، وأن نسعى دائماً إلى تحقيقه ودعمه بكل الوسائل.

ربما تكون الأزمات العربية كالتي أحدثها صدام حسين بالمنطقة أمراً عارضاً، وليست ظاهرة متكررة إلا أنها في الواقع تظل محتملة في ظل الظروف والعلاقات العربية الراهنة، فقد عجزت المؤسسات العربية عن حل الأزمة سلمياً وتجنيب المنطقة ويلات الحرب وخسائرها، رغم أن ميثاق الجامعة العربية ينص في مادته الخامسة على أنه لا يجوز الإلتجاء إلى القوة لفض المنازعات بين دولتين أو أكثر من دول الجامعة، فإذا نشب بينهما خلاف لا يتعلق باستقلال الدولة أو سيادتها أو سلامة أراضيها، ولجأ المتنازعون إلى المجلس لفض هذا الخلاف كان قراره عندئذٍ نافذاً وملزماً، وفي هذه الحال لا يكون للدول التي وقع بينهما الخلاف الإشتراك في مداولات المجلس وقراراته،

ويتوسط المجلس في الخلاف الذي يخشى منه وقوع حرب بين دولة من دول الجامعة وبين أي دولة أخرى من دول الجامعة أو غيرها للتوفيق بينهما، وتصدر قرارات التحكيم والقرارات الخاصة بالوساطة بأغلبية الآراء.

دور الجامعة العربية في أزمة الخليج

حددت المادة الثانية من ميثاق جامعة الدول العربية أغراض الجامعة بشكل عام بأنها تنقسم إلى سياسية وغير سياسية.

أما الأغراض السياسية فتهدف إلى:

. توثيق الصلاح بين الدول المشتركة في الجامعة وتنسيق خططها السياسية تحقيقاً للتعاون بينها، وصيانة لاستقلالها وسيادتها.

. النظر . بصفة عامة . في شؤون البلاد العربية ومصالحها.

والملاحظ هنا ان عبارة "توثيق الصلات" بين دول الجامعة جاءت مقترنة بعبارة "وصيانة استقلالها"، وقد قصد من استخدام هذه العبارة توكيد معنى استقلال كل دولة من الدول الأعضاء في الجماعة واحتفاظها بسيادتها وحريتها الكاملة في تقرير شؤونها.

ودون الدخول في تفصيلات تشير إلى البناء التنظيمي لجامعة الدول العربية، يمكن تلخيصه كما يلي:

*مجلس الجامعة.

- اللجان الدائمة.
- الأمانة العامة.
- مجلس الدفاع المشترك.
- المجلس الإقتصادي.
- المنظمات التخصصية.

وتجدر الإشارة إلى أن ما حدث نتيجة لغزو العراق للكويت، لم يحدث مثله من قبل طوال ٤٧ عاماً هي عمر جامعة الدول العربية، فالقضية هنا غير مسبوقة في تاريخ الأمة العربية، وقد واجهت الجامعة أزمة لم تواجه الدول العربية مثلها من قبل، بل لم تكن في حسبان أحد على النحو الذي سارت عليه.

وقد واجهت الجامعة العربية تعقيدات وصعوبات نتيجة قيام العراق بغزو دولة الكويت واحتلال إقليمها بأكمهله، وإعلان ضمها واعتبارها محافظة من محافظات العراق، فالجامعة العربية

لا تملك وسيلة لفرض الحل العربي، والعمل على إنسحاب القوات المعتدية الغازية وإيقاف محاولاتها لتغيير النظام الشرعي بالقوة الغاشمة، فالجامعة العربية لا تمتلك غير وسيلة القوة المعنوية الدبلوماسية وليست لها قوة عسكرية رغم اتفاقية الدفاع المشترك.

الأمن العربي المنشود

يشمل مفهوم "الأمن" جانباً هاماً من حياة الفرد والدولة، ويعتبر في نفس الوقت مطلباً اساسياً يسعى الفرد أو الدولة إلى تحقيقه، لذا فقد فرضت مشكلات الأمن في العصر الحديث نفسها كمشكلة معقدة تواجه الجميع، ولذلك أصبحت مشكلة "الأمن الوطني" تحظى باهتمام شديد من جانب حكومات العالم، وتدخل ضمن استراتيجياتها في مختلف المجالات؛ العسكرية والإقتصادية والإجتماعية، ثم تعدت النطاق الوطني إلى نطاق أكثر اتساعاً، هو النطاق القومي أو الإقليمي، والنطاق العالمي.

والأمن لغوياً يعني عدم الخوف، وقد كان الخوف . على مر العصور . هو الحافز القوي الذي يدفع الجنس البشري إلى سلوك سبل متعددة ليحقق الأمن لنفسه كفرد أو لقبيلته أو دولته ثم للعالم اجمع.

ولقد أتت التطورات الضخمة التي شهدها العالم من ثورة علمية وتقنية هائلة، كان من نتائجها اختراع أسلحة الدمار الشامل، النووية والكيمياوية والبيولوجية، كما ظهرت النظم الإلكترونية المتطورة لتلعب دوراً بارزاً في السلم والحرب، وتكسب مفهوم الأمن الإقليمي والقومي والعالمي ابعاداً جديدة تجعله أكثر تعقيداً، ودخل موضوع السلم والأمن الدوليين إلى حيز اهتمامات الدول الكبرى والصغرى على حد سواء.

وإذا تأملنا ظروف الأمة العربية . من المحيط إلى الخليج . بعد الأحداث الأخيرة والمتغيرات العالمية الجارية، نجد أنها في امس الحاجة لنظام أمن إقليمي قوي يضم دول كل إقليم على غرار دول مجلس التعاون الخليجي، على أن يكون ذلك في إطار التنسيق الجيد والتعاون الوثيق بين الدول والمجموعات على اختلاف ظروفها ونظمها الداخلية التي تلقى الإحترام والدعم والمساندة من الجميع، وبذلك يتحقق أمن المنطقة العربية في نطاق الشرعية والقوانين والأمن الدولي.

حتى لا يتكرر ما حدث

لقد عاش نظام الأمن العربي على ان التهديد سيأتي من خارج المنطقة، فإذا به يأتي من داخل النظام العربي ذاته بعد غزو العراق للكويت وتطور الأحداث إلى ما هو معروف للجميع.

وبدأت مراكز البحث العالمية تهتم بمستقبل الأمن في المنطقة العربية، فبعد حرب "عاصفة الصحراء" بدأ الباحثون يفكرون في نظام أمن جديد بعد أن بدأ لهم نظام الأمن العربي بجميع مؤسساته عاجزاً وفاشلاً في تحقيق أمن هذه المنطقة الحساسة من العالم، ومن يتابع هذه الدراسات يشعر وكأننا نعود القهقري إلى ما بعد الحرب العالمية الأولى عندما اقتسمت كل من بريطانيا وفرنسا نفوذ الدولة العثمانية في المنطقة العربية، ذلك النفوذ الذي انتهى تماماً من عالم اليوم، لكن ذلك يحدث بفضل الذريعة التي قدمها غزو القوات العراقية للكويت، عندما قضى "صدام حسين" بفعلته الشنعاء على كل معاني الثقة والأمان بين الأشقاء، وشكك في مصداقية التجمعات الإقليمية والمواثيق المتبادلة بين دول المنطقة، وفي قدرة النظام العربي على توفير الأمن والحماية لاعضائه، بل ووضع النظام العربي كله على مفترق الطرق.

إن الحاجة إلى إقامة أمن عربي جديد، أو تطوير النظام القائم وتقويته أصبح الآن ضرورة ملحة، على أن يستفيد العرب عبر الماضي ودروسه، ويتفهموا طبيعة العقبات التي سبق أن واجهت النظم الحالية.

لقد أنشئت جامعة الدول العربية، كإطار تنظيمي وقانوني للنظام العربي منذ عام ١٩٤٥، قبل اتحاد الدول الأوروبية الذي سيعلن خلال العام الحالي، فإذا كانت الجامعة العربية وهي السابقة قد تعثرت فليس معنى هذا انه لا يمكن إعادة ترتيب البيت العربي وعودة النظام والإستقرار والأمن إلى كل دول المنطقة، دون خوف أو قلق من ا حتمالات تكرار ما حدث وظهور طاغية آخر يهدد الأمن والسلام العربي والعالمي.

نظام الأمن الجماعي الدولي وأزمة الخليج

رغم ان أزمة غزو القوات العراقية للكويت لا زالت قائمة، ولا زال دور مجلس الأمن الدولي مستمراً لمعالجتها، فإن تحليل هذه الأزمة من المنظور القانوني الدولي أمر يستحق الدراسة المتعمقة والتحليل الدقيق، وذلك للأسباب التالية:

. إن نظام الأمن الجماعي الدولي يمثل الركيزة الأساسية للتنظيم القانوني المعاصر للمجتمع الدولي.

. إن أزمة الخليج الأخيرة تواكبت مع مناخ وفاق دولي جديد، مما جعل منها مناسبة لإعادة إحياء نظام الأمن الجماعي الدولي بعدما اعتراه الشلل خلال فترة الحرب الباردة.

. إن الأزمة الراهنة في الخليج تكتسب أهمية مستقبلية من حيث أنها تشكل سابقة هامة لأسلوب معالجة مجلس الأمن الدولي لحالات تهديد السلم، ووقوع العدوان في المناسبات اللاحقة سواء في الشرق الأوسط أو في أية مناطق أخرى بالعالم.

. إن أزمة الخليج تعتبر اختباراً جاداً للوفاق الدولي الجديد ذلك أن إقرار الشرعية الدولية بشكل تام وصحيح، وعن طريق حل جماعي منسق في إطار مجلس الأمن، يفرض على جميع الأعضاء، وخاصة الخمسة الدائمين بالمجلس، أن يتخلوا عن الإهداف الذاتية في سبيل هدف دولي مشترك هو إقرار الشرعية الدولية وإستعادة الأمن والسلم الدوليين.

. إن هذه الأزمة تدفع المجتمع الدولي ومجلس الأمن إلى أن يولي النزاعات الإقليمية المزمنة. التي تبدو كل منها كأزمة قابلة للانفجار في أي وقت . اهتماماً شديداً، ومن بين هذه الأزمات المشكلة الفلسطينية والصراع العربي الإسرائيلي.

نظام الأمن العربي ونزع أسلحة الدمار الشامل

لعل أهم ما تسعى إليه دول المنطقة العربية ضمن ترتيبات الأمن الحالية هو العمل على جعل منطقة الشرق الأوسط خالية من أسلحة الدمار الشامل، حيث يهدد وجود هذه الأسلحة بالمنطقة الأمن والسلام العالمي، خصوصاً بعدما اكتشف عقب تحرير الكويت من أنواع مختلفة من أسلحة الدمار الشامل كان العراق يعدها ويهدد باستخدامها لولا أن قامت دول التحالف الدولي بتحييد هذه الأسلحة وإخراجها من العمل بما تملكه من قدرات ردع أكيدة سواء على مستوى الكشف والإعاقة الاليكترونية، أو مستوى إمكانية الضربة المضادة.

فالجميع يعلمون أنه إذا نشبت حرب نووية، أو حرب تستخدم فيها أسلحة الدمار الشامل على نطاق وساع فإنها ستكون قاسياً للبشرية وربما يكون الدرس الأخير.

وإذا كانت الجهود الدولية تعمل على نبذ الحروب والدعوة إلى السلام لكل الشعوب فإنها تسعى بالتالي إلى الحد من انتشار أسلحة الدمار الشامل، التي تتبنى بعض الدول العربية الشريفة الدعوة لجعل المنطقة خالية منها.

خاتمة

انتهت حرب تحرير الكويت، وكما قال الراحل محمود رياض . أمين عام الجامعة العربية الأسبق . فإنه ليس هناك خط أحمر فاصل بين تحرير الكويت وشن الحرب ضد العراق.. والان، ترتفع الأصوات مطالبة بتضميد الجراح، ولم الشمل، وتقليص السلبيات.

يقول الكاتب الصحفي صلاح الدين حافظ في مقال بجريدة الأهرام القاهرية:

"الآن وقد انتهت الحرب الطاحنة بشكل مفاجئ مثلما بدأت يتبقى لنا أن نحسم تداعيات الحرب سياسياً، ونصفي آثارها نفسياً وإنسانياً حتى لا يطول زمن المرارة والهوان".

نحن في حاجة إلى مهمة عاجلة تهدف إلى إصلاح ما أصاب العلاقات العربية في مختلف المجالات، والى أن نعمل "جاهدين على الا يتكرر ما كان..

إن التضميد لا يعني إغلاق الجروح على ما فيها من سموم وتلوث، بل يعني وضع أسباب الإصلاح والأمن والسلام موضع التنفيذ.

إن الدول العربية التي خاضت التجربة المريرة في الخليج تسعى جاهدة كيلا يحدث ما يسبب عودة الأسباب التي تُخاض من أجلها التجربة مرة أخرى، وتستطيع المنطقة العربية تجنيد امكانياتها الهائلة للحماية الذاتية مستقبلاً فمن الممكن . مثلاً . انشاء قوة انتشار سريع عربية تحت مظلة جامعة الدول العربية، كما يمكن العمل على مراقبة سباق التسلح بالمنطقة والعمل على منع إنتاج وتخزين وامتلاك أسلحة الدمار الشامل بكل أنواعها وأشكالها في كل دول المنطقة، والعمل المخلص لإعادة بناء الثقة بين العرب.

المراجع:

١ . د . بطرس غالي . القضايا السبع لما بعد تحرير الكويت . مجلة السياسة الدولية ابريل ١٩٩١م.

٢ . د. عطية حسين افندي . الجامعة العربية وأزمة الخليج . المرجع السابق ص ٣٥، ,٥٩

٣ . محمود خليل . مفهوم الأمن القومي . مجلة أكاديمية ناصر العسكرية العليا . مايو ١٩٨١م.

٤ . مصطفى نبيل . ماذا بعد فشل نظام الأمن العربي؟ . كتاب الهلال مارس ١٩٩١م.

٥ . د. إبراهيم سلامة . الأزمة من المنظور القانوني لنظام الأمن الجماعي الدولي . مجلة السياسة الدولية . العدد ١٠٢، أكتوبر ١٩٩٠م.

٦ عبد العاطي محمد أحمد . العقل العربي وأزمة الخليج . السياسة الدولية، يناير ١٩٩٢م.

الفصل الرابع

الأسلحة الذكية في حرب الخليج

"سرعة التحرك ودقة التصويب"

"عاصفة الصحراء"

ودور الأسلحة عالية الدقة*

بقلم اللواء الركن: بدر الدين رمضان طاهر

أصبحت مهمة القادة العسكريين في مختلف بلدان العالم، المسؤولين عن وضع أو تحديد العقيدة القتالية التي ستطبقها جيوشهم، شاقة وفي منتهى الدقة والتعقيد بسبب التطور التقني السريع والعاصف في مجال التسليح، وفي تحسين الأسلحة والمعادلات المعروفة رأساً على عقب. وكما هو معلوم في العلم العسكري، فإن العقيدة القتالية والتكتيك مرتبطان ارتباطاً مباشراً بالأسلحة التي ستستخدم في ميدان القتال، وهما معرضان للتغير بالضرورة عند حدوث تغير في فعالية الأسلحة، ولدى ظهور أنواع جديدة من الأسلحة التي لم تكن مستخدمة في حروب سابقة. والأمثلة على ذلك كثيرة في التاريخ العسكري.

وكل قائد عسكري مطلع على التاريخ العسكري، يعلم مدى الإنقلاب الذي أحدثه استخدام السلاح الآلي للمرة الأولى في المعركة وكذلك استخدام الدبابة للمرة الأولى في الحرب العالمية الأولى، واستخدام تشكيلات الدبابات والمشاة الميكانيكية والطيران بشكل متعاون ومنسق وفق أسلوب جديد من قبل الألمان في الحرب العالمية الثانية، أي ما يسمى أسلوب الحرب الخاطفة، وأخيراً استخدام الأسلحة الصاروخية المضادة للدبابات في معارك حرب تشرين/أكتوبر التحريرية في الجولان وفي سيناء، هذه الأسلحة التي كان لها دور كبير في الحاق خسائر كبيرة بوحدات وتشكيلات الدبابات، حتى ان العدد الضخم من الدبابات التي دمرت بصورة غير متوقعة لدى الطرفين المتحاربين قد دفع الكثير من القادة والباحثين العسكريين في العالم، إلى الإعتقاد بأن دور الدبابات كأسلحة حاسمة في ميدان القتال قد انتهى. وكان ذلك مفاجأة كبرى لدى الجميع، واعتبر درساً من الدروس المستفادة من حرب تشرين/ أكتوبر التحريرية.

إن الإسلحة عالية الدقة التي ظهرت في الآونة الأخيرة، قد أثرت في الخطط العسكرية في جميع جيوش العالم. وكان (و.ج.WILLIAM J. PAERY) الوكيل السابق وزارة الدفاع الأمريكية لشؤون الأبحاث والهندسة، قد قال: "إن الأسلحة الموجهة بدقة تمثل ثورة عظيمة الأبعاد سوف تغير وجه المعركة".وكان (بيري) قد أشار إلى أنه على الرغم من أن قوى (حلف وارسو) . سابقاً . تتفوق عددياً بنسبة إثنين إلى واحد في عدد الدبابات على منطقة حلف شمال الأطلسي (الناتو) (وربما تتفوق بنسبة ثلاثة إلى واحد بعد اسبوعين من إعلان التعبئة العامة)، فإن امتلاك

---

* الحرس الوطني . الرياض، العدد ١١٥، مارس ١٩٩٢.

الناتو للأسلحة ذات التوجيه الدقيق المضادة للدبابات يجب ان يعرض عن هذه الظروف في ميزان القوى في وسط أوروبا.

وكان وزير الدفاع السوفييتي . سابقاً . (الماريشال غريشكو) آنذاك قد كتب بدوره معلقاً على أهمية الإسلحة الموجهة بدقة قائلاً: "إن المعارك في الشرق الأوسط قد أثارت مجدداً قضية العلاقة بين الهجوم والدفاع، ولقد أصبحت الدبابات أكثر عرضة للنيران، واصبح استخدامها في أرض المعركة أكثر تعقيداً".

وبعد حرب تشرين/أكتوبر التحريرية عام ١٩٧٣، كان اللواء سعد الدين الشاذلي رئيس هيئة الاركان للقوات المسلحة المصرية إبان تلك الحرب، قد نوّه إلى الإستنتاج "أنه من المستحيل ضمان نجاح أي هجوم سواء كان بالدبابات أو بكتائب المشاة الميكانيكية بدون تدمير أو اسكات الصواريخ المضادة للدبابات بشكل مسبق.

كما أن اللواء الإسرائيلي المتقاعد "حاييم هيزوك" الذي كان الناطق العسكري إبان حرب تشرين/ أكتوبر التحريرية ورئيس دولة الكيان الصهيوني حالياً، كان قد كتب ما يلي: "إن المخططين العسكريين الإسرائيليين اثبتوا افتقاراً تاماً لتقدير القدرة الجديدة المضادة للدبابات داخل القوى العربية".

ومنذ ذلك الوقت كانت صناعة الأسلحة عالية القدرة تتطور تطوراً هاماً، سواء في مجال التوجيه بدقة أكثر، أو التنويع وفي ابتكار أنواع جديدة منها. لقد رافق ذلك التطور بالطبع، تطور أو تغيير في أساليب القتال التي كانت مستخدمة في الحروب السابقة.

الأسلحة العالية الدقة في حرب تحرير الكويت

فإذا ما قمنا بدراسة وتحليل حرب تحرير الكويت نستنتج ان القيادة العراقية، لم تأخذ بعين الاعتبار بدرجة كافية ما جرى من تغير في التسليح والتنظيم وتبدل في أساليب القتال. ومما يؤكد ذلك ما قاله الفريق عبد الجبار شنشل قبل بدء عملية عاصفة الصحراء بأيام قليلة وهو يجيب عن سؤال وجهه إليه مذيع في إذاعة بغداد، وكان الحديث مذاعاً على الهواء مباشرة، ومفاده هو: "هل تستطيع لقوات الأمريكية والقوات الحليفة معها التفوق وتحقيق النصر على القوات العراقية البرية إذا ما شنت هجومها البري؟".

فكان جوابه يتضمن ما معناه: "إن القوات الأمريكية إذا ما شنت هجومها البري على الدفاعات العراقية فستمنى بالفشل الذريع، وهي لن تستطيع تأمين القوات الكافية لتحقيق النصر،

لأن مبدأ القتال حسب الدروس المستفادة من الحروب يقضي أن يكون لدى المهاجم تفوق عددي بنسبة ٣ إلى ١ فهذا يعني ان تعداد القوات الأمريكية يجب ان يبلغ ملايين مقاتل على الأقل، لأن تعداد القوات العراقية المدافعة يبلغ الآن مليون جندي".

ولا شك ان أي باحث عسكري سيستنتج من هذا الكلام، إن القيادة العراقية كانت ما تزال تخطط وتعد العمليات العسكرية حسب مبادئ ودروس الحرب العالمية الثانية، وأن الدفاعات العراقية في الكويت منظمة على هذا الأساس، وكانت قيادة الجيش العراقي تنتظر قيام القوات الأمريكية البرية بالهجوم البري وفق تلك المبادئ وبالطريقة التقليدية، على الدفاعات العراقية لخرقها، كانت تعتقد أن القوات المهاجمة ستدمر أمام هذه الدفاعات المحصنة ويفشل هجومها، لأن تعدادها لا يحقق حتى نسبة واحد إلى واحد. وهنا كانت تكمن الخطيئة الإستراتيجية والعسكرية الكبرى للقيادة العسكرية العراقية، التي أدت إلى تعنتها وبالتالي إلى الحاق الخراب والدمار بالقوات العراقية المدافعة.

وفي الطرف الآخر، ومن تحلل معارك عاصفة الصحراء، يمكننا ان نستنتج ان القيادة العسكرية الأمريكية والحليفة معها، لم تكن مضطرة لشن هجوم بري ضخم على الدفاعات العراقية لخرقها متبعة طرق وأساليب تنفيذ عمليات خرق الجبهات المحصنة حسب أسس القتال في الحرب العالمية الثانية، التي كانت ستتكبد فيها خسائر كبيرة في الرجال والعتاد لتتمكن من خرقها، لأن القيادة الأمريكية كانت تعتمد على الفعالية الكبيرة للأسلحة الحديثة ذات الدقة العالية التي كانت بحوزتها، ولما لهذه الأسلحة من تأثير على القوات المتمركزة في الخطوط الدفاعية حتى المتخندقة منها والمحمية تحت الأرض، وكانت واثقة من تحقيق النصر ومن الحاق الدمار بالقوات المعادية من بعد بواسطة الصواريخ والقذائف ذات الدقة العالية التي كانت تطلق من طائرات (F - 117) حققت نجاحاً كبيراً في تدمير اهدافها بواسطة القنابل الموجهة بالليزر.

المدمرات وحاملات الطائرات، ومن الجو ومن قاذفات الصواريخ المتمركزة على الأرض. واتبعت اسلوبا حركياً جديداً للقتال، أدى إلى افشال كل الخطط الدفاعية العراقية.

الإختيار الخاطيء للقيادة العراقية:

وأمام هذا الأسلوب الأمريكي، أصبحت القيادة العسكرية العراقية أمام حلين لا ثلاث لهما، وهما:

. إتخاذ قرار الإنسحاب.

. البقاء والصمود في الأماكن الدفاعية ولو أدى ذلك إلى الفناء حتى أخر جندي.

وما حدث هو مزيد من الحلين، أي: محاولة الصمود والدفاع بعناد في بادئ الأمر، ثم الإضطرار إلى اتخاذ قرار الإنسحاب. وبالتالي التعرض لهجمات من الجو والبحر والبر أثناء عملية الإنسحاب الإضطراري المكشوف، ووقوع مصادمات عنيفة بين الفرق المدرعة العراقية والفرق المدرعة الأمريكية والبريطانية والفرنسية في عمق الأراضي العراقية وفي ظروف سيئة بالنسبة للعراق.

وفي عاصفة الصحراء لعب أسلوب قتال (المعركة جو/أرضية) الذي اتبعته القوات الأمريكية دوراً حاسماً. وهذا الأسلوب في القتال أو هذه العقيدة القتالية مبنية على أساس تنظيم وحدات مستقلة بحجم اللواء (٥٠٠٠ رجل) أو بحجم الفرقة (مؤلفة على الأقل من ثلاثة ألوية)، وتملك دباباتها الخاصة بها والمشاة الميكانيكية والمدفعية المحمولة والحوامات المضادة للدبابات وغيرها من وسائط النقل، وبطاريات متحركة من الصواريخ أرض/جو، ووحدات هندسة عسكرية، ووحدات دعم، مع دعم ناري جوي يقدمه طيران الحلفاء والطيران الأمريكي.

إن ميزة القوات من طراز معركة (الجو/ أرضية) هي قدرتها على العمل في حالة الدفاع أو في الهجوم المعاكس بخفة أكبر من القوات المعادية، وذات اتساع أضخم.

اما الأسلحة التي برزت بشكل واضح في حرب تحرير الكويت فهي:

ـ القوات الجوية ذات الفعالية العالية ليلاً ونهاراً، والتي استخدمت بكثافة لم يسبق لها مثيل في أية حرب سابقة، الأمر الذي أدى إلى شل الدفاعات الجوية العراقية، والى اخراج القوات الجوية العراقية خارج القتال منذ اللحظة الأولى لبدء عاصفة الصحراء.وبالتالي إلى تأمين السيطرة الكاملة على جو المعركة في كل مسارح العمليات.

ـ لقد لعبت الطائرة A - 10 دوراً كبيراً في تدمير الدبابات العراقية، وهي المعروفة بأنها الطائرة "القاتلة للدبابات". لقد تمكنت طائرة A - 10 من إلحاق خسائر كبيرة بدفاعات القوات العراقية، ومن التصدي للدبابات والمدرعات والمشاة الآلية العراقية، وبذلك نالت شهرة واسعة في حرب تحرير الكويت، وبذلك نالت شهرة واسعة في حرب تحرير الكويت. فهي طائرة تقوم بالدعم القريب للمشاة وبحمايتهم ضد الدبابات المعادية. وهي مجهزة بصواريخ مضادة للدبابات.

ـ كما اشتهرت الطائرة الأمريكية EF -111، التي نفذت مهامها بنجاح، وقامت بالتشويش على مقرات القيادة العراقية على الأرض، والرادارات التي توجه الصواريخ.

. ومن الطائرات التي اشتهرت في عاصفة الصحراء أيضاً، الطائرة F - 117، وقد استخدمت في الحرب لتدمير المرافق الإقتصادية والصناعية، والمراكز الحيوية والمطارات في عمق الأراضي العراقية وأهداف في بغداد نفسها. وهي تحمل قنابل موجهة بالليزر من طراز GBU-24.

. لقد لعبت الحوامات القتالية دوراً هاماً في كل المجالات في حرب الخليج، خاصة الحوامات من نوع (آباتشي) والتي قامت بتنفيذ مهامها بكل نجاح ليل نهار، ودمرت أهدافها بصواريخ من نوع "هل فاير" التي جهزت بها هذه الحوامات.

- ومن طائرات القوات الحليفة التي لعبت دوراً هاماً في عاصفة الصحراء خصوصاً في المهام الليلية طائرة "التورنادو".

إن الدور الذي قامت به الصواريخ في تدمير الأهداف المعادية في عاصفة الصحراء، ليس أقل من دور الطائرات في تلك العملية، خصوصاً الصواريخ من نوع "كروز توما هوك" وهي صواريخ ذات تأثير كبير، وذات دقة في إصابة الأهداف، وكانت تطلق من المدمرات والغواصات الأمريكية ضد الدفاعات الجوية العراقية، وضد مقرات القوات القيادة والإتصال في بغداد.

الخلاصة

من دراسة وتحليل عاصفة الصحراء نستنتج أن مبادئ ونظريات القتال المستخلصة من الحرب العالمية الثانية، لم تعد صالحة أمام الطيران المقاتل المتطور والصواريخ والأسلحة الحديثة ذات الفعالية العالية جداً. وأمام هذا الواقع الجديد لا بد من قيام القادة العسكريين بوضع نظريات ومعادلات جديدة للقتال، بالإستناد إلى دراسة فعالية الأسلحة الجديدة والمتطورة، كالتي استخدمت في عملية عاصفة الصحراء، والأسلحة الأكثر تطوراً التي ستظهر بعد حرب تحرير الكويت، إذ إن العلم العسكري في تطور مستمر. وأنه سيكون من الخطأ القيام بعد الآن بتنظيم الدفاعات وفق أسس القتال في الحرب العالمية الثانية، والإعتماد عليها على أساس أنها دفاعات قوية ومحصنة وصعبة الإختراق، لأن المهاجم الذي يمتلك طيراناً قوياً وأسلحة ذات فعالية ودقة عاليتين، لن يقوم بمهاجمة هذه الدفاعات بالدبابات والمشاة لخرقها قبل ان يقوم بتدمير معظم مقرات القيادة والدفاعات الجوية ومرابض الصواريخ والمدفعية وتجمعات الدبابات والمشاة.. الخ. أي بكلمة مختصرة شل القدرة القتالية لدى الخصم شلاً تاماً وتحطيم معنويات المقاتلين باستخدام أسلحة حديثة ذات فعالية عالية، وبالتالي سلب إرادة القتال منهم، ودفعهم إلى إلقاء السلاح والإستسلام في أول فرصة مناسبة. وهذا يعني ان الدفاعات ستسقط تلقائياً قبل شن هجوم بري بغية خرقها.

وهنا لابد من الإشارة إلى أن الحرب الحديثة التي تعتمد على الفعالية الكبيرة للأسلحة الحديثة، وعلى غزارة النيران، ستكون حرباً مكلفة جداً، وأنه من الصعب على الدول الصغيرة أو الفقيرة، إقتناء قدر كاف من تلك الأسلحة، والكمية الضخمة من الذخائر التي تتطلبها تلك الحرب، بغية إنجاح أية عملية هجومية حديثة كعملية "عاصفة الصحراء" مثلاً. أما بالنسبة للدول العربية فينبغي عليها تنسيق الأعمال العسكرية فيما بينها، والقيام معاً بدراسة وتنظيم جيوشها وفق نظريات الحرب الحديثة (أي حرب ما بعد عاصفة الصحراء)، لأن سلامة الدول العربية متوقفة على متانة التعاون ودقة التنسيق وقوة الدفاع المشترك فيما بينها ١.

أداء الأسلحة والمعدات في حرب الخليج٢

أعداد: اللواء الركن خضر الدهراوي

بانتهاء عملية عاصفة الصحراء وتحرير الكويت قام المحللون والخبراء العسكريون على مدى عام كامل بإجراء دراسات تحليلية لتقييم أداء القوات والأسلحة والمعدات التي اشتركت في هذه الحرب، وعلى ضوء النتائج التي توصلت إليها الدراسات اذاع البنتاجون تقريره الختامي والتفصيلي عن حرب الخليج، واحتوى التقرير دراستين الأولى سرية والثانية علنية، وقدمه للكونجرس الأمريكي في ١٠ ابريل ١٩٩٢.

ويتضمن التقرير الأسرار الخفية عن حرب الخليج والخطط التي تم وضعها وتعديلها وتطويرها، وعدد القوات التي شاركت من كل دولة وأداء الأسلحة المختلفة، والإستراتيجية العامة للحرب، وأسباب وقف القتال، والخسائر في الأرواح والممتلكات وتقييم الإستراتيجية الأمريكية بعد تجربة حرب تحرير الكويت.

وقال ريتشارد تشيني وزير الدفاع الأمريكي الأسبق في تقديمه للدراسة عن حرب الخليج إننا في حاجة إلى أن نؤدي عملنا بشكل أفضل . كما أكد ان انتصار قوات التحالف في حرب الخليج

---

١ المراجع:

Scientifie American August 1981.

Science et VIE No 882 MARS 1991.

٢ مجلة القوات الجوية . أبو ظبي، العدد ٤٧، مارس ١٩٩٣.

كان أمراً فريداً توافرت له العديد من العوامل المساعدة التي توفرها أي حروب قد يضطر الغرب إلى خوضها في المستقبل.

وجاء في التقرير ان التنسيق والتعاون بين قوات التحالف كان من العوامل التي ساعدت في تحقيق النصر خلال ستة أسابيع، وبذلك أمكن درء الخطر عن هذه المنطقة الحساسة والحيوية جغرافياً واقتصادياً وسياسياً.

ويكشف التقرير ما أذاعته البيانات العسكرية أثناء الحرب عن المبالغة في تضخم عدد القوات العراقية في حرب الخليج والمبالغة في تقدير حجم الخسائر والدمار الذي لحق بالعراق، وقصور نظام المخابرات والإتصالات وتأخير وصول المعلومات إلى صاحب القرار، وقصور الإستعدادات لمواجهة الأسلحة الكيمياوية والبيولوجية على امتداد الفترة الطويلة قبل بدء الحرب والتي بلغت حوالي ستة أشهر، والمبالغة في كفاءة الأسلحة الأمريكية الحديثة.

وقد ترك التقرير العديد من الأسئلة والإستفسارات معلقة دون تقديم الإجابات الكاملة عنها خصوصاً ما يتعلق بكفاءة الأسلحة الأمريكية.

وسنتناول في هذه الدراسة عدة موضوعات خاصة بأداء الأسلحة في هذه الحرب:

الدفاع المضاد للصواريخ أرض/أرض البالستية العراقية:

وهي الصواريخ التي مثلت عنصر رد الفعل الوحيد لدى العراق طوال فترة الحرب.

والسؤال هل كانت هناك إجراءات مضادة فعالة ضد هذه الصواريخ؟

مما لا شك فيه أن واضعي خطة عملية "عاصفة الصحراء" قد أخذوا في اعتبارهم الصواريخ أرض/أرض التكتيكية الموجودة في الترسانة العراقية والتي ينتظر استخدامها ضد القوات التحالف لتضمينها في التخطيط، كما ان لديهم المعلومات عن خصائص هذه الأسلحة على ضوء استخدامها في الحرب العراقية الإيرانية، ففي أثناء هذه الحرب لم يكن في ترسانة العراق سوى الصاروخ أرض/أرض سكود . بي السوفييتي الصنع ومداه ٢٨٠ كم ويعمل بالوقود السائل والتوجه الذاتي والرأس الحربية شديدة الإنفجار وزنها ١٠٠٠ كجم ومحمول على عربة إطلاق ماز . ٥٤٣ من ثمانية عجلات ومزودة برافعة هيدروليكية، وعند الإطلاق يرفع الصاروخ ليأخذ الوضع الرأسي وبعد الإطلاق يتم تنزيل الحمالة الرافعة وتحريك عربة الإطلاق إلى مكان مختفي ثم يعاد التعمير من مقطورة مستودع الصواريخ، وكان المدى لا يلبي احتياجات العراق لتطبيق إستراتيجية حرب المدن ضد إيران.

ولذا قام العراق بمساعدة دول أخرى بإدخال العديد من التعديلات على الصاروخ سكود . بي مثل زيادة كمية الوقود الدفعي التي يحملها الصاروخ وتخفيض كمية المتفجرات في الرأس الحربية بغرض زيادة مدى الصاروخ، وهذه التعديلات أمنت بزيادة فترة احتراق الوقود داخل محرك الصاروخ وأطالت فترة الطيران من ٦ أو ٦,٥ دقائق إلى ٨ أو ٩ دقائق، وأطالت مدى الصاروخ إلى ٦٥٠ كلم، وتنفصل الرأس الحربية من جسم الصاروخ قبل الإرتطام بالهدف، ويلاحظ ان الصاروخ يرتطم كجزءين لأن ذلك يحدث عندما يكون الصاروخ على إرتقاء ٥٠٠ متر من سطح الأرض بواسطة شحنة ناسفة، وهذا يفسر انطلاق الدخان الأبيض من الصاروخ في هذه المرحلة، وأحياناً يصدر عن الصاروخ انفجاران منفصلان مما يعتقد ان صاروخين قد سقطا.

والقوة التدميرية تكون كبيرة نتيجة سقوط الرأس الحربية ومخلفات جسم الصاروخ التي تزن أكثر من طن بسرعة عالية فوق الأماكن المكتظة بالسكان، وقام العراق بتطوير مركبة الوليد لنقل الصاروخ، ويتم الإطلاق إما بإستخدام منصات اطلاق ثابتة أو متحركة ذات هيدروليكية، وخصائص هذا الصاروخ على ضوء استخدامه في الحرب العراقية الإيرانية واحتمال تسليحه برأس كيماوية هي:

الطول: ١٢:٢ متر والقطر ٠,٨٨ متر والرأس الحربية تقليدية شديدة الإنفجار وزنها ٥٠٠ كجم والمحرك يعمل بالوقود السائل والمدى ٦٥٠ كلم والتوجيه بالقصور الذاتي واطلق العراق على الصاروخ بعد التعديل اسم "الحسين".

وقد أجرى عليه أول تجربة في أغسطس ١٩٨٧ ودرجة الدقة (مسافة الخطأ المحتمل من نقطة الصدام) تبلغ حوالي ١٥٠٠ متر إلى ٢٤٠٠ متر.

واستخدمه العراق في المراحل الأخيرة من الحرب الإيرانية العراقية في ضرب المدن الإيرانية في أشهر فبراير ومارس وابريل ١٩٨٨، وحدث أثناء ضرب المدن أن بعض صواريخ "الحسين" لم تنفجر وهبطت سليمة تماماً مما سمح للإيرانيين بفحص تصميمها.

من الواضح ان القصفات الصاروخية العراقية التي اطلقت كانت تجري فردية وبإعداد محدودة ليلاً لكي يمكن إخفاء منصات الإطلاق، وأن هذه الصواريخ غير دقيقة وتتأثر بالأحوال الجوية وتخطئ في اصابة الهدف الحقيقي بحيث لا تحقق إصابة الأهداف الموجهة إليها وأنها لا تصلح إلا لضرب منطقة مثل المدن المأهولة بالسكان لإحداث تأثير معنوي بضرب الأهداف التي تؤثر على الروح المعنوية مثل مصادر المياه والغذاء ومناطق الإسكان والمراكز الصناعية الكبرى وعقد المواصلات ومحطات النقل وجميعها تؤدي إلى إثارة القلق وإحداث الشغب وأعمال التخريب،

ولا تزال الروح المعنوية للشعب في الحروب عاملاً هاماً في مقدرة الدولة على الحرب لأن انتاج المواد اللازمة لاستمرار الحرب يعتمد عليها وأن إضعاف الروح المعنوية في الحرب يؤدي إلى حرمان الدولة من مقدرتها الكاملة على الحرب.

ولعلنا نذكر ما حدث في الحرب العالمية الثانية عندما استخدم الألمان الصواريخ "في .١"التي كانت تعرف بالقنبلة الطائرة في حرب لندن في عام ١٩٤٤ حيث بلغ مجموع ما اطلقته ألمانيا من هذه القنابل ٨٥٠٠ قنبلة لم يصل منها إلى الأهداف في مدينة لندن سوى ٢٨٪ من هذا العدد أي حوالي ٢٤٠٠ قنبلة تسببت في تدمير حوالي ٢٤٥٠٠ مسكن وقتل حوالي ٥٨٠٠ واصابة ٤٠ الفاً، وفي سبتمبر من نفس العام استخدمت ألمانيا نوعاً آخر من الصواريخ يسمى "في . ٢" وألقت حوالي ٥٠٠ صاروخ على لندن تسببت في وقوع خسائر في الأفراد بلغت ١٠٠٠٠ وفشل نظام الدفاع في تدمير هذه الصواريخ ولم تنجح بريطانيا في إيجاد نظام مضاد فعال حيث لم تؤد الأبحاث إلى نتيجة لأن مستوى المعرفة الفنية في هذا الوقت، لم يكن يسمح بحل مشكلة تدمير الصواريخ البالستية أثناء طيرانها في الجو والتي كانت تعتبر في غاية الصعوبة والتعقيد.

التخطيط للتعامل مع الصواريخ العراقية:

كان المخططون الأمريكيون على علم بأن العراق يمتلك صواريخ أرض/أرض "الحسين" مع احتمال استخدام رؤوس كيمياوية فيها، وللتعامل مع هذه الصواريخ لم يكن لديهم سوى اتباع أسلوبين:

تدمير الصواريخ المعادية في الجو بواسطة صواريخ باتريوت المعدلة المضادة للصواريخ، والقصف الجوي والصاروخي لقواعد اطلاق الصواريخ.

صواريخ باتريوت المعدلة:

بدأ تطوير الصاروخ باتريوت (Patriot) المصمم أساساً لاعتراض الطائرات القتالية بغرض تأمين قدرات محسنة في اعتراض وتدمير الصواريخ أرض/أرض التكتيكية، وشملت التحسينات تكبير حجم الرأس الحربية في الصاروخ وتحديثت صمام التفجير وتحسين قدرات نظام التوجيه الكمبيوتري على ملاحقة الصواريخ البالستية.

وتم التوصل إلى النموذج بي أي سي . ٢ المزود بحاسب الكتروني وجهاز الرادار (أم بي جي ٥٣ جي) (MBG 53G) ويقوم بعمل الكشف والتعقب والتمييز وتتبع الصواريخ المعادية، علاوة على أنه مزود بامكانيات التغلب على الإعاقة الالكترونية.

وتم بنجاح هذا النموذج في عملية اعتراض الصاروخ أرض/أرض الأميركي "لانس" في سبتمبر ١٩٨٦ بميدان التجارب . كما أجريت تجربة أخرى في ٤ نوفمبر ١٩٨٧ لاعتراض صاروخ باتريوت آخر أثناء طيرانه . وكان مقرراً ألا يدخل هذا النموذج مرحلة الإنتاج قبل بداية عام ١٩٩١ أي بعد أربع سنوات يجري فيها المزيد من التجارب إلا ان اندلاع أزمة الخليج دفعت الولايات المتحدة إلى التعجيل بنشر بطاريات باتريوت المعدل التي تم نقلها بواسطة الطائرات الأمريكية من طراز جالاكس لحماية الرياض والقواعد الأمريكية في المنطقة الشرقية بالمملكة العربية السعودية، ويؤيد ذلك ما صرح به هنري كوبر مدير برنامج مبادرة الدفاع الاستراتيجي حرب النجوم، في١٨ مايو ١٩٩١ بأن الولايات المتحدة لم يكن لديها عند اندلاع أزمة الخليج يوم ٢ أغسطس ١٩٩٠ سوى ٣ صواريخ من طراز باتريوت المعدل، وقال في تصريحات أدلى بها في واشنطن في اجتماع لأحدى لجان مجلس النواب أن شركة "رايثيون" المنتجة قامت بصناعة المئات من هذه الصواريخ خلال الأشهر الستة التالية لنشوب الأزمة، وكانت هناك مخاوف من أن ينفذ هذا الرصيد قبل نهاية الحرب.

وقد أجريت في سبتمبر ١٩٩٠ تجربة إطلاق شملت الصاروخ باتريوت المعدل للإشتباك مع الصواريخ البالستية وحقق الصاروخ إصابة مباشرة.

أما إسرائيل فقد كانت اتفقت مع الولايات المتحدة على الحصول على بطاريتين من صواريخ باتريوت بعد فترة قصيرة من اندلاع أزمة الخليج، وأرسلت حوالي ٦٠ في قاعدة "فورت بليس" في ولاية تكساس، وتم باختصار برنامج التدريب من ٣٨ إلى ١٨ اسبوعاً، وعلى أثر ضرب المدن الإسرائيلية بصواريخ "الحسين" العراقية قررت الأمريكية المتحدة إرسال عدد من بطاريات صواريخ باتريوت المعدل بطواقمها الأمريكية إلى إسرائيل عبر جسر جوي لحمايتها من الهجمات الصاروخية العراقية التي وجهت إليها في اليوم التالي لبدء الحرب.. وقام الخبراء الأمريكيون بنشر هذه الصواريخ في الأماكن الإستراتيجية التي حددتها إسرائيل وتشغيلها بأنفسهم منذ صباح يوم ٢٠ يناير ١٩٩١م.

مواصفات الصاروخ باتريوت المعدل:

الصاروخ ذو مرحلة واحدة يعمل بدءاً من الإرتفاع المنخفض ١٠٠ متر إلى الإرتفاع العالي ٢٤ كلم، ويعمل بالوقود الصلب. والتوجيه قيادي ونصف ايجابي. وسرعته ٣,٧ ماخ وأقصى مدى ٩٥ كلم، والرأس الحربية تقليدية تحتوي على ٩٠ كجم مواد شديدة الإنفجار.

ويعتمد نظام "باتريوت" على الأقمار الصناعية في كشف الإطلاق بمجرد تشغيل محركات الصاروخ "الحسين" وانبعاث الحرارة منه وتقوم الأقمار بالإنذار عنه إلى مراكز القيادة الأرضية والمحمولة جواً، وتم ربط بطاريات البارتيوت بالأقمار الصناعية التي تكتشف إطلاق الصواريخ العراقية بالكيفية التي تسمح بوصول المعلومات مباشرة مجرد الإطلاق مما أتاح زيادة فترة الإنذار لمدة خمس دقائق.

إعداد الصواريخ أرض/أرض البالستية العراقية التي أطلقت:

بلغ مجموع الصواريخ أرض/أرض العراقية التي أطلقت على المملكة العربية السعودية منذ بدء عملية عاصفة الصحراء ٤١ صاروخاً، هذا بالإضافة إلى صاروخ واحد في اتجاه البحرين وآخر في اتجاه قطر، وتركز الضرب الصاروخي على الرياض وعلى المنطقة الشرقية في الظهران وحفر الباطن، وكانت جميع الصواريخ التي أطلقت تحمل رؤوساً تقليدية محدودة التدمير، وكانت تطلق أثناء الليل في فترات متفاوتة بفرض الإزعاج والتأثير على الروح المعنوية، وأغلب الخسائر التي حدثت نجمت عن سقوط بقايا الصواريخ عندما يسقط الحطام فوق حي سكني، وكان الحادث الذي نجمت عنه خسائر كبيرة قد وقع يوم ٢٥ فبراير ١٩٩١ عندما اطلق العراق صاروخاً على الظهران (٤/١ منطقة الخبر) وسقطت الرأس الحربية على سكن الأفراد من القوات الأمريكية وتناثرت شظايا الإنفجار فوق المباني ونتج عنه مقتل ٢٨ وجرح مائة فرد، وذكر مسؤولون أمريكيون انه لم يتم اعتراض هذا الصاروخ بسبب خلل في الكمبيوتر أدى إلى توقف رادار صواريخ بتاتريوت عن العمل وذلك قبل وقوع الهجوم بدقائق.

أما الصواريخ التي أطلقها العراق على إسرائيل فقد بلغ عددها ٣٩ صاروخاً في محاولة لجرحا للمعركة بقيامها بالرد مما يؤدي إلى تفكيك التحالف العربي وتحويل الأنظار عن احتلاله للكويت، إلا أن الجهود الدولية حالت دون رد إسرائيل ولم يتحقق للعراق ذلك بل حقق لإسرائيل مكاسب بحصولها على نظام دفاع مضاد للصواريخ بامدادها بصواريخ باتريوت، وتركزت قصفات ليلية فردية بالصواريخ أرض/أرض على تل أبيب وحيفا والمنطقة الوسطى من إسرائيل وكانت جميع الصواريخ التي أطلقت تحمل رؤوساً تقليدية محدودة التدمير.

القصف الجوي والصاروخي لمواقع الصواريخ العراقية:

وفقاً للخطة الموضوعية في عملية عاصفة الصحراء كانت منصات اطلاق الصواريخ أرض/أرض العراقية من الأهداف ذات الأولوية التي وجهت إليها قيادة التحالف الضربات الجوية

والصاروخية في بدء العمليات، وأحدثت التدمير في منصات الإطلاق الثابتة التي يتم اكتشافها بواسطة وسائل الإستطلاع الجوي والفضائي.

ولكن المشكلة التي ظهرت هي منصات الإطلاق المتحركة التي كانت تختفي بمجرد الإطلاق، ولذا تظهر أهمية توفير معلومات دقيقة عن مواقع الصواريخ المعادية الثابتة والتبادلية التي تنتقل إليها وحدات الصواريخ، والقدرة على التمييز بين المنصات الحقيقية والهيكلية.

وقد أعطى الرئيس الأمريكي جورج بوش الأولوية القصوى من الأهمية لرصد وتدمير مواقع هذه المنصات وقال أنها تعتبر أهم العمليات في هذه المرحلة من عملية "عاصفة الصحراء"، وبدأت قوات التحالف في إجراء عمليات استطلاع ورصد الكتروني واسع النطاق لتحديد مواقع هذه المنصات تمهيداً لتدميرها، وضاعفت القوات الجوية للتحالف الدولي غاراتها المكثفة باشتراك المئات من المقاتلات القاذفة والقاذفات وصواريخ كروزتوماهوك على المواقع والأهداف العسكرية خصوصاً على مواقع المنصات المتحركة لصواريخ سكود المعدلة.

واعتمدت قيادة القوات المشتركة في متابعة منصات الصواريخ المتحركة العراقية على معلومات الأمار الصناعية وعلى أجهزة الإستطلاع المحمولة جواً خصوصاً نظام الإستطلاع والقصف المشترك المحمول في الطائرة أي . ٨ لإكتشاف الصاروخ المعادي بمجرد إنطلاقه لكي يمكن الإشتباك بعيداً عن الأهداف الحيوية المدافع عنها حتى لا تتساقط مخلفات الصاروخ وبقاياه على الأهداف الحيوية.

وقامت قوات قيادة التحالف بتشكيل فريق عمل متخصص لدراسة الإجراءات بضرب الصواريخ العراقية المتحركة، وكشفت القيادة العسكرية الأمريكية في الرياض عن تخصيص طلعات من الطائرات تكون في وضع استعداد جوي متقدم لتحقيق سرعة الإنقضاض على هذه القواذف قبل ان تغير محلاتها بعد إطلاق صواريخها.. وتم تطبيق هذا الأسلوب في الساعات الأولى من صباح ٣ فبراير عندما أطلق العراق ثلاثة صواريخ على السعودية وإسرائيل، وتمكنت الطائرات من قصف منصات الإطلاق التي انطلقت منها الصواريخ.

تقييم دور "باتريوت" في مواجهة الصواريخ العراقية:

حظيت صواريخ باتريوت أثناء الحرب بدعاية إعلامية لنجاحها في إسقاط الصواريخ أرض/أرض العراقية، فقد أذاعت البيانات العسكرية وقت الحرب ان صواريخ باتريوت حققت نجاحاً في ٧٠٪ من الإشتباكات مع صواريخ "الحسين" (فوق أراضي المملكة العربية السعودية، وفي إسرائيل حققت نجاحاً أقل مما حققته فوق السعودية ولكن التحليل أثبت ان الصاروخ باتريوت لم

يكن بالفاعلية التي وصف بها، والتي أعلنت عن النجاح الكبير ضد الصواريخ العراقية . أرض/أرض، ويتضح ذلك من الدراسات والتقارير التي قام بها المحللون ونذكر منها:

الدراسات التي أعدها البنتاغون أخيراً تشير إلى أن أغلب الصواريخ باتريوت كانت تنفجر بعيداً عن صواريخ سكود المعدل دون أن تصيبها، وأنها لم تدمر الا اعداداً محدودة من إجمالي الصواريخ العراقية التي أطلقت وعددها ٨٢ صاروخاً.

وفي تقرير لإدارة الأبحاث العسكرية والدفاع بالكونجرس الأمريكي تأكد في حماس حرب الخليج وما أعقبها وبعد الأداء الممتاز للأسلحة والتكنولوجيا الأمريكية أن نجاح صواريخ باتريوت كان مبالغاً به وكان مرتبطاً بالظروف الدقيقة التي دفعت قيادة القوات المتحالفة إلى الإسراع بإرسال بطاريات باتريوت إلى السعودية واسرائيل للدفاع ضد صواريخ سكود العراقية.. وأدى ذلك إلى قيام لجنتا الدفاع والتشريع بالكونجرس بعقد جلستي استماع لتقييم أداء صواريخ باتريوت خلال حرب الخليج، وفيها سجلت إدارة الأبحاث العسكرية وشؤون الدفاع بالكونجرس أن القوات المسلحة الأمريكية قد أبرزت في خلال الحرب ان صواريخ باتريوت أسقطت جميع الصواريخ أرض/أرض التي أطلقها العراق ولكن هذه المعلومات غير دقيقة وتحمل قدراً كبيراً من المبالغة.

وذكرت البيانات العسكرية ان نجاح صواريخ باتريوت في اعتراض الصواريخ أرض/أرض العراقية قد تصاعدت بنسبة تعدت ٥٠٪، الا ان المراقبين رصدوا بعض نقاط الضعف أهمها ان الإعتراض غالباً ما تم على مسافة قريبة جداً من الهدف الحيوي المدافع عنه أو فوقه تقريباً مما أدى إلى حدوث خسائر من جراء تساقط أجزاء من الحطام فوق الهدف، وهذا ما صرح به موشى ارينز وزير الدفاع الإسرائيلي في حديث لراديو إسرائيل ان قدرة الصواريخ الأمريكية باتريوت على اعتراض الصواريخ العراقية أرض/أرض من طراز سكود محدودة جداً حتى بعد التعديلات التي أدخلت عليها وقال أن ذلك لم يكن مفاجأة لإسرائيل.

وفي اجتماع طارئ للحكومة الإسرائيلية صباح يوم ٢٣/يناير/١٩٩١ حضره كبار القادة العسكريين حيث قدم موشي ارينز تقريراً شاملاً عن نتائج القصف الصاروخي العراقي، وفيه تناول فشل الصاروخ باتريوت الأمريكي المضاد للصواريخ في تدمير الصاروخ العراقي طراز سكود المعدل.

والسؤال هل حقق القصف الجوي لدول التحالف تدمير جميع الصواريخ أرض/أرض العراقية كما أوردته البلاغات العسكرية أثناء القتال؟

نسوق هنا سلسلة التقارير والتصريحات التي صدرت بخصوص دور القصف الجوي في تدمير الصواريخ العراقية في الإسبوع الأول من العمليات.

أعلن الجنرال نورمان شوارزكوف قائد القوات في عملية عاصفة الصحراء أن التقديرات الأولى للقوة الصاروخية العراقية كانت تشير إلى أن العراق لديه ٣٠ قاعدة ثابتة لإطلاق الصواريخ بالإضافة إلى نحو ٢٠ منصة إطلاق محمولة متحركة، وأكد في مقابلة أجرتها معه شبكة إن بي سي الأمريكية في إطار برنامج واجهة الصحافة أن القوات الجوية المتحالفة تمكنت بالفعل من تحييد جميع قواعد الصواريخ العراقية الثابتة، ولكنه قال ان المشكلة تكن في القواعد المتحركة التي يصعب رصدها وتحديد اماكنها، ومع ذلك فإن التقديرات تشير إلى إنه أمكن بالفعل تدمير ١٦ منصة من هذه القواعد المتحركة وذلك على الرغم من أنه يصعب جداً تأكيد ذلك الآن، واضاف أنه لهذا السبب يفترض أنه لا تزال هناك بعض هذه القواعد التي تتعقبها الطائرات الأمريكية والمتحالفة للتأكد من عدم استخدامها مرة أخرى، وقال ان تدميرها جميعاً هو مسألة صعبة وإن البحث عن المنصات يشبه البحث عن إبرة في كومة من القش.

في حين أكد تصريح روبرت جينس مدير وكالة المخابرات المركزية الأمريكية بأن العراق ما زال يخفي المئات من صواريخ سكود، واعترفت وزارة الدفاع الأمريكية بأنه لم يتم بعد تدمير كل المنصات المتحركة لإطلاق صواريخ سكود، وقالت أن تعقبها وتدميرها جرى بلا توقف.. وتعتقد المصادر العسكرية الأمريكية أنه ما زالت لدى العراق ٢٥ منصة تقريباً موجودة في مناطق مختلفة خصوصاً غرب العراق.

وفي التقرير الختامي التفصيلي عن حرب الخليج اعترفت وزارة الدفاع الأمريكية بأن أجهزة المخابرات بالغت في تقديرها لمدى الدمار الذي لحق بالعراق، وظهر ذلك بوضوح في تقرير فريق التفتيش الدولي التابع للأمم المتحدة عندما بدأ في أكتوبر ١٩٩١ البحث عن الصواريخ العراقية ومنصات اطلاقها ومستودعات تخزينها وانتاجها مستخدماً في ذلك طائرات الهليكوبتر التي كانت مثار خلاف بين المنظمة الدولية والعراق، واتجه البحث نحو منصات إطلاق الصواريخ الثابتة في غرب العراق والتي استخدمت في إطلاق الصواريخ العراقية على إسرائيل خلال حرب الخليج، وتولى فريق التفتيش تدمير ٢٨ منصة إطلاق تأكد وجودها، وعثر الفريق بعدها على ١٦ منصة إطلاق صواريخ "الحسين" وثمانين خزان وقود خاصاً بها، وبلغ مجموع المنصات التي عثر عليها الفريق ٥٠ منصة لإطلاق الصواريخ، وسيتحقق فريق التفتيش الدولي خلال جولاته من صحة

تقارير المخابرات الأمريكية التي ذكرت ان العراق ما زال يمتلك المئات من صواريخ سكود السوفييتية الصنع وصواريخ "الحسين" و"العباس" التي تم تطويرها محلياً في العراق.

وبالنسبة لمصادر إنتاج الصواريخ العراقية فقد صرح كريستوفر هولاند رئيس فريق الأمم المتحدة للتفتيش عن مصانع الصواريخ بأن زيارة الفريق التي بدأت في ١٣ إبريل ١٩٩٢ تستهدف تدمير مصانع الصواريخ.. وهذه العملية تشمل سلسلة من المصانع تقع في إطار مسافة ١٠٠ كم من بغداد وأنها تنتج الصواريخ.

ويتضح من هذه التقارير والتصريحات ان القصف الجوي الذي استنفد العديد من الطلعات ومزيد من المجهود الجوي بالطائرات الموضوعة في وضع الإستعداد الجوي (الدوريات الجوية) لم يحقق تدمير جميع الصواريخ أرض/أرض العراقية وقد اثبتت لجان التفتيش التابعة للأمم المتحدة وجود أعداد من هذه الصواريخ وما زال التفتيش مستمراً حتى الآن.

المبالغة في تقدير حجم الخسائر التي لحقت بالعراق وانعكاساتها على سير الحرب:

كشف تقرير البنتاغون عن حرب الخليج التقديرات الخاطئة عن الخسائر العراقية بسبب قصور نظام المخابرات والإتصالات وتأخير وصول المعلومات إلى صاحب القرار، فقد إعترف تشيني وزير الدفاع الأمريكي في التقرير الختامي والتفصيلي عن حرب الخليج بأن تقارير المخابرات التي كانت ترد إلى العسكريين في الميدان عن حجم الأضرار التي الحقتها الغارات الجوية بالأهداف العراقية كانت متناقضة وغير دقيقة وبطيئة ولم ترد في التوقيت الملائم بما في ذلك الصور الملتقطة عبر الأقمار الصناعية، وجاء في التقرير أن القادة العسكريين في ميدان القتال اضطروا إلى الإعتماد على تقديراتهم المستقلة، وأنه في بعض الحالات قامت الطائرات المهاجمة بقصف أهداف سبق تدميرها مما أدى إلى تعرضها للأخطار بدون داع، كما أن نظام الإتصالات بين القادة العسكريين ومساعديهم شابه الكثير من أوجه القصور.

كما كشف التقرير ان التقديرات الأمريكية عن حجم خسائر القوات العراقية كان مبالغاً بها، واعترفت وزارة الدفاع الأمريكية بالفشل في تزويد قادة "عاصفة الصحراء" بتقارير وافية عن حجم الخسائر التي حدثت خلال المراحل المختلفة للمعركة، ويتضح ذلك من تصريحات المسؤوليين أثناء العمليات.

أعلن الجنرال بأول رئيس هيئة الأركان الأمريكية المشتركة في ٢٤ يناير ١٩٩١ ان القوات الجوية لدول التحالف دمرت تماماً مفاعلين نووين،، وأن القوات الأمريكية قصفت وشلت

تماماً أماكن إنتاج أسلحة كيماوية وبيولوجية ونووية عراقية، وأكد أن القوات الأمريكية دمرت أيضاً مصنعاً للأسلحة البيولوجية في بغداد.

وفي ٢١ يناير ١٩٩١ أكد الجنرال نورمان شوارزكوف قائد القوات بالخليج أن طائرات الدول المتحالفة قد ألحقت أضراراً كبيرة بالمنشآت النووية العراقية وأسلحته الكيماوية وقال في حديث تلفزيوني أن هذه المنشآت لا يمكنها العمل قبل سنوات عديدة.

وأكد تصريح تشيني وزير الدفاع الأمريكي في المؤتمر الصحافي الذي عقده في الرياض عن النتائج التي حققها القصف الجوي وقال إن الحملة الجوية وهي الآن في أسبوعها الرابع حققت نتائج هامة فقد أصبح الدفاع الجوي والسلاح الجوي العراقيان غير فعالين ولا وجو الآن لسلاح البحرية، كما تم تدمير معظم المرافق النووية والكيماوية التي تنتج أسلحة الدمار الشامل، وتم أيضاً تدمير القدرات على إنتاج الأسلحة البيولوجية، وقال إن قوات الحلفاء الجوية ما زالت تقوم بدور مؤثر في انهاك الآلة العسكرية العراقية، وتم إحداث أكبر قدر من التدمير المادي والمعنوي في القوات المسلحة العراقية من خلال القصف الجوي والصاروخي المستمر للأهداف العسكرية العراقية ذات القيمة الإستراتيجية.

والسؤال المطروح: هل تم تدمير منشآت الأسلحة النووية والكيماوية بالقصف الجوي والصاروخي كما ورد في البيانات العسكرية وتصريحات المسؤولين أثناء الحرب؟

الحقيقة اتضحت من التصاريح وتقارير لجان التفتيش التابعة للأمم المتحدة والتي توافدت إلى العراق للبحث عن هذه الأسلحة وإزالتها أو تدميرها وهنا نسوق التصريحات ونتائج التفتيش التي قامت بها اللجان على الطبيعة، والتي يتضح منها المبالغات في تقدير الدمار الذي لحق بالعراق: جاء ذلك في تصريح روبرت جينس مديروكالة المخابرات المركزية الأمريكية الذي قال بأن مفتشي الأمم المتحدة كشفوا عن الكثير من البرنامج النووي العراقي، وإن العراق يستطيع ان يعيد إنشاء برنامج الأسلحة البيولوجية خلال أسابيع.

صرح ديمتري بريكوس رئيس فريق التفتيش التابع للوكالة الدولية للطاقة الذرية في ابريل ١٩٩٢ بأن مهمة فريقه شملت تدمير ١٢ مبنى من بين مائة مبنى في "مجمع الأثير" الواقع جنوبي غربي بغداد، كما صرح ديفيد كابي المتحدث باسم الوكالة ان المبنى الرئيسي لمجمع الأثير النووي إزالته جزئياً باستخدام شحنات من المتفجرات تم وضعها في داخله يوم ١٣ إبريل ١٩٩٢ وتمت إزالة المعدات والأفران وآلات الضغط التي تصنع الشحنات عالية الإنفجار للرؤوس الحربية وإنه تم

إنجاز حوالي ٩٠٪ من الإزالة، ومعنى ذلك أن الأجهزة المسؤولة بالغت في تقدير لمنشآت البرنامج النووي العراقي.

وبالنسبة للأسلحة الكيماوية أعلن خبراء الأمم المتحدة في ١٩٩١/٨/١ أنهم عثروا على ٤٦ ألف قطعة من ذخيرة الأسلحة الكيماوية، وحوالي ثلاثة آلاف طن من المواد الكيماوية والمواد التي تستخدم في صناعة الغازات السامة داخل مواقع عراقية وقال الخبراء أنهم اطلعوا أعضاء مجلس الأمن على نتائج تحقيقاتهم وأن ما عثروا عليه من أسلحة ومواد كيماوية يبلغ خمسة أضعاف ما اعترف به العراق من قبل، وقال رولف ايكوس رئيس لجنة الأسلحة الخاصة بالأمم المتحدة أن الأسلحة المكتشفة تشمل قنابل وقذائف صاروخية وقذائف مدفعية ورؤوساً حربية للصواريخ وأوضح الخبير الدولي أن عدداً من الرؤوس الحربية للصواريخ مملوءة بغاز من غازات الأعصاب، وأنه تم العثور على رؤوس كيمياوية معدة للتركيب على صواريخ سكود، وقال الخبير أن الحجم الضخم لمخزون الأسلحة كيماوية محفوظ في ظروف سيئة وخطيرة..

وكان العراق قد اعترف بحيازته لغاز الخردل وغاز الأعصاب.

وأضاف أيكوس أنه تم العثور على معظم الأسلحة الكيماوية في موقع كبير بالقرب من مدينة سامراء على مسافة ١١٠ كم شمال العاصمة بغداد.

وصرح المسؤولون في الأمم المتحدة أنه تم تدمير ما يقرب من ٢٥٠ كلغ من غاز الأعصاب في معمل المثنى في شمال غرب بغدد والذي أنشئ خصيصاً بغرض إجراء التدمير فيه.

المبالغة في تضخيم عدد القوات العراقية في الكويت:

بالغت المخابرات الأمريكية في تقدير حجم القوات العراقية في جبهة القتال بأنها حوالي ٥٥٠ ألف ضابط وجندي، بينما أشارت تقارير أخرى أن الحجم أقل من هذا العدد وكان في مواجهته ٧٠٠ ألف ضابط وجندي لقوات التحالف إلى أن هناك تفوقاً عددياً كبيراً في صالح معسكر الحلفاء المناهض للعراق، وألقت لجنة القوات المسلحة بمجلس النواب الأمريكي مسؤولية نقص المعلومات على عاتق المخابرات التي بالغت في تضخيم عدد القوات العراقية، وترتب على ذلك الإستمرار في حشد قوات التحالف للحصول على التفوق مما أطال فترة الإعداد للحرب.

نقص المعلومات:

أشارت البيانات الأمريكية التي أعلنت إنتهاء الحرب إلى أن الجيش العراقي الموجود في الكويت لن يستطيع الإنسحاب بمعداته الثقيلة والتقهقر إلى داخل الأراضي العراقية وذلك لأن الجسور المقامة على طرق الإنسحاب قد تم تدميرها، ولكن الحقيقة خلاف ذلك لأن عدداً كبيراً من

الدبابات العراقية استطاع الإنسحاب فضلاً عن الكثير من الأسلحة الثقيلة وهي الأسلحة التي استخدمها صدام حسين في قمع التمرد، كما نجحت في الإنسحاب أيضاً عناصر من الحرس الجمهوري وانضمت فيما بعد إلى الفرق التي لم ترسل إلى جبهة القتال لتشكيل نواة الجيش العراقي الجديد.

قصور الإستعدادات لمواجهة الأسلحة الكيمياوية والبيولوجية:

تناول تقرير البنتاغون أوجه النقص العديدة من حيث قصور الإستعداد لمواجهة حرب محتملة بالأسلحة الكيماوية خاصة وأن العراق كان يهدد باستخدامها في حالة قيام الحرب، وبالرغم من تزويد القوات بالأقنعة الواقعية من الغازات إلا أنه كان هناك نقص في أجهزة الإنذار وتبصير القوات بحقيقة الأعراض الناشئة عن الهجوم الكيمياوي. كما انتقد التقرير نقص الملابس الواقية من الغازات السامة ونقص الادوية المضادة للسموم، ولم تتوافر مولد تطعيم كافية إلاّ في يناير ١٩٩١ بعد أربعة أشهر من وصول أول دفعة من الجنود إلى السعودية.

قصور أعمال الإستطلاع:

بالرغم من توفر كافة وسائل الإستطلاع الجوي والفضائي لدى قوات التحالف ووجود هذه القوات في حالة إستعداد منذ إندلاع الحرب، وقعت أول عملية برية هجومية تكتيكية للإستيلاء على بلدة الخفجي على الحدود السعودية مع الكويت إذ تحركت نحو ٨٠٠ . ١٠٠٠ مركبة عسكرية عراقية في جنوب الكويت باتجاه الحدود السعودية في طوابير ومجموعات صغيرة وقوافل تعززها قوة برمائية في زوارق سريعة واحتل العراقيون البلدة، وكان التطبيق العراقي لمبدأ المفاجاة لاقى نجاحاً إلى حد كبير في بادئ الأمر، حيث ارتكز على الإخفاء لإتجاه الهجوم واستغلال الثغرات القائمة في الخطوط الدفاعية لمعسكر التحالف الدولي في الأراضي السعودية، ومعنى ذلك قصور في أعمال الإستطلاع والتبليغ عن هذه التحركات.

دور الأقمار الصناعية في حرب الخليج:

قامت الأقمار الصناعية الأمريكية بمساندة أعمال قتال التحالف الدولي، فقد وفرت بيانات ملاحية للقوات البرية والبحرية والجوية، وبيانات حيوية عن الأحوال الجوية وتضمنت الخطة الفضائية إطلاق مجموعة من الأقمار الصناعية أحدها لمراقبة تحركات القوات العراقية في الخليج نهاراً وليلاً بواسطة أجهزة الاستشعارات ذات الاشعة تحت الحمراء، ونوع آخر للانذار عن إطلاق الصواريخ البالستية العراقية وتحديد مكانها عن طريق الحرارة المنبعثة من الإطلاق، وقمران للتنصت الإلكتروني ورصد الإتصالات منها القمر "الينتس" الذي يستطيع التقاط الإتصالات

اللاسلكية، وخمسة أقمار استطلاع بالتصوير منها سلسلة أقمار "كيه اتش . ١٢" التي ترسل صوراً رقمية مباشرة.

ولأول مرة أطلقت الولايات المتحدة قمرين عسكريين في أسبوع واحد أحدهما للتجسس فوق منطقة الخليج لمراقبة التحركات العسكرية وتم إطلاقه من مكوك الفضاء "أتلانتس" الذي بدأ رحلته في ١٦ نوفمبر ١٩٩٠، اما القمر الآخر فقد تم إطلاقه بواسطة الصاروخ تيتان . ٤ نفس الأسبوع.

وأوضح جون بيك محلل الشؤون الفضائية بجمعية العلماء الأمريكيين ان الطيارين يقومون بمراجعة صور الأقمار الصناعية قبل إقلاعهم لتنفيذ المهام المكلفين بها، وأكد أن أسطول الأقمار الصناعية يرسل صوراً بصورة واضحة بدرجة تكفي لتعزيز فرصة ملاحقة أهداف متحركة بصورة سريعة، وقال ان الاقمار الصناعية يمكن ان تكون فعالة في الحرب البرية لقدرتها على تمكين القادة الميدانيين من تحديد مواقع القوات العراقية وهي قائمة بالفتح والإنتشار.

ويقول الخبراء في الحرب الإلكترونية أن الأقمار الصناعية العسكرية تعمل بأقصى طاقة لها لتواكب الإتصالات المكثفة في الخليج.

والسؤال الذي يتبادر للقارئ أين دور الأقمار الصناعية التي هللت لها وسائل الإعلام أثناء الحرب بأنها تتميز بالقدرة العالية على اختراق باطن الأرض والتقاط صور واضحة لأغراض صغيرة جداً من الدقة، لماذا لم تساهم في كشف الصورة الحقيقة لتدمير برنامج الصواريخ البالستية التكتيكية الذي اكتشفته لجان التفتيش التابعة للأمم المتحدة بعد إنتهاء الحرب ووجدت معظمه سليماً بخلاف ما ورد في تصريحات المسؤولين ومنهم وزير الدفاع الأمريكي الذي قال في المؤتمر الصحافي الذي عقده في الرياض في الأسبوع الرابع للعمليات أنه تم تدمير معظم المرافق النووية الكيماوية التي تنتج أسلحة الدمار الشامل، وأيضاً تصريح الجنرال كولين باول رئيس هيئة الأركان المشتركة الذي قال إن القوات الجوية لدول التحالف دمرت تماماً مفاعلين نوويين وشلت إمكانات إنتاج أسلحته الكيميائية والبيولوجية.

والحقيقة التي لا يمكن إغفالها أن هناك قيوداً ومصاعب في إستخدام الأقمار الصناعية منها:

ـ صعوبة إكتشاف ما يدور في داخل مصانع الأسلحة والمنشآت. واتضح ذلك من تقارير لجان التفتيش وما عثروا عليه من أسلحة التدمير الشامل كما سبق أن ذكرنا.

ـ تأثير أعمال الخداع والصعوبة في تمييز الأهداف من الهيكلية حيث يلجأ العدو إلى مرج الإخفاء باجراءات الخداع مثل إقامة قواعد هيكلية تحوي معدات وأسلحة مقلدة وبث الحياة فيها لكي

تبد كأنها مواقع عاملة حقيقية ويترتب على ذلك إمتصاص جزء كبير من المجهود الجوي في ضرب هذه الأهداف.

. الحاجة إلى مستوى مهارة عالية في قراءة الصور وتفسيرها لإجراء التحليل السليم لأن الخطأ في تفسير الصور يؤدي إلى خطأ في التقدير قد تكون له عواقب وخيمة.

. تأثير الإخفاء ووضع القيود على إستخدام الوسائل اللاسلكية والرادارية بإيقاف البث للوسائل الإلكترونية خلال فترة نشاط وسائل الإستطلاع الفضائية.

ـ مشكلة تحليل الإشارات التي تلتقطها أقمار الإستطلاع "الينتس" حيث يتم في نفس الوقت تسجيل الإشارات التي تطلقها أجهزة التشويش مع تسجيل الإشارات التي تطلقها أجهزة التشويش مع تسجيل الإشارات الخاصة بالإتصالات التي يجري التجسس عليها.

هذه هي مجمل المصاعب التي واجه الأقمار الصناعية، ولذا تظهر أهمية تنسيق المعلومات التي يتم الحصول عليها بالوسائل الإلكترونية والبصرية من مراكز المراقبة والتنصت الأرضية وأنظمة الشبكات الرادارية خصوصاً المحمولة جواً ومن طائرات الإستطلاع.

استخلاص النتائج:

ـ مما لا شك فيه أن الضربات الجوية والصاروخية الشاملة والضربات الجوية المنفصلة قد حققت السيادة الجوية منذ الأيام الأولى للعمليات حيث إختفى رد الفعل العراقي في المجال الجوي وتجنيب طائراته الدخول في معارك غير متكافئة، هذا بالإضافة إلى تعرض ملاجئ الطائرات للتدمير مما اضطر طائرات القتال إلى الإنسحاب واللجوء إلى إيران، كما تعرض الدفاع الجوي العراقي للهجمات الجوية والصاروخية الكثيفة التي فاقت قدراته وجعلت امكانياته الدفاعية محدودة للغاية وتعرض لأعمال الإعاقة الإلكترونية المكثفة على الرادارات، وأنظمة القيادة والسيطرة وأفقدت أسلحة الدفاع الجوي فاعليتها.

. لم يكن لدى العراق سوى الصواريخ أرض/أرض التكتيكية التي مثلت رد الفعل الوحيد ورغم عدم دقتها استمر في إطلاقها على المملكة العربية السعودية واسرائيل لأغراض سياسية والتأثير على الروح المعنوية.

وكانت التقديرات عن حجم الصواريخ أرض/أرض "الحسين" خاطئة وتشير إلى أن العراق لديه ٣٠ قاعدة صواريخ ثابتة بالإضافة إلى نحو ٢٠ منصة إطلاق متحركة، وكانت المشكلة تكمن في القواعد المتحركة حيث يصعب رصدها وتحديد أماكنها، وساهمت أعمال الخداع والإخفاء

والتمويه والإستخدام المكثف للصواريخ والمنصات الهيكلية والمناورة المستمرة في المواقع التبادلية من الجانب العراقي في إمتصاص العديد من الطلعات الجوية التي قامت بها دول التحالف.

وبالرغم من الغارات الجوية الكثيفة واتباع أسلوب طائرات القتال الموضوعية في وضع الإستعداد المتقدم (الدوريات الجوية) والحصول على معلومات عن الإطلاق من الأقمار الصناعية لم يحقق القصف الجوي الذي استنفد العديد من الطلعات والمزيد من المجهود الجوي تدمير جميع هذه الصواريخ خصوصاً التعامل مع منصات إطلاق الصواريخ المتحركة ومستودعاتها، وأثبتت لجان التفتيش التابعة للأمم المتحدة وجود منصات إطلاق سليمة ومصادر صواريخ قامت هذه اللجان بتدميرها.

. أثبتت الدراسات والتقارير أن نجاح الصاروخ باتريوت المعدل كان مبالغاً فيه فقد كان مقرراً ألا يدخل مرحلة الإنتاج قبل بداية ١٩٩١ بعد إجراء التجارب الكافية عليه، ولكن أزمة الخليج هي التي دفعت باستخدام هذا الصاروخ مبكراً.

والجدير بالذكر أنه لا توجد حتى الآن منظومة متكاملة للدفاع المضاد للصواريخ أرض/أرض التكتيكية. فالمنظومة تعتمد على إكتشاف إطلاق الصواريخ بمجرد تشغيل محركات الإطلاق والإنذار عنها في مراكز القيادة على المستويات المختلفة عن طريق وسائل الكشف الفضائي بالأقمار الصناعية، وشبكة رادارية عالية الكفاءة وحواسب الكترونية قادرة على استخراج الإحداثايت المتغيرة لخط مرور الصواريخ المهاجمة، وتزويد كتائب الصواريخ المضادة للصواريخ بكافة المعلومات التي تمكنها من اعتراض وتدمير الصواريخ المعادية.

وقد سبق أن أثار الجنرال روجرز القائد العام لحلف الأطلنطي في عام ١٩٨٦ موضوع إنشاء منظومة دفاعية متكاملة مضادة للصواريخ في المسرح الأوروبي، وفعلاً بدأت الدراسات التمهيدية لوضع فكرة المنظومة، وتم توقيع عقود مع عدد من الشركات الأمريكية والبريطانية لوضع نماذج هذه المنظومة، وتأجل عرض هذه الدراسات عدة مرات بسبب المتغيرات التي حدثت في الكتلة الشرقية بحل حلف وارسو وتفكك الإتحاد السوفييتي وإنتهاء الحرب الباردة، ووجدت الدول الغربية أنه لا داعي لإنفاق عدة مليارات لمواجهة تهديد لم يعد قائماً، ولكن الأبحاث مستمرة الآن على أجيال جديدة في هذا المجال مثل الصاروخ آرو وصواريخ أخرى.

لم تتمكن الضربات الجوية والصاروخية من تدمير برنامج التسلح النووي والكيماوي العراقي، وتبين بعد أنتهاء الحرب في تقارير لجان التفتيش التابعة للأمم المتحدة أن هذا البرنامج أكثر عمقاً

واتساعاً مما كان متصوراً من قبل، وأن جزءاً كبيراً من منشآت الأسلحة النووية والكيماوية ظل سليماً ومن بينها المنشآت المقامة في مجمع الأثير بالرغم من تكرار قصفها.

عجز القيادة الأمريكية عن التقدير الصحيح للخسائر العراقية خصوصاً التقديرات الخاطئة بالنسبة لقدرات العراق الكيماوية والنووية وأسلحته الصاروخية.

يرى المحللون أن ما ورد في التقارير من تقييم كفاءة الأسلحة المشتركة في الحرب بنسب مئوية يصعب تقدير الرقم الحقيقي لها، فمثلاً كان تقدير البحرية لصواريخ كروز توماهوك أنها أصابت أهدافها بنسبة ٨٥٪ في كل مرة، ولكن الرقم الحقيقي يصعب تقديره نظراً لأن هذه الصواريخ كانت تطلق على أهداف تشترك في ضربها طائرات القتال.

عاصفة الصحراء
والدور الهام لعمليات
النقل والامداد والتموين [1]

بقلم العميد: د. علي حلمي علواني

بعد أن وضعت حرب الخليج أوزارها، بدأ المحللون العسكريون يدرسون نتائج هذه الحرب في جميع المجالات شأن كل حرب، وإن كانت هذه الحرب قد تميزت عن غيرها بالحشد العسكري الكبير الذي ضم جيوشاً مختلفة الجنسيات، بل ومختلفة في نظم التسليح وأساليب التدريب. وقد تطلب ذلك مهارة عالية في عمليات الإمداد والنقل والإنتشار والقيادة والسيطرة والإتصالات، مما أكد جدوى استخدام الأسلحة المتقدمة في إطار المعركة "الجو . برية".

وسنحاول في السطور التالية القاء الضوء على بعض الدروس المستفادة في مجالات النقل والإمداد والتأمين المادي والفني.

كانت عمليتا "درع الصحراء"و"عاصفة الصحراء" أول إختبار حقيقي لقدرة الولايات المتحدة الأمريكية على النقل الجوي منذ جسر النقل الجوي الشهير إلى برلين (١٩٤٨.١٩٤٩).

وقد تمكنت الولايات المتحدة الأمريكية من إقامة أضخم جسر نقل جوي منذ الحرب العالمية الثانية إلى منطقة الخليج لنقل وإمداد القوات والأسلحة والمعدات من قواعدها الأمريكية المنتشرة في الأراضي الأمريكية وفي دول الحلفاء إلى منطقة الصراع.

---

[1] الحرس الوطني . الرياض، العدد ١١٥، مارس ١٩٩٢.

وقد ساهم في نجاح هذا الجسر طول زمن الإستعداد للحرب مع استمرار الحرب الجوية لأطول فترة ممكنة قبل بداية الهجوم البري.

ولم تكن عملية نقل القوات والأسلحة والمعدات من الولايات المتحدة وأوروبا بالعملية السهلة. ولم يكن أسطول النقل الحربي كافياً. وكان من الضروري اللجوء إلى الطيران التجاري. واستخدمت الولايات المتحدة طائرات ٨٥ شركة مدنية بالإضافة إلى أسطول النقل المدني الإحتياطي الذي أنشئ لأغراض الأمن القومي. واستعانت بريطانيا بـ ١٥ شركة مدنية.

جسر جوي أمريكي ضخم لنقل القوات إلى الخليج.

وقامت قوات النقل الجوي العسكري الأمريكية في الفترة من أغسطس ١٩٩٠ وحتى الحادي عشر من فبراير ١٩٩١ بحوالي ١٣ ألف رحلة نقل استراتيجي إلى منطقة الخليج تم خلالها نقل ما يزيد على ٤٤٥ ألف جندي و٤٥٣ ألف طن من المعدات العسكرية.

وقد استخدم الأسطول طائرات النقل العملاقة (جالاكس) طراز "سي .٥" وطائرات "سي . ١٤١" و"سي . ١٣٠"هيركوليز و"كي سي . ١٠" (KC-10) وطائرات النقل التجارية"دي سي . ١٠" (DC-10) و"بوينج . ٧٤٧" و"ترايستار . ١٠١١".

وبلغ عدد طائرات "سي . ١٤١" في الجسر الجوي ١٩٥ طائرة قامت بـ ٥٢,٩٪ من مجموع رحلات الجسر الجوي الأمريكي، بينما نفذت طائرات "كي سي .١٠" ٢,٩٪ من الرحلات وطائرات "سي . ٥" ٢٤٪ من الرحلات.

وقامت طائرات النقل العسكري العملاقة طراز "سي . ٥" بنقل ٤٣,٣٪ من حمولة الجسر الجوي الأمريكي و١٨٪ من الجنود. أما الطائرات "سي . ١٤١" فنقلت ٢٩٪ من الحمولة و١٨,٥٪ من الركاب، بينما نقلت طائرات "كي سي . ١٠" ٢,٧٪ من المعدات و٢٪ من الجنود.

وقامت طائرات النقل العسكري التكتيكية طراز "سي . ١٣٠" التابعة للولايات المتحدة وحلفائها بحوالي ١٠٣٠٠ رحلة من الولايات المتحدة وأوروبا لنقل القوات في الفترة الأولى لعملية "درع الصحراء" وتم خلال هذه الرحلات نقل القوات والذخائر من القواعد الرئيسية في منطقة الخليج إلى قواعد ومهابط في الخطوط الأمامية بالقرب من مسرح العمليات، بعد أن قامت الطائرات الضخمة بنقلها من الولايات المتحدة وأوروبا إلى منطقة الخليج.

واستخدمت الولايات المتحدة أسطول النقل الجوي الإحتياطي المدني الذي أنشأته عام ١٩٥١، والذي يشتمل على ٢٩ شركة طيران تمتلك ٥٠٦ طائرة جاهزة للإشتراك في العلميات

العسكرية. وقام هذا الأسطول بحوالي خمس مجموع رحلات الجسر الجوي، تم خلالها نقل ٢٥٪ من الأسلحة والمعدات و ٦٤٪ من القوات.

وكان معدل الطيران اليومي لطائرات النقل الإحتياطية ٦٥ رحلة خلال شهري إغسطس وسبتمبر ١٩٩٠، ثم انخفض هذا المعدل الى ٤٠ رحلة بسبب مساعدة شركات الطيران المدنية، ومرة أخرى ارتفع المعدل خلال شهر ديسمبر ١٩٩٠ إلى ١٢٥ رحلة يومياً، ومع بداية الحرب الجوية تركزت معظم المهام على نقل قطع الغيار والمعدات من القواعد الأمريكية إلى مسرح العمليات.

وتعرضت أطقم الطائرات للإرهاق الشديد وكان طيار "سي .٥" أو "سي . ١٤١"يطير بمعدل ٣٠ . ٤٠ ساعة شهرياً، وكان طيار الإحتياط في القوات الجوية الأمريكية يطير بمعدل ١٥ ساعة شهرياً، وارتفعت المعدلات لتصل إلى ثلاثة أضعاف أثناء عمليات حرب الخليج حيث أصبحت ساعات الطيار الشهرية تتراوح بين ٨٠ و ١٠٠ ساعة.

وكان الحد الأقصى لساعات طيران طاقم "سي . ٥" المكون من فردين ١٦ ساعة متواصلة، ولكن مع بدء عملية "عاصفة الصحراء" زاد هذا الحد إلى ٢٠ساعة متواصلة، أما الطاقم المكون من طيارين لنفس الطائرات فقد ارتفع الحد الأقصى لساعات طيرانه إلى ٢٤ . ٢٦ ساعة متواصلة.

زيادة قدرات النقل الجوي للدول الأوروبية

كشفت حرب الخليج عجز الدول الأوروبية عن نقل المعدات والقوات العسكرية إلى مناطق الصراع، فلكي تنتقل القوات المتحالفة إلى منطقة الخليج، فإن الدول المتحالفة كانت في حاجة إلى مساعدة أمريكية كبيرة لنقلها.

وقد كانت إمكانات الدول المتحالفة في مجال النقل الجوي محدودة، فقامت قوات النقل الجوي البريطانية بنقل ٣٠ ألف جندي من القوات البريطانية إلى منطقة الخليج قبل بداية شهر يناير ١٩٩١ باستخدام طائرات النقل العسكرية والطائرات المدنية المؤجرة.

وتمكنت قوات النقل العسكري التابعة للقوات الجوية الفرنسية من نقل ٤٠٠٠ طن من مواد الإمداد العسكري و ٧٠٠٠ جندي خلال ٦٠٠٠ ساعة طيران وذلك في الفترة ما بين سبتمبر ١٩٩٠ وحتى نهاية يناير ١٩٩١.

واستخدمت القوات الفرنسية طائرات النقل طراز "سي . ١٦٠" و"سي . ١٣٠" و"دي سي . ٨" وبعض الطائرات الصغيرة وطائرات الهليكوبتر لأغراض النقل إلى مسرح العمليات، كما تم استئجار طائرات، مدنية تابعة للخطوط الجوية الفرنسية بما فيها طائرات "بوينج . ٧٤٧" للشحن.

وشاركت في الإسطول الجوي في حرب الخليج طائرات من دول صديقة للولايات المتحدة مثل كوريا الجنوبية واليابان وإيطاليا وبلجيكا.

دروس عديدة مستفادة من حرب الخليج:

يمكن إجمال الدروس المستفادة من حرب تحرير الكويت في مجالات النقل والإمداد والتموين فيما يلي:

سرعة تحرك قوات الإنتشار السريع:

من خبرات حرب الخليج عرفت الولايات المتحدة أنه بإمكانها نشر قوة جوية أمريكية كبيرة الحجم في أي منطقة من العالم خلال أيام، ونشر قوة بحرية خلال أسبوع أو أسبوعين، ونشر قوات طلائع المشاة البحرية بكاملها (٥٠ ألف جندي) بما في ذلك وحداتها البحرية في مدة تتراوح من أسبوعين إلى أربعة أسابيع.

سرعة النقل:

من الدروس المستفادة في حرب الخليج ان الولايات المتحدة أدركت انها بحاجة إلى إيجاد الوسائل لنقل وحدات قواتها المدرعة والميكانيكية بالسرعة المطلوبة باستثناء قوات الإنتشار السريع المكونة من الفرقة ٨٢ المحمولة جواً وفرقة الإقتحام الجوي ١٠١ وفرقة المشاة الميكانيكية ٢٤ حيث أن هذه القوات أمكن نشرها بالسرعة المطلوبة.

فمع بداية عملية "درع الصحراء" حقق الجيش الأمريكي وجوداً مبكراً بقوات تتكون من الفرقة ٨٢ والفرقة ١٠١ المحمولتين جواً، والفرقة الميكانيكية ٢٤ واللواء ١١ مدفعية دفاع جوي، مع وحدة العمليات الخاصة (القوة دلتا).

واستخدمت هذه القوات الدبابات (MIAI M60A3)، ومركبات قتال المشاة المدرعة (M-2) براولي، وناقلات الجند المدرعة، والهاوتزرات المجرورة عيار ١٥٥ مم طراز (M198) والهاوتزرات ذاتية الحركة عيار ١٥٥ مم طراز (M109) والمدفعية الصاروخية طراز (M 109) والمدفعية الصاروخية طراز (MIRS)، ونظم الدفاع الجوي طراز "باتريوت" و"هوك".

أهمية النقل البحري:

شارك في عملية نقل القوات الأمريكية لمنطقة الخليج أكثر من ٢٠٠ سفينة نقل، من بينها ١٢٢ سفينة أمريكية، والباقي تملكه دول غربية أخرى. وقد قامت هذه السفن بنقل حوالي ٩٦٪ من

مستلزمات عملية درع الصحراء ثم عاصفة الصحراء، وذلك قبل يوم ١٥ يناير ١٩٩١م، وهو اليوم الذي حدده مجلس الأمن كفرصة أخيرة للعراق للإنسحاب من الكويت قبل تعرضها لإستخدام القوة ضدها.

وقد قامت السفن أيضاً بنقل العتاد والذخائر من القواعد الأمريكية في أوروبا، بمساعدة سفن الإحتياط الأمريكية.

وقد كانت القوات البحرية الأمريكية محظوظة حيث أمكنها إستخدام الموانئ والأرصفة الحديثة في المملكة العربية السعودية، وهو ما يصعب توفره في مناطق أخرى من العالم.

لعبت القوات البحرية دوراً كبيراً في الحرب، وقد تم نقل ٢,١ مليوني طن من المعدات الحربية والإمدادات بواسطة السفن.

نقل الدبابات:

يمثل نقل الدبابات الثقيلة مثل الدبابة الأمريكية "أم . ١" مشكلة كبيرة عند نقلها ضمن عمليات الإنتشار السريع، وخلال حرب الخليج تم نقل ٢١٣٦ دبابة أمريكية إلى المنطقة، وقام الأسطول الجوي بنقل ٩٢٨ دبابة بينما نقلت باقي الدبابات بحراً.

والطائرة الوحيدة التي يمكنها نقل الدبابة "أم ١" هي الطائرة العملاقة "سي . ٥" ولا تستطيع الطائرة نقل أكثر من دبابة واحدة في الرحلة التي تستغرق في المتوسط أربعة أيام بحساب أوقات الصيانة والراحة.

تخزين قطع الغيار والمقذوفات الحرجة:

إستدعت ظروف "عاصفة الصحراء" توجيهات من وزارة الدفاع الأمريكية حول توفير عدد من قطع الغيار والأجزاء التكميلية الحرجة وخاصة المكونات الإلكترونية، والتي استدعت ظروف استهلاك معدلات مرتفعات منها مثل مقذوفات "سبارو" و"ما فريك" و"تو".

وبالرغم من عدم حدوث قصور من هذه الأصناف في حرب تحرير الكويت، فإن الإتصالات السياسية تمت أكثر من ثلاثين مرة خلال الحرب لتوفير هذه المكونات على وجه السرعة.

وقد صرح هنري كوبر مدير برنامج مبادرة الدفاع الإستراتيجي الأمريكية (حرب النجوم) بأن الولايات المتحدة لم يكن لديها عند إندلاع أزمة الخليج يوم ٢ أغسطس الماضي سوى ٣ صواريخ من طراز باتريوت . ٢ القادرة على إعتراض صواريخ "سكود . بي" العراقية، وقال في تصريحات أدلى بها في واشنطن عقب إجتماع لإحدى لجان مجلس النواب أن الشركة المنتجة قامت بصناعة

المئات من هذه الصواريخ خلال الأشهر الستة التالية لنشوب الأزمة وكانت هناك مخاوف من أن ينفد هذا الرصيد قبل نهاية الحرب.

وكانت صواريخ "باتريوت" قد أسقطت العشرات من الصواريخ العراقية فوق المدن السعودية ولكن أحد الصواريخ قتل ٢٦ جندياً أمريكياً قرب مدينة الظهران السعودية.

ومع نشوب الأزمة بدأت بعض الشركات المخصصة في إنتاج الذخيرة ومعدات الدفاع تزيد من طاقتها الإنتاجية، بعد أن كانت قبل أزمة الخليج، بسبب الأوضاع في أوروبا الشرقية، والإتحاد السوفييتي، قد خفضت من إنتاجها، وبالتالي كانت تعمل بأقل من طاقتها.

ويذكر بعض المحللين أن الجيش الأمريكي في ألمانيا، والذي استعد للذهاب إلى الخليج قد استخدم في أسبوع واحد من الذخيرة الحية على التمارين العسكرية ما كان يكفيه في السابق لمدة عام.

وبدأت بعض المصانع التي تصنع قطع الغيار، للأسلحة والطائرات "تورنادو" تعمل لمدة ٢٤ ساعة يومياً لسد الطلبات المتزايدة.

أيضاً سارعت مصانع إنتاج الملابس الواقية التي نشطت هي الأخرى لتغطية حاجة القوات المتحالفة في منطقة الخليج.

القدرة على تحريك علميات الإمداد:

ظهرت صعوبة تحرك عربات الإمداد التي تحمل ٥٠٠٠ طن من الوقود على الطرق الصحراوية عندما تكون مبللة، والأمر يستدعي تطوير هذه العربات حتى يمكنها كذلك القيام بمهام النجدة والإصلاح١.

الفصل الخامس

الدعاية والإعلام في حرب الخليج

"الواقع والمبالغة"

الإعلام في زمن الحرب١

١-Armed Forces Journal. 3 1991.)

-International Aerospace Review. 1991.

- Defense News, 12/8/91-19/7/91.

- -NATOSSIXEEN NAFIONS. JUNI 1989

تحرير: صالح سليمان

الإعلام الحربي

وقبل أن نخوض في الحديث عن دور الإعلام أثناء أزمة الخليج نود أن نلقي بصيصاً من الضوء حول الإعلام الحربي وأهميته.. فالذي لا شك فيه أن للإعلام في زمن السلم رسالة هامة يؤديها من خلال وسائله المختلفة السمعية والبصرية والمقروءة من تنوير وتثقيف ونشر للأخبار والمعلومات، أو هكذا يجب ان يكون، وتختلف هذه الرسالة بشكل أو بآخر في زمن الحروب حيث يصبح لكل طرف من أطراف الصراع إعلامه أو دعايته الخاصة به والتي تسبق وتساير العمليات العسكرية.. فنجد أن التأثير الايجابي أو السلبي للإعلام يتوقف على نوعية المعلومات والأخبار التي يقدمها للناس فقد يزودهم بأكبر قدر من المعلومات الصحيحة والاخبار الصادقة وقد يقوم بتزويد الناس لأكبر قدر من الأكاذيب والضلالات، كالإعلام الدعائي الذي يعتمد على الخداع والتزييف والإيهام.

وليس غريباً أن يلازم الإعلام بوسائله المختلفة أجهزة وأدوات الحرب الدفاعية والهجومية.. الساخنة والباردة.. لما يقوم به من وظائف خطيرة حتى صار العاملون في وسائل الإعلام والمستخدمون لأجهزته وأدواته يخضعون ضمناً لعمليات التعبئة العامة والاستنفار الشامل، وقد أكد تاريخ الصراع الطويل والمستمر بين الحق والباطل أن للإعلام دوراً هاماً وأساسياً في النجاح وفي الفشل، يسبق دور العمل العسكري في الأهمية وفي التوقيت أيضاً.. كما أكد التاريخ أيضاً ان رجل الإعلام جندي فعال في الحالتين بقدر فعاليته في استخدام سلاحه الإعلامي قبل وأثناء وبعد الحرب[٢].

الإعلام العربي قبل الأزمة

وقبل أن نتحدث عن دور الإعلام الغربي في أزمة الخليج وفي صنع مقدمات الأزمة رأينا ان نعرض بشيء من التفصيل لقضية"مصداقية الإعلام العربي" بوجه عام.. لنرى كيف يتعامل

---

[١] الحرس الوطني . الرياض، العدد ١٠٥، مايو ١٩٩١.

[٢] الحرس الوطني . الرياض، العدد ١٠٥، مايو ١٩٩١.

المواطن العربي مع الإعلام العربي وهل صحيح ما يقال ان العربي بات يصدق كل نبأ يبث خارج حدود أوطانه؟

ففي استفتاء أجرته مجلة "المجلة" في العدد "٤٢٢" الصادر في التاسع من مارس (آذار) عام ١٩٨٨، على عينة من ٣٠٠ شخص من مختلف الشرائح الاجتماعية ومن مختلف البلاد العربية في المغرب ومصر والسعودية ودول المهجر جاءت النتائج مخيبة للآمال بالنسبة الى الإعلام العربي، فمن ناحية المصداقية وجد أن ٤٧٪ من القرّاء يرون ان الإعلام العربي تنقصه الحقيقة، وأن ٧٧٪ من هؤلاء القراء يبحثون عن الحقيقة في الاذاعات الأجنبية، كذلك وجد أن نسبة الـ ٤٧٪ التي ترى ان الحقيقة غائبة في الإعلام العربي، إذا أضف إليها نسبة ٣٥٪ التي ترى أن طرح الإعلام العربي لقضاياه وأخباره ينقصه الأسلوب المناسب، فإن هذه النسبة تصل إلى ٨٢٪.

في حين أن الذين يرون ان الإعلام العربي "مقبول" لا تتعدى نسبتهم ١٨٪.

رأي الإعلاميين

فما رأي خبراء الإعلام في هذه النتائج؟ وهل بالفعل فقد الإعلام العربي مصداقيته في تعامله مع القضايا الداخلية والخارجية؟ السؤال طرحته المجلة بنفس العدد وقد اخترنا بعض هذه الآراء:

يقول الدكتور علي شلش، الكاتب المتخصص في حقل الإعلام:

"المشكلة الأساسية في الإعلام . بشكل عام . هي أنه يحاول باستمرار أن يشكل سير المعلومات وتداولها حسب سياسة الدولة ومصالحها دون أي اعتبار لقاعدة التدفق الطبيعي للمعلومات في عالم نلاحظ فيه ان هذه المعلومات تعتبر الحدود الوطنية بسهولة أكبر من فتح الجيوش الغازية، فحين تحجب المعلومات في أجهزة الإعلام التابعة للدولة فليس معنى هذا قتلها نهائياً لأن المعلومات تتحرك بوسائل متعددة وتكون النتيجة توجه الجمهور إلى وسائل الإعلام الأجنبية لسماع أو قراءة المعلومات المحجوبة وبالتالي تنشأ الإشاعة ويقل الاحساس بمصداقية الإعلام".

"وقد توصل علماء الإعلام المعاصرون في تحليلهم للوسائل الإعلامية إلى نظرية أطلقوا عليها نظرية "الحجاب" أو الحجابة Gatekee Ping Theory وملخص هذه النظرية ان الرسالة الإعلامية تمر من المراسل إلى المتلقي عبر بوابات متعددة وأمام كل بوابة يقف حاجب أو حارس يتدخل في شكل الرسالة ومضمونها حتى تصل في النهاية إلى الجمهور وقد تغير الكثير منها وربما توقفت في الطريق ولا يؤذن لها بالوصول على الإطلاق.. هذه النظرية أصبحت مرتبطة بوسائل الإعلام المعاصرة في كل الأنظمة السياسية المعاصرة بما فيها الأنظمة التي تعترف

صراحة وعملاً بحرية الإعلام وتداول المعلومات، وإذا طبقنا هذه النظرية على الإعلام العربي وجدنا نوعاً من التمادي والمغالاة في وضع الحجاب أمام سير الرسالة الإعلامية".

ويقول محمود عوض: "مأزق الإعلام العربي انه قليلاً ما يهتم بالرأي العام وهو إعلام خطابي تغلب عليه النبرة الحماسية كأسلوب لتوصيل المعلومات لأنه يتوجه للمشاعر وليس العقول وهدفه هو ان يحرز انطباعاً وليس اقتناعاً عند المتلقي وهذا يجعله عاجزاً عن تحقيق أهدافه.. الإعلام الأجنبي استطاع ان يستفيد أكثر بحكم التجربة ويتوجه للعقل أكثر من المشاعر، حتى لو نشأت ضرورة لمخاطبة المشاعر يقدمها في صياغة عقلانية ليصبح أكثر إقناعاً ويبدو أن عصر الخطابة لا يزال مستمراً!".

أما إبراهيم جبر الصحافي السعودي المعروف فيقول: "إن الإعلام العربي ما زال يحبو بخطوات قليلة جداً وهو يعاني نوعاً من التردي في مستواه بشكل عام، على سبيل المثال، صحيح ان بعض المطبوعات الصحفية لم تفقد مصداقيتها لدى القارئ، لكن الإعلام العربي لم يبلغ بعد مرحلة النضج ولعل الأزمات والتحديات التي يواجهها عالمنا العربي أضافت بعداً مهماً لمشكلة المصداقية. أما سبل استعادة هذه المصداقية فتبدأ بالبديهيات وأبسطها اختيار الكفاءات أو العناصر المؤهلة للعمل في الميدان الإعلامي، والصحافي خصوصاً، حيث نجد اليوم ان بعض من يتوجهون بالكلمة المكتوبة إلى القارئ العربي لا يمتلكون المقدرة اللغوية".

وتقول بارعة علم الدين التي تشرف على مؤسسة للخدمات الإعلامية في لندن:

"في الواقع لم تكن مصداقية الإعلام العربي موجودة أو قائمة أساساً بمعناها المتكامل حيث يمكن القول بأنها فقدت أو ضاعت، لقد كانت جنيناً لم يكتمل نموه لتصبح هي وليداً، وفي هذا الإعلام كانت وما زالت تقيد مصداقيتها عدة اعتبارات أهمها عقدنا الاجتماعية والثقافية والسياسية التي تمثل في نهاية المطاف عقدة واحدة، أنا لا أعتقد أن الصحافي العربي كمثال استطاع أن يحقق ذاته وربما تخرج صحافيون كثيرون كانت لديهم طموحات تتعلق بخلق مصداقية حقيقية للإعلام لكن ما إن بدأوا مزاولة العمل حتى اصطدموا بالمؤسسة الصحفية التي اصطدمت هي أيضاً بمؤسسة أكبر".

ويرى علي بحجوب الصحافي المغربي ان صحافتنا في لندن وباريس تبدو وقد بلغت سن الرشد لكنها . كما يقول . لم تستفد من ذلك كما يجب، فالقارئ العربي أصبح واعياً يريد أكثر مما نعطيه الآن وهو متلهف للقراءة المتعمقة التي تتضمن حواراً، أو تفتح له آفاق حوار بحيث يكون هو طرفاً فيه والى جانبه الصحافي والمسؤول.. ولا تكتمل مصداقية الإعلام العربي أو تتحقق في

رأي علي بحجوب الا بإيجاد "ميزان الموضوعية في تسليط الضوء على ما هو إيجابي في عالمنا نحن وما هو سلبي كالمشكلات التي نتخبط فيها وتتطلب المناقشة تمهيداً لمعالجتها".

أما الصحافي اللبناني فؤاد مطر فيقول: "أنا كإعلامي مضى عليه في هذه المهنة أكثر من ربع قرن أقول أن مصداقية الإعلام تتأثر عندما تنحسر أجواء الديمقراطية في التعبير وحرية التعبير، وثقة المواطن بالإعلام العربي لابد أن تتعافى يوماً كما يعتقد فؤاد مطر.

ويؤكد قائلاً: "ولعل القضية التي تحتاج إلى توضيح هي الحرص على الأمن القومي العربي بالشكل الذي ينسجم ويساعد على تحقيق مصداقية الإعلام، فإذا كان هناك خلاف بين دولتين عربيتين يقف الإعلام موقفاً متأنياً جداً في تناوله ولا يضرم النار في الضفة أو تلك، إذا كانت هنالك خلافات داخل النظام الواحد فليس الإعلامي مطالباً على الإطلاق بالإقتراب منها أو تناول شؤونها، وإذا كان الخلاف بين دولة عربية ودولة غير عربية فالمطلوب أن يقف الإعلام مع الطرف العربي".

ويقول الصحافي السعودي محمد التونسي: "الانطباع السائد لدى معظم المهتمين بقضايا الإعلام العربي المحايدين وأولئك المتعاملين مع الرسائل الإعلامية يعطي مؤشراً بعدم ثبات مصداقية الإعلام العربي على الرغم من أن هناك شبه إجماع على تحقيق الإعلام العربي لدرجة عالية من المصداقية في نقله لأحدث ووقائع حرب أكتوبر (تشرين الأول)عام ١٩٧٣، لكن السؤال المطروح هو: ما هو حال الإعلام العربي مع المصداقية منذ ذلك التاريخ وحتى اليوم؟

"وبشكل آخر لماذا تحول معظم المهتمين في الوطن العربي إلى استقاء الأنباء من وكالات الأنباء العالمية ووسائل الإعلام الأجنبية الشهيرة لمعرفة ما يدور في عالمهم العربي وغيره؟ هل ذلك لمجرد فقدان الثقة فيما تبثه وسائل الإعلام العربية بسبب فقدانها لمصداقيتها؟ وغالباً ما يتكون بنعم على مستوى الحوارات الشخصية الدائرة في أوساط القارئ أو المستمع أو المشاهد العربي بما يدور في عالمه والعالم الآخر من حوله، بل كثيراً ما نسمع من المتخصصين في مجال الرصد الإعلامي المنظم بأن المجاملات مثلها مثل العداوات بين الدول والأنظمة في عالمنا العربي تأتي في مقدمة العوامل ذات المساس بمصداقية وسائل إعلامنا في الوطن العربي".

وقد علق الدكتور خليل صابات أستاذ الصحافة بجامعة القاهرة قائلاً:

"إن أسلوب طرح القضايا والمشكلات يختلف بين الإعلام العربي والغربي، الأول يفترض في المتلقي التسليم وهو فرض متفائل أكثر مما ينبغي، في حين أن الإعلام الثاني وهو متعدد يحاول ان يجري حواراً ديمقراطياً بينه وبين المتلقي ويكسبه إلى صفة في أغلب الأحيان، ويوم أن

يتبع العرب في إعلامهم أسلوب الحوار العلمي الموضوعي سوف ينحاز الإعلام الغربي إلى جانبهم لأنه سوف يقتنع بمصداقية إعلامهم".

ويرى عادل مالك معد البرامج في التلفزيونات العربية أن هزيمة ١٩٦٧ لم تكن عسكرية فحسب، فلو حللناها ـ كما يقول ـ لوجدنا من ضمنها هزيمة نفسية وإعلامية. ويضيف قائلاً: "ونذكر بصراحة أنه لم تعط آنذاك المعلومات الصحيحة عما حدث..

بدأت التراكمات. ومعها تعمقت بين أجهزة الإعلام العربي إجمالاً والمواطن العربي أزمة ثقة كانت قائمة بلا شك قبل تلك المرحلة لكن بعض الأجهزة أو الجهات أو المؤسسات انطلق مما حدث في سنة ١٩٦٧ ليأخذ منحى إعلامياً معيناً عمق أيضاً تلك الهوة بين المرجع الإعلامي أياً كان وبين المواطن القارئ والمستمع أو المشاهد..".

وقد اتفقت ثلاثة من الآراء التي عرضتها المجلة على أن ضعف الكفاءات أو تدنيها لدى بعض العاملين في الحقل الإعلامي العربي يشكل أحد أسباب فقدان أو وهن مصداقية هذا الإعلام، الذي يتحمل بالتالي جزءاً من المسؤولية حيال المشكلة.

أزمة الخليج

أولاً: الإعلام ومقدمات الأزمة:

وإذا كان الإعلام العربي مع الأسف قد فقد تقريباً مصداقيته لدى المواطن العربي كما أظهر الاستفتاء الذي أوردناه وكما بينت الآراء التي عرضناها فإن الذي لا يختلف عليه اثنان هو أن الإعلام العربي نتيجة هذه الموروثات من عدم المصداقية وفقدان الثقة ووجود هوة بينه وبين المواطن العربي، قد ساهم بشكل أو بآخر في صنع مقدمات الكارثة التي حلت بمنطقة الخليج في الثاني من أغسطس عام ١٩٩٠م.

فمن ناحية كان للإعلام العربي دوره في إيجاد نظام عربي بلغ من الاهتراء والهشاشة مرحلة الشيخوخة العاجزة عن الفعل، وإذا كانت الشرعية العربية متهالكة قبل الأزمة بفضل التضليل الإعلامي فإن أحداث في إيجاد نظام عربي بلغ من الاهتراء والهشاشة مرحلة الشيخوخة العاجزة عن الفعل، وإذا كانت الشرعية العربية متهالكة قبل الأزمة بفضل التضليل الإعلامي فإن أحداث الخليج أحالت مذهب الشرعية إلى شظايا متناثرة فلم يكن الشارع العربي يعرف في أغلب الأحوال ماذا يجري وراء العناق والقبلات وأناشيد الحب والمؤتمرات التي تنقلها وسائل الإعلام العربية، بينما كانت هناك المؤامرات التي تدبر في الخفاء لطعن الأمة العربية من الظهر.

أما شعارات الوحدة العربية والقومية فلم تكن سوى خيالات وأوهام وكان الإعلام العربي يخاطب العواطف وليس العقول وهو يرفع هذه الشعارات الجوفاء التي كانت هي الهدف والوسيلة في آنٍ واحد بينما تزداد فرقةً وضعفاً وتفككاً.

ومن ناحية أخرى فإن الإعلام العربي لم يكن الا انعكاساً للأوضاع العربية المتردية حيث غلب على الخطاب العربي الرسمي الازدواجية كما يقول الدكتور غالي شكري في مقال له نشرته جريدة صوت الكويت (٢٧ فبراير ١٩٩١) فهذا الخطاب تارة ديني وتارة علمانيين وتارة مع الشارع وتارة مع أقطار بعينها، وهذه الازدواجية كما يراها كانت المقال تضمر ما هو أخطر وهو غياب الرؤية الاستراتيجية القطرية في موازاة غياب الرؤية الاستراتيجية العربية، فهناك نوع من ردود الفعل وتسديد الخانات والبقاء في السلطة ولكن لم تكن هناك إستراتيجية قطرية ذات أهداف بعيدة المدة تقوم على درجة من الثبات القادر على التكيف مع المتغيرات الطارئة في الداخل والخارج.. لقد كان هناك تناقض فاضح بين البرامج المعلنة من ناحية والمعالجات الإنسانية في الخطاب الموجه للاستهلاك المحلي أو العربي أو العالمي من ناحية ثانية أي انه نوع من التضليل المركب كانت تمارسه وسائل الإعلام العربي حتى افتقد المواطن البوصلة التي تهديه وسط العواصف.

الإعلام وصناعة الطاغية:

كما أن الإعلام العربي ساهم بحسن نية أو بسوء نية في صنع طاغية بغداد وتشجيعه على الاستمرار في عتوه وظلمه وقد خرست الألسن العربية سنوات طويلة بينما العالم يرى ويسمع ما كان يجري على أرض العراق من ظلم وبغي ضد الشعب بكل طوائفه وكانت نتيجة هذا الصمت الإعلامي أن امتد طغيان حاكم العراق إلى خارج العراق فدخل في حرب مع جارته إيران باسم الإسلام والعروبة وحماية لما أسماه الإعلام العربي بالبوابة الشرقية من خطر الفرس والمجوس إلى آخر مفردات الإعلام العراقي..؟!

وقد سجل الدكتور حلمي القاعود في كتابه "هتلر الشرق وبلطجي العراق ولص بغداد" الذي صدر عن دار الاعتصام بالقاهرة سبقاً بالإشارة إلى جرائم طاغية العراق التي كان يقترفها طوال ٢٢ عاماً ضد شعب العراق المسلم وفي وقت كانت تتبارى فيه الإقلام المخدوعة والإعلام المأجور بالإشادة بالزعيم الدموي وتعتبره الحارس الأمين على البوابة الشرقية وصانع النصر الأغرّ والفارس الذي سيحرر القدس وفلسطين!

ولا ينبغي ان يفوتنا ان الإعلام العربي كان له دور في صنع الكارثة عندما تبنى في معالجاته الفكر القومي والعلماني وما كان يرفعه من شعارات الوحدة العربية وراية القومية وما

كان من خداع الإعلاميين القوميين والعلمانيين للجماهير العربية.

وفي الفصل الأول من كتابه تناول الدكتور القاعود تحت عنوان: "الطابور الخامس"موقف المثقفين الذين انحازوا للطاغية وأسهموا في صياغته وترسيخه حيث يقول: "لو لم يجد صدام حسين التكريتي مثل هذه الأعداد الضخمة من المثقفين وأشباههم الذين يحضرون مؤتمراته ويصفقون لعبقريته ويمتدحون بطولاته ما استطاع وما جرئ على اقتحام أرض الكويت وتشريد شعبها واغتصاب نسائها".

لقد كان من بين الوسائل العراقية للسيطرة إعلامياً على العقل العربي ما سمي بالاتفاقيات الإعلامية مع بعض الكتّاب وهي اتفاقيات يلتزم فيها البعث العراقي بدعم نشاطهم في إطار ما يسمى بعلاقات والصداقة والتعاون السياسي والإعلامي.

بالإضافة إلى جذب عدد من الصحفيين والإذاعيين والشعراء والفنانين، كل ذلك بهدف التمهيد للزحف البعثي بإبراز صدام كقائد يتحتم أن يقود الوطن العربي من أقصاه إلى أقصاه(٢)

وكان صدام حسين يتابع بنفسه النشاط الإعلامي وتوجهاته ونشاط بعض الإعلاميين والفنانين العرب ويحفظ أسماءهم ويحاول أن يلتقي بهم ويسأل عن مشاكلهم ويحلها.

وكانت الخطط الإعلامية وتنفيذها لسيطرة البعث على المنطقة من مهمة المكتب الثقافي في القادة القومية، وكان طارق عزيز هو المسؤول، يليه وزير الإعلام والثقافة لطيف نصيف جاسم الذي أطيح به في الوزارة العراقية الجديدة بعد هزيمة العراق.

لقد كان حاكم العراق يعتبر أن حزب البعث هو الحزب الوحيد المؤهل لتحقيق أهداف النضال العربي وأن كل الأحزاب والقوى الأخرى في العالم العربي تفتقد الرؤية الصحيحة والفكر الثوري، وأن الزمان لم يجدْ بزعيم مثله!!(٣).

ثانياً: الإعلام العراقي أو الدعاية البعثية:

١) الزيف والكذب:

لقد كان الإعلام الدعائي العراقي قبل الأزمة وأثناءها يجتر الأفكار والشعارات البعثية التي هي في الأصل أفكار مفكر حاقد هو مشيل عفلق.

وإذا كان أهم مصدر من مصادر الإعلامية هو الثبات على المبدأ وعدم التغير السريع في الرسالة الإعلامية ومحتواها فإن الإعلام الدعائي العراقي منذ بداية الأزمة كان يبرر غزوه للكويت بادعاءات مضللة ومن ذلك: القضاء على النظم الرجعية العربية، وتحرير فلسطين وإعادة توزيع الثروات، ولم ينس ان يجعل الجهاد ضد قوى الشر والشيطان ضمن أباطيله.

ولأن التغير والتلوين والكذب فلسفة الإعلام العراقي الدائمة فقد مارس نفس السياسة الإعلامية القائمة على التخبط العجيب أثناء حربه مع إيران فكان يصف دولة إيران بالشعوب الإيرانية، وبالفرس حيناً، وبالمجوس حيناً آخر، ثم عندما غزا الكويت أخذت ابواق العراق تشير إلى الايرانيين والى قادتهم بالاخوة وبالأشقاء الايرانيين ولا ندري كيف تحول المجوس إلى مسلمين؟! وكيف تحول الاجتياح إلى جهاد؟ والسلب والنهب إلى تحقيق للعدالة؟! ولم تستطع الدعاية العراقية ان تقنعنا بأن الطريق لتحرير فلسطين لابد أن يمر بالكويت!

إنه الإعلام العراقي الذي يتلون وفق مزاج طاغية العراق.

ومع أن المتلقي العربي الواعي لم يقع أسيراً لهذه الدعايات الزائفة وأدرك منذ اللحظة الأولى خطورة المؤامرة العراقية التي دبرها لغزو الكويت. وفشلت محاولات الإعلام العراقي لكسب الشارع العربي والاسلامي إلى جانبه.. الا أن المفاهيم المغلوطة التي أراد حاكم العراق من خلال أبواقه ان يفرغها في عقول أبناء الأمة أوجدت بلبلة في الشارع العربي.

٢) الدعاية السوداء:

وفي تحليله لما كان ينشر ويذاع من خلال وسائل الإعلام العراقية قال الخبير الإعلامي العربي حمدي قنديل: لا يمكن أن نطلق على ما كانت تذيعه إذاعة بغداد أو تنشره صحف العراق إعلاماً فقد كانت دعاية بعثية سوداء أرادت أن تجعل الحق باطلاً والباطل حقاً لم نكن نسمع سوى الزيف والكذب والأضاليل ومخاطبة العواطف والغرائز، وأما الوسائل المستخدمة في بث الدعاوي العراقية فقد كانت وسائل متخلفة إلى أبعد الحدود، إن الإعلام العراقي الدعائي لم يكن عنده مصداقية في الأصل لكي نقول انه فقد مصداقيته فما بالنا إذا كان قد تدنى إلى أحط أساليب المخاطبة وهو يرمي الاتهامات يمنة ويسرة ويتهم الناس بما ليس فيهم ويصفهم بأحط الألقاب وأقلها أدباً وهو ما لم نسمعه أو نقرأه في إعلام أو دعاية أي دولة من قبل.

٣) أوهام الإنتصار المزيف:

إن موقف الإعلام العراقي المعبر عن سياسة النظام العراقي لم يكن مستغرباً وهو يمارس الكذب والتضليل منذ بداية الغزو العراقي للكويت. ولكن العجيب ان وسائل الإعلام العراقية ظلت تمارس نفس الكذب والأضاليل حتى بعد أن بدأت عاصفة الصحراء ولاحت في الأفق بوادر الهزيمة المنكرة للجيش العراقي ومرة أخرى حاول الإعلام العراقي الايهام بأن النصر أصبح وشيكاً وأن القوات العراقية تتقدم لتسحق قوات التحالف وأن العدوان الأمريكي يفشل في النيل من القوة العسكرية العراقية.

وحتى بعد أن منيت القوات العراقية بالهزيمة وأعلن العراق استسلامه التام لكل الشروط التي فرضت عليه من قبل المجتمع الدولي ما زالت أبواق الدعاية العراقية غارقة في أوهام الانتصار المزيف.

ومرة أخرى يعود الإعلام العراقي إلى التلون والتغير عندما خرج حاكم العراق على الناس من إذاعة بغداد، بعد انتهاء الحرب وبعد أن وقع على كل شروط الاستسلام، في بيان أذاعه جاء فيه: "أن العراق هو الذي دعا الدول العربية إلى تبني سياسات الاحترام المتبادل أو إلى عدم التدخل في الشؤون الداخلية لأي بلد عربي وعدم استخدام القوة في حل الخلافات".

وكأن رجلاً آخر غيره هو الذي تهدد وتوعد بأنه مستعد للمنازلة الكبرى وبأن معركته في إحراق الكويت وتخريب المدن العربية اسمها (أم المعارك).

يقول إبراهيم سلامة في مقال له نشرته جريدة الشرق الأوسط في عددها الصادر يوم ٢٣ مارس ١٩٩٢:

"إن هذا الكلام لا يتفوه به الا نوعان من البشر أحدهما مجنون رسمي وثانيهما: كذاب عالمي. وصدام حسين كما نشرت مجلة الأكسبرس الفرنسية في عددها الصادر في ١٥ مارس ١٩٩١ مريض بثلاثة أمراض: مرض البارانويا وهو انفصام الشخصية والمرض الثاني: لاتينياً وأعراضه ان المصاب به يكذب ويصدق كذبته ويتصور أن الناس تصدقه.. والمرض الثالث: مرض الشعور بالعظمة وهو مرض منتشر لدى حكام المعسكر الاشتراكي من أمثال فيدل كاسترو وتشاوتشيسكو الروماني وكيم ايل سونج.

٣) نمط إعلامي منحرف:

ويقول الدكتور حلمي محمد القاعود: "إن الانحراف الإعلامي في العراق وانحطاطه التعبيري تذكرنا بمنهج ساد حياتنا الإعلامية بل والفكرية على مدى نصف قرن من الزمان. هذا المنهج اعتمد على الكذب البليغ، أو بلاغه الكذب إن صح التعبير، لخداع الناس وقيادة الشعوب إلى الهاوية السحيقة وهذا المنهج وقف الموقف نفسه عام ١٩٦٧ عندما سقطت القدس والضفة والقطاع وسيناء ودمرت الأسلحة وتشتتت الجيوش العربية، وكانت الأبواق الإعلامية يومئذٍ تعلن بكل صفاقة عن إسقاط أعداد هائلة من الطائرات الإسرائيلية وتدمير أعداد أخرى من الدبابات والمجنزرات".

ثم يصل الدكتور القاعود إلى نتيجة هامة وهي: "ان الأمة الإسلامية ستبقى أضحوكة للأمم في دائرة الخزي والعار طالما ظل هذا النمط الإعلامي المنحرف سائداً في عالمنا العربي لأن هذا

النمط يمثل جريمة بكل المقاييس وهذه الجريمة لا نظير لها في التاريخ باستثناء ما قام به "جوبلز" وزير الدعاية الهتلرية في الحرب العالمية الثانية".(٤).

٥) خطب صدام ولغة الدراويش.

وقد اعتمد الإعلام العراقي على الخطابات السياسية التي كان يخرج بها حاكم العراق بين الحين والآخر.

وعلى الرغم من ضعف ثقة الجماهير العربية في الخطابات السياسية للقادة والعلماء العرب بوجه عام إلا أن الخطاب السياسي العراقي كان في الواقع خطاباً مراوغاً له أكثر من وجه فقد تبنى هذا الخطاب، الصادر عن نظام علماني لم يعرف عنه انطلاقة من رؤى دينية أياً كان اتجاهها، تبنى لغة إسلامية بارزة في محاولة منه لاستمالة الجماهير العربية المتدينة والجماهير الإسلامية بشكل عام(٥). وبدأت المسألة بصدور قرار جمهوري عراقي بنقش عبارة "الله أكبر" على العلم العراقي وظهر الاتجاه الانتهازي واضحاً في خطاب الرئيس العراقي إلى الأمة بتاريخ ١٧ يناير ١٩٩١ والذي استهله كما يلي: "يا محلى النصر بعون الله.. بسم الله الرحمن الرحيم. قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم. صدق الله العظيم".

ثم بدأه هكذا، أيها الشعب العراقي العظيم، يا أبناء امتنا المجيدة، أيها النشامى من قواتنا المسلحة الباسلة، أيها الناس حيثما اشتد عزمكم ضد الباطل وأهله الكافرين وأعوانهم وحلفائهم، في الثانية والنصف من منتصف هذه الليلة ليلة ١٧/١٦ غدر الغادرون فارتكب زميل الشيطان بوش جريمته الغادرة هو والصهيونية المجرمة وابتدأت المنازلة الكبرى في أم المعارك بين الحق المنتصر بعون الله وبين الباطل المندحر إن شاء الله".

وعلق السيد ياسين الخبير بمركز الدراسات الاستراتيجية بالأهرام على خطاب حاكم العراق الذي أورده في مقالة بجريدة الأهرام قائلاً: هذا الخطاب وغيره يكشف بصورة جلية عن تعمد اصطناع لغة دينية واضحة سواء في وصف النفس أو وصف الأعداء أو إثارة الأمجاد الإسلامية القديمة بأسلوب تختلط فيه الأوهام بالحقائق ويتزاوج مع تهويمات غانمة أقرب ما تكون إلى لغة الدراويش منها إلى لغة الصراع السياسي المعاصر والتي عادة ما تكون إلى لغة الدارويش منها إلى لغة الصراع السياسي المعاصر والتي عادة ما تكون واضحة قاطعة ومركزة قادرة على ايصال رسالتها إلى العالم.

ويضيف السيد ياسين قائلاً: "لقد تم الهروب من الواقع من خلال استخدام شبكة معقدة من الصياغات اللفظية والصور البيانية الخالية من أي معنى وانتقلت نفس اللغة إلى البيانات العسكرية

العراقية التي زخرت بالصياغات الدينية وكادت تخلو من الوقائع وفي الوقت الذي كان فيه مئات الضحايا يسقطون من الجانب العراقي نتيجة للغارات الساحقة كان الإعلام العراقي يتحدث عن خسائر العدو الجسيمة وعن الانتصار.. إنها نفس النغمة التي كانت سائدة في حرب ١٩٦٧ وكان بطلها آنذاك "أحمد سعيد" وحتى بعد أن انتهت الحرب نهايتها المأساوية المعروفة أعلن الإعلام العراقي أن العراق قد أنتصر بل ودارت معركة صحفية جانبية في بعض الجهات العربية بين من تجاسروا وقرروا أن العراق قد انهزم بين أولئك الذين ما زالوا وبغير خجل أو حياء يؤكدون أن العراق انتصر.. لقد استطاعت اللغة المغتصبة أن تنشر الوعي الزائف أثناء الأزمة وفعلت فعلها في تخدير الجماهير التي أفاقت على صدمة الحقيقة بعد الهزيمة فساد بين صفوفها اليأس والاحباط"(٦).

ويرى الأستاذ يوسف كامل الخطاب(٧) أن الدعاية التي هاجت وماجت لأكثر من ستة أشهر تؤجج المشاعر وتزيف الحقائق وتخدع العقول ذهبت هباءً منثوراً بإعلان الرئيس العراقي عن انسحابه من الكويت الثلاثاء ٢٦ فبراير ١٩٩١ وإن لم ينس وهو يعلن قرار انسحابه ان يرسخ الوهم في عقول من غررهم بدعايته الزائفة وذلك من خلال تصويره للانسحاب بأنه خطوة تكتيكية طريق جهاده الإسلامي المزعوم!

لقد كانت القوات العراقية تخوض حرباً إعلامية موجهة وليس حرباً عسكرية وهذا ما اتضح من خلال البيانات والقرارات غير الصحيحة لحجم الخسائر والهزائم التي لحقت بقواتها منذ الساعات الأولى سواء داخل بغداد أو في الكويت، وتجربة العراق هذه تقودنا إلى ضرورة الاستفادة قدر الامكان في المستقبل من هذه الأخطاء التي يجب أن نتجاوزها ونتخطاها من أجل تقديم رسالة إعلامية صادقة تحمل الكثير من المعلومات التي يستطيع من خلالها المواطن العربي تكوين وجهة نظر سليمة بعرض وجهات النظر الأخرى وجميع الآراء مكتملة حتى تكون الشعوب على دراية كافية بما يحدث(٨).

٦) إذاعات صدام الموجهة:

إذا كان الشعب العراقي كله أراد له حاكمه ان يعيش معزولاً عن العالم فلا تصل إليه الأخبار أو وجهات النظر الأخرى واصبح لا يسمع ولا يقرا الا إدعاءات حاكمه، فإن العرب خارج العراق يستمعون إلى السموم الإعلامية والادعاءات والأكاذيب الصدامية عبر الاذعات العراقية الموجهة وإن كانت هذه الاذاعات قد تضاءل تأثيرها وسط الحقائق التي اجمعت عليها اذاعات العالم.

تقول فريال أحمد مصطفى رئيسة تحرير الاستماع السياسي في الإذاعة المصرية(٩): "توجد أكثر من إذاعة عراقية توجه إرسالها إلى العالم العراقي العربي بالإضافة إلى إذاعة بغداد الرئيسية وأشهر هذه الاذاعات إذاعة "صوت الجماهير" أما الاذعات العراقية الموجهة إلى العالم العربي والتي لا تعلن عن نفسها فواحدة تحمل اسم "صوت مصر العروبة".. وهي توجه خصيصاً إلى مصر فهي تختفي عند تحسن العلاقات المصرية العراقية وتطفو على السطح عندما تسوء هذه العلاقات لتهاجم السياسة المصرية".

أما الدكتورة جيهان رشتي عميدة كلية الإعلام في القاهرة فقد أكدت بعد الاجتياح العراقي للكويت وقبل أن تبدأ عملية عاصفة العراق قائلة: "إن العراقي في حربه ضد العالم سيحاول أن يستخدم كل إمكانياته الإعلامية للترويج لأفكاره من خلال الاذعات الموجهة، وكذلك الأهم أنه سيحاول التشويش على الاذاعات العالمية الأخرى حتى لا تصل إلى أذن المواطن العراقي ومن أهم الاذاعات العالمية التي تتعرض لسلاح التشويش العراقي إذاعة صوت أمريكا وإذاعة مونت كارلو" وإن كانت عملية التشويش الإعلامي تحتاج إلى تكاليف باهظة كما تقول عميدة إعلام القاهرة.

وأما "جو أوكونيل" مدير الشؤون الخارجية في إذاعة صوت أمريكا: الناطقة باللغة العربية فيقول رداً على سؤال حول كيفية مواجهة تشويش السلطات العراقية للإذاعة والذي مارسته خلال الأزمة: كنا نريد ساعات الإرسال أولاً، وثانياً نغير الموجات من وقت لآخر، وثالثاً نرسل عن طريق قمر صناعي في المنطقة وكل من يملك صحناً فضائياً يستطيع التقاط الإرسال الصوتي لـ "صوت أمريكا" إن تشويش إرسال الأقمار الصناعية ممكن لكنه صعب(١٠).

ثالثاً: الإعلام العربي أثناء الأزمة إعلام الأزمة أم أزمة إعلام؟

إذا كان الإعلام العراقي أو الداعية البعثية قد ملأت آذان العالم بالتصريحات الكاذبة والخطب الزائفة والبيانات المخادعة التي كانت كلها دخاناً في الهواء لم تلبث أن تنقشع، فإن من لفّ لفهم ودار في فلكهم من الإعلاميين العرب، وقد شاركوا في جرعة التآمر ضد الشعوب العربية والإسلامية عندما تبنوا الموقف العراقي ودافعوا عنه باستماتة. ولم لا وقد طلب البعث العراقي أن تؤيد الاجراءات التي قام بها العراقيون في احتلالهم للكويت، فرأينا إذاعات صدام تنطلق من العواصم العربية التي نجح العراقيون في تسخيرها لأهدافهم العدوانية، ووجدن إعلاماً عجيباً يقول اليوم ما نفاه بالأمس ويؤيد في الصباح ما عارضه في المساء ورأينا منظرين في الدعاية السوداء والرمادية التي تشوه الحقيقة أو تخفيها.. المهم أن يظل الإعلام صدامياً، حتى أننا وجدنا بعض

الاذعات التي تتحدث باسم صدام تذيع بيانات مخالفة لما أذاعه العراق فهناك إذاعة من هذه الاذعات قالت إن عدد الطائرات التي أسقطها العراقيون في الحرب ٨٤ طائرة وكانت إذاعة بغداد تزعم في ذلك اليوم أن عدد الطائرات التي أسقطوها ٦٢ طائرة، وإذاعة أخرى تقول إن الصواريخ العراقية من طراز سكود انطلقت من العراق لتصب أهدافها في الرياض وتعود إلى قواعدها سالمة! وإذاعة ثالثة سخرها صدام للنواح على البعثيين الذين يموتون تحت هذه الغارات الجوية المتلاحقة(١١).

وهل يصدق الناس مثل هذه الأقاويل؟

سؤال طرحه أحد الصحافيين الغربيين عن الصحافي عبد الرحمن الراشد رئيس تحرير مجلة "المجلة" وقد أجابه بقوله: إن الذين لا يملكون وسيلة أخرى للمعرفة يعيشون وسط كهف مظلم وهؤلاء قلة لأنه منذ اليوم الذي اخترع فيه راديو الترانزستور والعالم في قرية واحدة.. لقد انتهى عهد الخطر وزمن الوصاية على العالم(١٢).

لقد نجح صدام حسين في استخدام قادة دول التآمر وإعلامهم أقصى استخدام ممكن بالتهديد تارة وبالوعود تارة أخرى ولعب هؤلاء الصداميون دور (رموز الأزمة)، وقام اعلامهم بدور (إعلام الأزمة) وتجار الفكر هناك قاموا بدور (مفكري الأزمة) وشوش هؤلاء على الجماهير العربية والإسلامية التي وقفت بصلابة ضد الاحتلال العراقي للكويت(١٣).

نماذج من السقوط

إن الإعلام العربي المؤيد للعراق على سبيل المثال بكل وسائله قد ناب عن الإعلام العراقي في نقل ما تريده القيادة العراقية من تضليل الرأي العام العالمي والعربي حتى كتب أحد الكتاب الأردنيين المشهورين مقالاً يقول فيه: إن العراق يخوض معركة الأمة العربية يجب ان تثقف معه جماهير الأمة.. المعركة ليست كتلك المعارك الاقليمية والمحدودة التي خاضتها بلدان عربية ضد بلدان عربية أخرى ولكن المعركة هي بين معسكري الكفر والايمان(١٤).

وباستعراض سريع لبعض عناوين المقالات التي ظهرت في أوائل أيام الحرب لبعض الكتاب الاردنيين مثلاً نجد على سبيل المثال:

. الكاتب محمد كعوش يختار عنواناً لمقالته بجريدة "الدستور" " يا محلى النصر بعون الله".

. وفي صحيفة "صوت الشعب" كتب سلامة عكور مقالاً بعنوان "ولاحت بشائر النصر في أم المعارك".

. وكتب خليل خوري في نفس الصحيفة مقالاً بعنوان: "الشرف أقوى من الموت، وحفر الباطن ستكون مقبرة للوحش الأمريكي".

والعجيب في الأمر أن وسائل الإعلام الاردنية كما قال مدير محطة الإذاعة الأردنية لم يكن لها مراسلون أو مندوبون في العراق عند اندلاع الحرب ولكنهم كانوا يعتمدون على البيانات العراقية القليلة والمناسب من أطنان الأخبار الأخرى التي تبثها وسائل ووكالات الأنباء الأجنبية(١٤).

ومثل ذلك فعل إعلام بقية الدول التي ساندت التآمر العراقي على منطقة الخليج.

خبراء الإعلام يتكلمون

انعقدت في القاهرة ندوة عالمية لبحث أثار أزمة الخليج ونتائجها وحجم تأثيرها على التعاون بين الدول الإسلامية والعربية وكان من بين الموضوعات التي تناولتها الندوة دور الإعلام في أزمة الخليج حيث قدمت عدة أبحاث تتناول هذا الدور بالنقد والتقييم.

وقد اجتمع وزراء الإعلام، في كل من مصر وسوريا ودول مجلس التعاون والتنسيق الشامل الجاري لمناقشة وضع عدد من السياسات المتعلقة بدور الإعلام في العمل العربي واجتياز أزمة الخليج.

فماذا قال خبراء الإعلام والكتاب والصحافيون عن مصداقية إعلام دول التحالف أثناء الأزمة؟ وما الحدود التي توقفت عندها مصداقية الإعلام العربي أثناء الأزمة؟

"الكلمة" في مواجهة "الصورة"

لقد كشفت حرب الخليج أن (الصورة" التي تنقلها أجهزة التليفزيون عبر الأقمار الصناعية حلت محل (الكلمة) وأصبحت هي التي تشكل الاتجاهات وتصوغ القلم وتوجه سلوك الملايين.

وكما يقول السيد ياسين بمركز الدراسات السياسية الاستراتيجية بالأهرام(١٥) فإن حرب الخليج كشفت عن أن مجتمعاتنا العاجزة عن أن تعكس صورتها عبر (الصورة) لم تجد أمامها سوى الكلمة تعبر بها عن مواقفها، غير أن هذه الكلمة . كما أثبتت الممارسة في حرب الخليج . كانت عاجزة بدائية ومتخلفة لأنها صنعت بعد اغتصاب عنيف للغة العربية فظهرت وكأنها تعبير ساذج لشعوب لا تفرق بين الحقيقة والحلم ولا بين الأسطورة الواقع.. شعوب تعتقد أن الكلمة بذاتها، خطاباً سياسياً أو بياناً عسكرياً يمكن أن تحل محل الفعل بل هي الفعل ذاته، ويكشف عن ذلك، الخطاب السياسي البائس للقيادة العراقية والبيانات العسكرية التي صدرت أثناء الحرب.

وهكذا وقع المشاهد سواء في الدول الغربية ذاتها أو الدول العربية بين مطرقة الإعلام الغربي الذي كان رمزه البارز محطة سي. ن. ن. الأمريكية التي احتكرت الإعلام عن الحرب ٢٤ ساعة في اليوم، وبين سندان الكلمة العربية العاجزة المتخلفة.

أما حمدي قنديل الخبير العربي باليونسكو فيرى أن الإعلام الغربي بتفوقه في الامكانات المادية قد كشف الإعلام العربي وأظهر تواضعه ومع ذلك فلا نستطيع أن ننكر أن إعلامنا العربي قد استفاد كثيراً من هذا التفوق العلمي ودخل مرغماً ميدان المنافسة في نقل الخبر والقرار، والمتلقي العربي هو الذي أجبر وسائل الإعلام على ذلك حيث كان يبحث عن الوسيلة التي تمده بالمعلومات الصحيحة عن الحرب فكانت حرب الخليج فرصة أمام الإعلام العربي لتحسين الخدمة الإعلامية إلى حد ما.

ونظراً لان جزءاً كبيراً من العالم العربي تنتشر فيه الامية فقد لوحظ اعتماد أكثر الناس على الوسائل السمعية والمرئية.

إعلام ضعيف

ويقسم الدكتور عبد الرحمن الجزائري، بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الإعلام خلال أزمة الخليج إلى قسمين(١٦) هما: الإعلام الإسلامي العربي، والإعلام الإسلامي من غير الدول العربية.

ويذهب في تحليله لدور الإعلام بقسميه إلى أن الإعلام الإسلامي في بلاد العرب قد فقد مصداقيته وذلك من خلال الوسيلة والمضمون فمن حيث الوسيلة نجد أن أزمة الخليج كشفت التفوق الإعلامي الغربي فقد رأينا تطوراً سريعاً ومذهلاً في نقل المعلومات الميدانية عبر إحدى وسائل التغطية الإعلامية مما دعم ثقة العرب بالإعلام الغربي وبات هو مصدر الأنباء التي يتابعها القارئ والمستمع بصورة مستديمة، ومن حيث المضمون فكلنا شاهدنا . كما يقول الدكتور عبد الرحمن الجزائري . الشرخ الذي أوقعه هجوم طاغية بغداد على الكويت من جرح عميق في نفوس الأمة الإسلامية والعربية، فرأينا . من جانب . أبواق الدعاية الدائرة في فلك العلمانية والاشتراكية والتي أيدت العدوان العراقي مما أفقدها مصداقيتها؛ ورأينا . من جانب آخر . الإعلام الذي تبنى فكرة الدفاع عن الكويت وقضية الخليج، وقد أعرض المستمع إلى حد كبير عن هذه الوسائل.

ثغرات واسعة

محمد البرجس، الصحافي بجريدة "السياسة" الكويتية، قال: إن أزمة الكويت كشفت عن ثغرات واسعة في الإعلام الخليجي بوجه خاص ساهمت في إتاحة الفرصة للاعلام العراقي بالتفوق فترة من الوقت بأضاليله وأكاذيبه، هذا التفوق المؤقت لاحظناه في وجود صدى للافتراءات والأباطيل التي كان يعلنها ذلك الإعلام والذي تمكن أيضاً من أن يوظف له أبواقاً في أماكن عديدة مقابل شراء ضمائر أصحاب تلك الأبواق.

واشار البرجس إلى ان الإعلام قد بدأ متأخرا في تطويق استفحال انتشار المزاعم العراقية ولهذا ساهم التحرك الخليجي في تحويل التحرك الاعلامي العراقي إلى تحرك موجع بعد أن كاد يتحول لتحرك قاتل واستطاع الإعلام الخليجي ان يعري بعض الاقلام العربية من ورقة التوت التي كانت تستر عورتها واثبت أبناء الخليج أنهم غير عاجزين عن قيادة دفة اعلامهم نحو المزيد من الابداع(١٧).

مبالغات اعلامية

وقال الأستاذ عثمان العمير رئيس تحرير جريدة "الشرق الأوسط" وهو يدافع عن المبالغة التي اعتمدتها صحيفة "الظهيرة" في عرض عناوينها ونشر اخبارها خلال الحرب: "يجب أن يكون في ذهننا . وهذا أمر معروف . أن هناك في الإعلام ما يسمى الإعلام الحربي، "والظهيرة" كانت جزءاً من هذا الإعلام، خصوصاً وأنها خرجت مع الحرب وبسبب الحرب.

"وكلنا يعلم أن هناك مبالغات حصلت ليس من "الظهيرة" وحدها بل في وسائل إعلامية عريقة اكتشفت خطأ مبالغتها واعترفت به وهذه نقطة إيجابية تحسب لها لا ضدها".

ثم يقول: "إن قارئنا العربي مع الأسف، ولإيمانه بالحرف، لا يريد ان يفرق بين أنواع الحروف وبالتالي أنواع الصحف، ونظرة معظم القراء العرب إلى الإعلام تتبع مقولة "سمك لبن تمر هندي"(١٨).

إعلامنا العاطفي

ويرى الدكتور خليل صابات، أستاذ الإعلام في جامعة القاهرة: أن العاطفة تلعب دوراً كبيراً في توجهات اعلامنا العربي وبالتالي تفاوتت مصداقيته وأصبحنا لا نستطيع أن نعمم صفة المصداقية أو أن نكتسبها حيث أن لنا تجارب سابقة حتى قبل حرب الخليج، وفي مسألة حرب الخليج حدث اختراق هائل لهذه المصداقية ليس من جانبنا فقط بل إن دول التحالف لجأت، في بعض الأحيان، إلى بث ونشر أخبار غير صحيحة كانت تهدف إلى خدمتها وضمان تفوقها في سير المعارك لصالحها وإن كانت ليس بالقدر الكبير الذي ذهب إليه الإعلام العراقي وإعلام بعض

الدول المؤيدة له فبعض هذه الأخيرة خرجت عن الحد المعقول أو المسموح به عالمياً ولذلك فقدت مصداقيتها قبل انتهاء اليوم الأول لـ "عاصفة الصحراء"(١٩).

الحرب خدعة

عاب الكثيرون على الإعلام العربي أو إعلام دول التحالف إذاعته ونشره لكثير من الأخبار المكذوبة مثل اغتيال صدام حسين أو حدوث انقلاب في الجيش وفرار عدة آلاف من الجنود العراقيين إلى الحدود التركية وهروب عزة إبراهيم وعدي من العراق..

فلماذا اتخذ الإعلام هذا المنحى؟ وهل خدم المعركة وسير عملياتها والرأي العام؟

يقول سعد لبيب خبير الإعلام العربي: إننا يجب أن نعترف صراحة أن كلا الجانبين قد وظفوا وسائل الإعلام لخدمة أهدافهم العسكرية وهذا ليس بجديد على التخطيط العسكري وإن كان الجانب الكبير من تلك الأخبار الكاذبة والمبالغ فيها، يُبث ليل نهار من جانب القوات العراقية.

وقال مرسي عطاالله رئيس الأهرام المسائي "دائماً في الحرب إياك ان تتصور أن هناك أي طرف في المعركة ممكن ان يقول الحقيقة مهما بغلت مصداقيته، أو يذيع كل ما لديه من معلومات وحقائق، فالحرب خدعة وأظن أننا عايشنا نوعية هائلة من هذه الأخبار التي كانت تهدف إلى بث روح الاستسلام في قلوب الجنود العراقيين وإضعاف قدراتهم القتالية(٢٠).

وفي المعركة الكبرى لابد أن يكون هناك قدر من اللعب بالأخبار من كلا الطرفين المتصارعين أو هكذا يرى بهي الدين شعيب رئيس الشبكة الاخبارية في الإذاعة المصرية الذي يضف قائلاً: ومن هنا فالأخبار الكذابة كان من السهل تمييزها فالقوات المشتركة لم تكن بحاجة إلى الكذب كما أن الجانب العراقي كان بحالة سيئة، لكن عملية الأخبار التي تتسلل هنا وهناك حول المعارك كانت معروفة أما المعركة فقد كانت سريعة وحاسمة فكنا ننقل كل ما يصدر عن الجانبين من الأخبار عن مسؤولية صاحبه(٢١).

الإعلام السعودي والمصري والدور الايجابي

لا شك ان المعالجة الإعلامية التي قدمتها وسائل الإعلام السعودية والمصرية خلال الأزمة، قد ارتفعت إلى مستوى القرار السياسي لدى الدولتين، الذي اتصف بالحكمة والعقلانية في معاجلة الأزمة منذ ان بدأت وحتى وضعت الحرب أوزارها وبعد التحرير.

فإذا كان حجم الأخبار المكذوبة التي ظهرت وأذيعت من الجانبين أثناء عمليات الصحراء كبيراً، وإذا كانت نسبتها لدى العراق أكثر من مثيلتها عند قوات التحالف، فإنه بعد دخول المعركة مرحلة الحسم النهائي عرف الجميع الحقيقة وخسر العراق إعلامه كما خسر قواته، وهذا خلق

انطباعاً لدى الغرب في تزعزع الإعلام العربي وفقدان مصداقيته وأصبحنا نحتاج إلى عدة سنوات طويلة حتى ننفي هذه الصفة عنا، وإن كان هذا لا ينفي الدور الايجابي للاعلام السعودي والمصري في نقل الحقيقة وهذا يحسب لنا لا علينا(٢٢).

وقد حرصت السلطات السعودية على اعتماد المصداقية التامة عند الإعلان عن المواقف والأحداث للرأي العام ومن هنا يأتي التصريح الذي أدلى به الأمير سلطان بن عبد العزيز النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع والطيران والمفتش العام حول ما نشر عن لجوء طيارين عراقيين إلى السعودية، من أبرز المواقف الدالة على هذا المنهاج، فقد طلعت بعض الصحف العربية والأجنبية الصادرة في ١٩٩١/١/٨ بنبأ عزت مصادرة إلى وزارة الدفاع الأمريكية عن لجوء قادة ست طائرات عسكرية عراقية مع طائراتهم إلى السعودية بعد هبوطهم في مطار شرق السعودية.

وقد نفى الأمير سلطان بن عبد العزيز في اليوم نفسه هذا الخبر نفياً قاطعاً ووصفه بأنه لا صحة له من أساسه جملة وتفصيلاً وجاء ذلك ضمن إجابات الأمير سلطان عن أسئلة الصحافيين عقب رعاية حفل تخريج الدفعة التاسعة والثلاثين من كلية الملك فيصل الجوية في الرياض(٢٣)

كذلك حدث الشيء نفسه لما أذيع خبر قبل بداية "عاصفة الصحراء" عن لجوء عدد من الدبابات العراقية وأطقمها إلى المملكة العربية؛ إذ نفت المملكة ذلك ضاربة المثل في الدقة والمصداقية.

وفي تصريح لوزير الإعلام الكويتي، الدكتور بدر جاسم اليعقوب نشرته جريدة الرياض الصادرة في ١٠ أبريل ١٩٩١ قال: إن الإعلام الكويتي وبمساعدة الإعلام السعودي وبقية إعلام دول الخليج العربي استطاع أن يفشل ممارسة الإعلام العراقي لطمس الحقوق الكويتية.

وأشار إلى أن دول التعاون قدمت للكويت خلال فترة الغزو وبعد التحرير مساعدات تفوق الوصف ووضعت جميع إمكاناتها الإعلامية تحت تصرف الإعلام الكويتي وهذا نوع من أنواع التعاون الذي بدأ مع الغزو. وعليه فإذا كانت الاتفاقات صالحة في مرحلة من المراحل فقد حان الوقت لكي تتدعم وتتشكل نواة صلبة لتعاون إعلامي موحد في العالم بالنسبة لدول الخليج العربي وبقية الدول العربية.

مصداقية مائة في المائة

من الوجوه التي ألفها مشاهدو التلفزيون في العالم العربي ودول أوروبا وأمريكا أثناء عاصفة الصحراء وجه العقيد الركن أحمد الربيعان المتحدث العسكري الرسمي للقوات المشتركة الذي كان

يطالع المشاهدين مساء كل يوم عبر قنوات التلفزيون الصناعية ليقدم للعالم حصيلة من أخبار المعارك الدائرة ونجح في ذلك نجاحاً كبيراً.

وحول مصداقية الإعلام السعودي قال الربيعان: برغم أن هذه التجربة جديدة بالنسبة للاعلام السعودي فقد تمكن من اجتيازها وحقق نجاحاً كبيراً لمسه الجميع.

وأضاف قائلاً: حسب توجيهات صاحب السمو الملكي قائد القوات المشتركة ومسرح العمليات فإن المصداقية في البيانات العسكرية كانت أمراً حتمياً لدرجة أننا اضطررنا إلى تأجيل أو حذف بعض الأخبار لكونها غير مؤكدة بنسبة ١٠٠٪، والهدف من ذلك هو المحافظة على ثقة كافة القراء والمشاهدين والمستمعين في أرجاء المعمورة وتمشياً مع سياسة حكومة خادم الحرمين الشريفين التي تحرص على مراعاة هذا الجانب في جميع وسائل الإعلام.

ومن خلال تعامله مع عدد من الصحافيين العرب في إطار المؤتمرات الصحافية التي كان يعقدها يقول العقيد الربيعان: إن الأخوة الصحافيين العرب أظهروا حماساً منقطع النظير في متابعة الأخبار ونقلها إلى المواطنين، كما أظهروا الكثير من الصبر على نواحي تقصيرها وكانوا يتعاونون معنا إلى أبعد الحدود وإن كان هناك مآخذ فهي في ناحيتين:

الأولى: عدم الاختصاص في التغطية العسكرية حيث أن المراسلين الأجانب إما أنهم من العسكريين المتقاعدين أو أن لديهم دورات تثقيفية في هذا المجال أو تجربة سابقة من خلال المشاركة في تغطية حروب سابقة.

والناحية الثانية: وهذه لا تنطبق إلا على عدد محدود من الصحافيين العرب وهي إلقاء الصحافي محاضرة قصيرة قبل السؤال إما لمحاولة نقل وجهة نظر معينة من خلال المؤتمر أو حماس صادق يشكر عليه(٢٤).

الصراحة والوضوح

وإذا تحدثنا عن نماذج عديدة لمصداقية الإعلام فلننظر إلى الإعلام المصري أثناء الأزمة حيث كان هناك توازن للبيئة الإعلامية في مصر وكان هناك تعدد للمنابر والمصادر حيث وُجدت إذاعات وصحف تتبنى وجهة النظر الشرعية للحكومة، كما وُجدت صحف تابعة للأحزاب المصرية تتبنى الرأي المضاد وتعبر عن وجهات نظر مختلفة عن رأي الأغلبية.

ويؤكد مرسي عطاالله رئيس تحرير الأهرام المسائية ما ذهب إليه سعد لبيب الخبير الاعلامي فيقول: إذا كان هناك نفر قليل يرون أن الإعلام العربي خلال أزمة الخليج قد فقد مصداقيته فهذا قول خاص إذ لاحظ الكثيرون ولأول مرة أن الإعلام العربي قدم صورة في منتهى الوضوح

والصراحة فالاعلام المصري بوجه خاص كانت مصداقيته واضحة منذ اللحظة الأولى للغزو العراقي حيث خرجت الأهرام صبيحة الغزو تقول: "إن ما حدث هو كارثة عربية مفرغة" وكان هذا خطنا منذ البداية حتى قبل أن تتضح الصورة للموقف المصري الرسمي من الغزو واستطعنا بهذا الموقف أن نقف ضد كل المغريات العراقية في ذلك الوقت من ترغيب وترهيب، حتى تبعتنا في هذا كل وسال الإعلام المصرية الأخرى بعد أن أدرك الجميع منذ البداية صدق توجهنا واستطعنا من خلال هذا الموقف المتزن أن نعبر عن نبض الشارع المصري فارتفع توزيع الصحف ارتفاعاً لم تشهده مصر من قبل(٢٥).

صحافة المهجر واللعب على الحبلين

منذ سنوات طويلة خرجت بعض الصحف العربية مهاجرة من أوطانها لأسباب كثيرة كان أهمها البحث عن مكان آمن تستطيع ان تمارس فيه حريتها، مع أن هذا الهدف كان مجرد واجهة، كما أعلن أصحاب الصحف المهاجرة أنفسهم بعد ذلك حيث قيدت الصحف بقيود أشد وأنكى ومنها قيد الارهاب وقيد الاعتمادات المالية اللازمة!

وقد كان لصحف المهجر موقف في أزمة الخليج تراوح بين الاعتدال والموضوعية وبين التحيز الكامل إلى جانب العراق:

فقد استطاع حاكم العراق أن يوقع الكثير من صحف المهجر بين شقي رحى فأصبحت تعيش إما تحت سيف المال وإما تحت سيف القتل والإرهاب(٢٦).

ومن الصحف التي كانت متحيزة بالكامل لموقف العراق مجلة "الوطن العربي" التي تصدر في باريس. وقد صُدرت بعد دخول القوات العراقية الكويت بغلاف أشبه بمنشور جاء فيه "لبيك يا صدام لبيك".

ولكن المجلة غيرت موقفها في العدد التالي.

وقد كان رئيس تحريرها الأستاذ وليد أبو ظهر شجاعاً عندما كتب رسالة مفتوحة إلى صدام حسين يحمله فيها مسؤولية ما حدث وأنه وحده الذي يتحتم عليه إنقاذ الموقف من الانهيار بالرغم من اعترافه بفضل صدام عليه وعلى مجلته.

وعن هذا التغير يقول مدير تحرير الوطن العربي السابق: لقد انعدمت القيم والمفاهيم بالنسبة إلى كثير من الناشرين وتحول آخرون إلى موظفين في دوائر رسمية يتلقون تعليمات وأمرك يا بيه وانشغل قسم آخر في البحث عن مصادر تمويل حتى لو أدى به الأمر إلى اللعب على الحبلين

وإصدار طبعتين متناقضتين للعدد الواحد كما فعلت مطبوعة "شيحان" الأردنية و"المحرر" باريس العدد ٢١٢٧/١٠/١٩٩٠(٢٧).

وهناك مجالات عديدة توقفت مثل "كل العرب" في باريس و"اليوم السابع" و"الدستور" في لندن، وغيرها ممن كانت أدوات إعلامية للتضليل العراقي.

الإعلام الكويتي المهجَّر

وإذا كنا نتحدث عن الصحافة المهاجرة التي تركت أوطانها راغبة، فإن الصحافة الكويتية والاعلام الكويتي قد مثّلا دور الإعلام المهجر طوال الأزمة، حيث اضطرا إلى ترك الوطن مرغمين بعد الاجتياح العراقي للكويت.. فعندما استيقظ أهل الكويت قبل فجر الثاني من أغسطس على أصوات المدافع وطلقات البنادق لتصبح الكويت أسيرة وليصبح الكويتيون أسرى ولاجئين، أراد حاكم العراق ان يكون من بين أسراه وسائل الإعلام الكويتية من صحف وإذاعة ومجلات وغيرها ليستخدم هذه الوسائل أبواقاً لتمرير غزوه وتبريره أمام العالم، غير أن الكثير من وسائل الإعلام الكويتية فضلت الاحتجاب عن المهانة بينما استطاع البعض الآخر في أن يستمر في رسالته الإعلامية من خارج الكويت ومن هذه الصحف (السياسة) و (الأنباء) وقد انضمت إليها صحيفة جديدة وهي "صوت الكويت" التي كانت تصدر من لندن.

وقد استطاع الإعلام الكويتي المهجر وبمساعدة من الإعلام السعودي وبقية إعلام الخليج العربي أن يفشّل ممارسة الإعلام العراقي في طمس الحقوق الكويتية كما أعلن وزير الإعلام الكويتي.

رابعاً: الإعلام الدولي

١ . التفوق التكنولوجي:

لم يحدث أن نال حدث عالمي تغطية إعلامية بهذه الكثافة والسرعة والتركيز والتفوق التكنولوجي مثلما غطيت أزمة الخليج.

فغزو الولايات المتحدة لبنما غطي بكثافة شديدة ولكنه لم يستمر سوى عدة أيام. وتظاهرت الطلاب في الصين غطاها الإعلام الأمريكي كثيراً ولكن الحكومة الصينية طردت عدداً كبيراً من الصحافيين الأجانب، وحددت تحركات آخرين. وانهيار الأنظمة الشيوعية في شرق أوروبا، كانت التغطية الإعلامية له متفوقة. حتى حرب فيتنام واشتراك القوات الأمريكية فيها (١٩٦٤.١٩٧٢) لم تُغَطَّ بكثافة مثل تغطية الأحداث الناجمة عن غزو العراق للكويت.

ويمكن القول إن تغطية شهور لتلك الأحداث تساوي تغطية كل سنوات حرب فيتنام، هذا بالإضافة إلى أن أحداث فيتنام كانت محصورة في منطقة معينة لكن أحداث الخليج خلقت أنباء وتطورات ربما في كل عواصم العالم، حتى الحرب العالمية الثانية لم يغطها الإعلام كما كان يغطي الأحداث الناتجة عن الجريمة العراقية، فتلك كانت سنوات ما قبل التلفزيون والأقمار الصناعية والكمبيوتر(٢٨).

وبالإضافة إلى عنصر الكثافة والاستمرارية في تغطية أزمة الخليج كان هناك عامل السرعة الذي أوجد ما يشبه الحرب بين شبكات التلفزيون العالمية، فمنذ بدأت الأزمة كانت هناك أربع شبكات للتلفزيون الأمريكي وهي (سي. أن. أن) و(أي. بي. سي)، و(سي. بي. أس) و(أن. بي. سي) وإذا كانت شبكة الـ (سي. أن. أن) صاحبة التغطية الأولى بين شبكات التلفزيون الأمريكية والعالمية فقد قدمت الشبكات الأخرى، كل بطريقتها، تغطية اعلامية شاملة، بينما كانت أجواء الحرب تخيم على منطقة الخليج.

أما القناة الفرنسية الثانية التي هي محطة تلفزيون حكومية، فقد حرصت . كما يقول (بيار سيرا) المعلق الدبلوماسي في القناة . منذ الأيام الأولى للأزمة أن تكون موجودة في كل البلدان المعنية في المنطقة فأوفدت فرقاً إلى كل من السعودية والعراق والأردن ومصر وذلك عملاً بمبدأ التوازن في تغطية الأحداث(٢٩).

وكانت وكالة "جاما" الصحفية من بين وكالات الأنباء العالمية التي تسابقت لتغطية أحداث الخليج منذ وقوعها. وحول طرق العمل خلال شهر أغسطس (آب) الذي وقعت فيه الأزمة يقول السيد مندي بيرو رئيس تحرير الوكالة: "نحن هنا في الوكالة نعمل طوال أيام السنة بحيث يكون لدينا دائماً حتى في أيام العطل فريق من المصورين المستعدين للسفر والعمل في كل مكان في العالم.. وعندما غزا العراق الكويت في الثاني من شهر أغسطس بادرنا فوراً إلى وضع خطة تحرك سريعة تقتضي إرسال أكبر عدد ممكن من المصورين إلى بلدان منطقة الشرق الأوسط وتوفير أوسع تغطية ممكنة للأحداث المتلاحقة فيها. وبعد وقت قصير كان مصورونا متواجدين في الظهران، وعمان وجيبوتي وتركيا وطهران وقد حاولنا أقصى جهدنا إرسال مصورين إلى العراق والكويت بصفة خاصة للاطلاع على ما يحدث فيها بعد اجتياحها لأسباب غير معروفة وغير مقبولة في نظرنا(٣٠).

أول حرب متلفزة في التاريخ

إن السرعة والكثافة اللتين تمت بهما تغطية أزمة الخليج من جانب الإعلام الغربي قد أظهرتا جانباً من التفوق التكنولوجي المذهل للاعلام الغربي، أما الجانب الآخر لهذا التفوق فقد أظهرته وكشفته حرب الخليج أو حرب تحرير الكويت حيث كان لدول الغرب والولايات المتحدة الباع الطولى ليس في مجال التسليح العسكري فقط وإنما في مجال الاتصالات الإعلامية.

لقد حلّت (الصورة) التي تنقلها أجهزة التلفزيون عبر الأقمار الصناعية في هذه الحرب محل الكلمة أو تفوقت عليها، الأمر الذي جعل بعض خبراء الإعلام يطلقون على حرب الخليج بأنها حرب التلفزيون لأنها . على حد رأيهم . أول حرب ينقلها التلفزيون نقلاً مباشرا في التاريخ ويبدو أننا . كما يقول بعض علماء الاجتماع . أصبحنا نعيش في مجتمع (الفرجة)!

وحول التفوق التكنولوجي الذي أظهرته حرب الخليج يقول حمدي قنديل خبير. الإعلام العربي: إن تكنولوجيا الاتصالات هي التي أبرزت تكنولوجيا السلاح، فحرب الخليج تعد بكل المقاييس الإعلامية أول حرب تلفزيونية في التاريخ. وكانت الحرب الأولى التي تابعها التلفزيون متابعة دقيقة هي حرب فيتنام ولكن حرب الخليج كانت تشاهد على الهواء مباشرة ولم يعتمد على تسجيلها ثم إذاعتها فيما بعد كما حدث بالنسبة لحرب فيتنام، فقد احتكرت الصورة المسرح تماماً في الحرب الإعلامية المصاحبة لأزمة الخليج.

ويضيف حميد قنديل قائلاً: ويرجع التفوق التكنولوجي في مجال الإعلام وخاصة في مجال استخدام الصورة إلى نوعين من التكنولوجيا:

الأول: أقمار اتصالات الفضاء.

الثاني: محطات الإرسال المحمولة والمتنقلة.

لقد كانت هذه هي المرة الأولى التي يتواجد فيها مراسلوا أجهزة التلفزيون العالمية في أرض المعركة مستخدمين في ذلك سيارات صغيرة مجهزة كمحطات إرسال تتحرك في كل مكان وترسل رسائلها باستخدام الطبق الهوائي. وهذه الأطباق المحمولة على السيارات لم تكن معروفة من قبل حيث كان الأمر مقصوراً على استخدام المحطات الأرضية للاتصال بالاقمار الصناعية وهي المحطات التي يصل قطر الطبق فيها إلى خمسة أمتار في وقت كانت تمثل فيه تكنولوجيا متقدمة، بينما نجد المحطات المستخدمة في حرب الخليج صغيرة لا يزيد قطر القرص الواحد عن ١٨٠ سم أو ٢٠٠ سم على الأكثر.

ونظراً للتزاوج بين تكنولوجيا الأقمار الصناعية ومحطات الإرسال المتنقلة، استطاع مشاهدوا التلفزيون في العالم أن يتابعوا أخبار حرب تحرير الكويت أولاً بأول، وكان للصورة الكلمة الأولى في سابقة إعلامية لم يشهدها أحد من قبل.

محطة الـ ٢٤ ساعة

كانت محطة الـ سي. إن. إن الأمريكية هي الوجه الأبرز للاعلام الغربي حيث أنها احتكرت الإعلام عن الحرب أربعاً وعشرين ساعة في اليوم وقد أدت التغطية الاعلامية لهذه المحطة إلى صرف الناس إلى حد كبير عن متابعة أخبار الحرب من خلال الوسائل الاعلامية الأخرى حتى ان أحد الكتاب كتب يقول: لقد كادت تلك المحطة النشطة تنسينا محطاتنا الأخرى وأوشكت ان تنسينا لغتنا الأم من كثرة مشاهدتها لها وكاد المشاهد الذي أدمن مشاهدة تلك القناة أن يصاب بخيبة أمل عندما انسحب من الساحة(٣١).

وإذا كانت محطة الـ سي. إن. إن. موجودة منذ عدة سنوات فإنها لم تكن بهذا الانتشار الذي شهدناه في الحرب الأخيرة حيث كان الاشتراك فيها . كما يقول حمدي قنديل . طفيفاً وكان أغلبها موجوداً في الفنادق العالمية الكبرى وقد بدأ في السنوات الأخيرة التي يستقبلها المشاهد سواء كان الإفراد في منازلهم أو بواسطة الشبكات الخاصة الموجودة في المدن.

وبما ان طبيعة المادة التي كانت تقدمها محطة الـ سي. إن. إن. هي الأخبار فقط فقد نشرت المحطة أكبر عدد لها منذ قيامها من المراسلين استوعبوا منطقة الشرق الأوسط بالكامل وكان المراسل الوحيد الذي يعمل في بغداد والذي سمحت له السلطات العراقية بالبقاء هو مراسل محطة الـ سي. إن. إن. وقد استفادت المحطة أكثر من غيرها في مجال استخدام محطة الارسال المتنقلة.

"**حرب الإذاعات**"

لم تستطع محطات التلفزيون العالمي رغم تفوقها في مجال "الصورة" ان تلغي وجود محطات الإذاعة بل على العكس كان هناك تنافس بين محطات الإذاعة ومحطات التلفزيون من ناحية وبين محطات الإذاعة ذاتها، من ناحية أخرى. وإذا كان التفوق بالصورة في جانب التلفزيون فإن الإذاعات كسبت الجولات التي كانت فيها الكلمة للتحليل والتعليق.. كما أن الإذاعة تولت مهمة ما كانت الصحف تعجز عن القيام بها مستخدمة في ذلك عنصر السرعة وكانت حرب الإذاعات هي واجهة لحرب إعلامية شاملة. وقد كتب تركي عبد الله السديري في زاوية (لقاء) بجريدة "الرياض" الصادرة في ١٩٩١/٤/٩ بهذا الخصوص يقول: "... وقد أبدى الإذاعيون براعة قصرت عنها أجهزة الإعلام الأخرى حيث كان المذيعون يتسللون بمهارة يمكنهم تقديم رأي إذاعي ملفت للنظر".

لقد بلغت مهارة الاذاعيين ذروتها عندما قدم المذيع في متابعة تحليلية من واشنطن صوت خطيب ديني في الأردن يعلن صب الويلات على رأس أمريكا ثم أعقبه بآراء مضادة تنصف أمريكا عبر وجهات نظر أخرى.

ويضيف قائلاً: "في حرب الخليج لم يكن هناك أحد يستمع إلى الإذعات الموجهة الأخرى الرسمية التقليدية وإنما كان هناك عند الناس تعطش لمتابعة الحقائق فكانوا يتابعون مؤشر الراديو بمهارة تذوقية ونقدية مماثلة حيث يجمعون الحقيقة الواحدة من أكثر من مصدر قد يأتي ربعها من إذاعة واشنطن والربع الثاني من لندن والثالث من القاهرة والباقي يرد عرضاً في إذاعة موناكو...".

وفي الوقت الذي وجدنا فيه الإذاعات الأجنبية تجدد وتبذل قصارى الجهد في البحث عن الجديد من أخبار الحرب في نموذج . حرفي . يحتذى كنا لا نسمع من إذاعة بغداد والإذاعات (الصدامية) في دول التآمر سوى البذائات والشتائم المقرونة بالكذب والتضليل. وبطبيعة الحال فلم يكن لدى مثل هذه الإذاعات سوى هذه البضاعة تقدمها فهي لا تعبر إلا عن نظم أفلست فكرياً ودينياً.

سقوط الـ (بي بي سي)

اجتذبت الإذاعات العالمية جمهوراً كبيراً كانوا يحرصون على متابعة حرب الخليج من خلالها هرباً من الإذاعات العربية التي تفاوت موقفها بين الموقف الرسمي الحذر دائماً في تقديم الأخبار وبين الموقف المتآمر الذي يذيع المغالطات العراقية التي مجها العقل العربي بشكل واضح. وفي كل الاحوال، فإن اهتمام الناس بمتابعة أخبار الحرب من خلال الراديو أدى إلى رواج أجهزة الراديو ونفادها من الأسواق.

وكما يقول تركي السديري في تحليله فإن رجل الشارع استطاع نظراً لمتابعته الدائمة للإذاعات ان يصنف الإذاعات فهي أما متعاطفة مع محور كذا لأن مذيعيها ينتمون إلى دول كذا وكذا، أو إذاعات أخرى تتخذ موقف تأييد لطرف آخر.

وقد كانت إذاعة لندن على سبيل المثال من الإذاعات التي يتابع الناس أخبار الحرب من خلالها وهي الإذاعة التي تتفق عليها وزارة الخارجية وإن كانت الوزارة لا تسير سياسييها . كما يعلن أصحابها . فالإذاعة هيئة عامة مستقلة تمارس حريتها في نقل ما تراه في صالح المستمعين.

ولكن يبدو أن حرب تحرير الكويت قد كشفت ما كان مستوراً بما كان يظنه الناس حياداً طول الوقت فقد اتضح ان الإذاعة تتلون حسب توجهات مذيعيها ومواقفهم من قضية معينة وظهر هذا مع بداية أزمة الخليج ومعالجات إذاعة لندن لها عندما أتخذت الإذاعة موقفاً مؤيدا للعراق

فقدت به مصداقيتها أو حيادها المزعوم صحيح أن الإذاعة لم تكن تقول ذلك صراحة ولم تعلن مباشرة موقفها المؤيد للعراق ولكن الانحياز للعراق تم من خلال الطريقة التي كان مذيعوها يعالجون بها أخبار الحرب فقد كان هؤلاء يحرصون على إذاعة وجهات النظر التي تتفق مع الموقف العراقي من خلال استضافتهم للشخصيات التي تؤيد العراق سواء من الإعلاميين أو رجال السياسة أو العسكريين المتقاعدين. وكانت الإذاعة تفسح في المجال وتعطي الكثير من وقتها لهؤلاء بينما تذيع التحليلات والتعليقات المؤيدة لقوات التحالف في اقتضاب. وكان الكثير من الأسئلة التي يوجها المذيعون إلى ضيوفهم تثير الشك في موقف الإذاعة البريطانية الأمر الذي أثار حفيظة الكثير من وسائل الإعلام العربية والكتاب العرب في ذلك الوقت فضلاً عن أن المستمعين أنفسهم لاحظوا التحيز الواضح للإذاعة.

يقول الإذاعي المعروف جلال معوض: كنت أحس أن الإذاعة تنطق باسم الحرب العراقي فالإذاعة كانت منحازة إلى الجانب العراقي ولم تلتزم بالحياد وقد أدت هذه المواقف إلى بطلان دعوى الموضوعية التي تتبناها الـ بي. بي. سي منذ نصف قرن.

ويعلل جلال معوض سبب موقف إذاعة لندن المنحاز بقوله" لا معنى لهذا إلا أن هناك عناصر مؤيدة للنظام العراقي وأنا أرفض دعوى أنهم يعرضون للرأي والرأي الآخر فكل هذه الأقاويل أباطيل من صنعهم، فهم منحازون لأقصى درجة وأكيد أن هناك انفصالاً بين الإدارة الانجليزية والقسم العربي ويبدو أن أصحاب القسم العربي يعتمدون على هذا الانفصال فقد كان من الغريب أن تؤيد إذاعة تابعة لقوات الشرعية الدولية صدام حسين..".

ويبدو أن المشكلة مع القسم العربي بالاذاعة البريطانية لم تكن مع الأخبار ولكنها كانت في التحليلات العربية التي كانت تنقلها الإذاعة ويتضح ذلك من كلام مراسل بالقاهرة "اليكس كيري" الذي دافع عن الإذاعة ويتضح بقوله "إنني متأكد من التطابق بين التقارير الموجودة في الخدمة الانجليزية والعربية. وهناك قيود شديدة على ترجمة التقارير الانجليزية كما هي بكل اللغات ولا تنازل في هذا فالإذاعة موضوعية إلى أقصى درجة وقد عملت في هذه الإذاعة ١٣ عاماً وهي كافية لكي أؤكد الموضوعية الكاملة في كل خدماتها الناطقة بأغلب اللغات".

ولكن الدكتور عبد المنعم مصطفى الخبير بالمركز العربي للبحوث التربوية لدول الخليج بالكويت له رأي آخر حيث يقول: "أعتقد أن نشرات أخبار هذه الإذاعة (يقصد القسم العربي بالإذاعة البريطانية) كانت قريبة من الواقع. أما بالنسبة إلى مقابلات الشخصيات والتحليلات

الاخبارية والسياسية فإنني أشعر أن هناك تحيزاً واضحاً إلى منظمة التحرير الفلسطينية التي وقفت مع العدوان العراقي وشجعت صدام حسين على احتلال الكويت.

"ولا استطيع أن أصف هذه الإذاعة إلا بأنها إذاعة مغرضة تحاول تمزيق العرب وتوسيع الهوة بينهم وأكبر دليل على ذلك موقفها من أزمة الخليج ومحاولة تمزيق الصف العربي وتهجم المتحدثين فيها على الدول المؤيدة للكويت".

ويقول الدكتور عبد الله محارب المستشار الثقافي بسفارة الكويت لدى القاهرة:

"إن إذاعة لندن القسم العربي بالذات تذيع رسائل مندوبيها في الدول العربية المختلفة وكأنها تذيع وجهة نظر الدولة الرسمية فعندما يتكلم مراسلها في الأردن حول أي حدث يتعلق بالغزو أو موقف رجل الشارع من هذا الحدث تجده يدافع عن هذا الموقف الأردني وينقله بصورة تشعر وكأن الإذاعة تتبناه، كذلك عندما ينقل مراسلها في اليمن فهو ينقل وجهة نظر الحكومة الرسمية في اليمن، والاذكى من ذلك ان عندما يكون المراسل عراقي الجنسية فانه يتبنى وجهة النظر العراقية! (لقد كان موقف الإذاعة واضحا، واحد مذيعيه من العراقيين يذيع وجهة نظر الحكومة العراقية ويصف العمليات العسكرية بالاعمال العدوانية"(٣٢).

٢ . المصداقية:

الإعلام الأمريكي كنموذج:

كان الإعلام الأمريكي صاحب الدور البارز في أزمة الخليج قبل أن تبدأ عملية "عاصفة الصحراء" وأثناءها، فقبيل إعلان الحرب وأثناء اشتداد الأزمة قام الإعلام الأمريكي، الرسمي منه والخاص، بدوره كاملاً في إثارة شهية المشاهدين بالحديث عن الأسلحة المتطورة في سياق استخدام القوة وإبادة قوات العدو وتضخيم القوة العسكرية العراقية لإقناع الرأي العام الأمريكي العالمي بضرورة الإعداد لمواجهة هذه القوة ومن ثم إقناعه وهو يرى الأسلحة الأمريكية تتدفق على الخليج.

وكان هناك أكثر من رأي حول مصداقية الإعلام الأمريكي ومدى نجاحه في السيطرة على الميدان الاعلامي كما حدث بالنسبة لمسرح العمليات العسكرية.

وفي استطلاع للرأي قامت به جريدة لوموند الفرنسية يكشف عن قلق الإعلاميين الغربيين وتساؤلاتهم عن شروط ممارسة مهنتهم، فقد أصبح مئات الصحافيين أسرى مقر القيادة، لا عمل لهم أثناء عاصفة الصحراء مما أدى إلى فقدان مصداقيتهم تجاه الجمهور، وكانت نتيجة استطلاع الرأي الذي وجه إلى عينة.. من الصحافيين، أن ٩١٪ من الصحافيين يعدون أنفسهم غير راضين

عن عمل وسائل الاتصال فيما يتعلق بالحرب، ٨٤٪ يشعرون أنهم كانوا أدوات بيد السلطات العسكرية، ٥٣٪ يعتقدون ان الثقة التي يوليها لهم الجمهور سوف تنخفض بعد هذه الحرب.

يقول بيت وليامز المتحدث الصحافي باسم البنتاجون في ندوة عقدت في نادي الصحافة الوطني في واشنطن حول التغطية الصحافية لحرب تحرير الكويت: "أرى أن مصداقية القوات خلال الحرب ارتفعت كثيراً وسط الأمريكيين والسبب الرئيسي لذلك هو أن الإعلام غطى ما حدث في أمانة ودقة. بمعنى آخر لو لم ينقل الصحافيون إلى المواطنين حقيقة ما حدث لما قدر هؤلاء دور القوات المسلحة".

"غير أن هناك بعض المعلومات التي منعت عن الصحافيين مثل تفاصيل العلميات العسكرية وخطط العمليات المستقبلية ونقاط الضعف في استعداداتنا العسكرية والتحرك السريع الذي قامت به قوات الحلفاء في شكل كماشة إلى الغرب من الكويت، ولو سرب الصحافيون هذا التكتيك لتأثرت عملياتنا العسكرية"(٣٣).

أما تشارلز لويس مدير مكتب صحف مجموعة هيرسن ست الواسعة الانتشار فيقول: إنني لست راضياً عن بعض القيود التي وضعها العسكريون خلال الحرب، أود أن أقول في وضوح إنني أقدر كثيراً الجانب الأمني ومسؤولية القادة العسكريين تجاه جنودهم وضرورة توفير حاجيات وظروف تحقيق نصر عسكري، لقد تحقق النصر وكان سريعاً لكن كان بالامكان جعل التغطية الصحفية أفضل.

ويضيف قائلاً: إن مجلة نيوزويك أجرت استفتاء أوضح بأن ٦٠٪ من الأمريكيين يقدرون الإعلام الأمريكي أكثر بعد الحرب بالمقارنة مع رأيهم فيها قبلها وإذا كان هذا صحيحاً فلا بد أن تغطية الإعلام للحرب أرضت نسبة غير قليلة (٣٤).

النظرية الإعلامية الأمريكية

ويرى السيد ياسين الخبير بمركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام: "إن الإعلام الأمريكي في تغطيته لأخبار الحرب طبق، ببراعة منقطة النظير، النظرية الإعلامية الأمريكية السائدة والتي تقوم على شعار أساسي مفاده: "رؤية كل شيء حالاً وفي كل مكان". وفي ضوء هذه النظرية تمت التغطية الإعلامية لحرب الخليج التي رُوّج لها وكأنها سلعة من السلع بأنها ستكون "تكنولوجية" و"نظيفة" و"سريعة حاسمة".

"ولعل ما يعكس سيادة هذه النظرية وآثارها في خلق الوعي الزائف بالحرب "النظرية" السريعة التي لا توجه صواريخها الا إلى الأهداف العسكرية ما أذاعه "بيتر أرنت" مذيع محطة سي. إن.

إن. الأمريكية الذي بقي بمفرده في بغداد من صور لعشرات المدنيين من قتلى الملجأ قد أدى إلى صدمة للمشاهدين في العالم فقد أدركوا للمرة الأولى منذ اندلاع الحرب أنها أدت إلى مصرع عشرات الألوف من المدنيين الذين غابت صور موتهم البشعة في إطار التعتيم الاعلامي".

ثم يقول في نهاية مقالته: "لقد شاهدنا جميعاً على شاشة التلفزيون صواريخ تطلق ولا ندري من أي مكان تحديداً وتذهب في الفضاء ولا نرى أين سقطت وأهم من ذلك لا نعرف ما هو الدمار الذي أحدثته.

"وهكذا استطاع الإعلام الأمريكي بحكم احتكاره للصورة وهيمنته على نظام الإعلام العالمي ان يعطي للحرب صورة مشوهة، هي أقرب للوهم منها إلى الحقيقة"(٣٥).

وفي حوار أجرته مجلة "المجلة" مع "ميليندا ماكنتابر" مديرة الشؤون الصحفية في شبكة تلفزيون "سي. أن. أن." ردت على الاتهامات التي توجه للشبكة من أنها فتحت المجال أمام صدام حسين ليخاطب الشعب الأمريكي ويؤثر عليه فقالت: "ظلت مهمتنا دائماً وستظل تقديم كل وجهات النظر في كل قضية، عندما نعرض صوراً من بغداد نقول إن الرقابة العراقية حذفت منها أشياء، وعندما نقلنا صور صدام حسين مع أطفال الرهائن قلنا إن هذه دعاية عراقية حكومية".

وحول ما قيل من أن الشبكة تؤذي الأمن القومي الأمريكي بعرضها أمام العراقيين صور التحركات العسكرية الأمريكية قالت مديرة الشؤون الصحفية بالشبكة الأمريكية: "إننا لا ننقل سوى ما يسمح لنا به البنتاجون، هناك قوانين محددة وضعها البنتاجون ونحن نتقيد بها رغم اعتراضنا على بعضها(٣٦).

وحول العقابات التي وضعت في طريق الاعلاميين والتي أثرت في كثير من مصداقية وسائل الإعلام تجاه جمهورهم يقول "بيار سيرا" المعلق الدبلوماسي بالقناة الفرنسية الثانية: "إن البداية تكون دائماً صعبة ولكن الصحافي الصبور يتوصل إلى تخطي بعض العقبات. ففي الأردن كان الصحافيون يمنعون من الاقتراب من الحدود مع العراق حتى مسافات بعيدة أحياناً. وفي المملكة العربية السعودية انحصرت تحرمات الصحافيين الأجانب في مناطق معينة ومحددة من المنطقة الشرقية، ويثني بيار سيراً كثيراً على الصحافة التلفزيونية الأمريكية التي وإن كانت طاغية على ما عداها بما في ذلك التلفزيون الفرنسي إلا أن وجودها يشكل فائدة كبيرة". كيف ذلك؟ يشرح بيار سيرا قائلاً:

"كنت أعمل مراسلاً للقناة الثانية في القاهرة عام ١٩٧٤ وكانت الرقابة الاعلامية المصرية وقتها صارمة. ولكن انفتاح مصر على الغرب عموماً وأمريكا خصوصاً جعل الصحافة الأمريكية

أكثر دقة وحضوراً حيث حصلت على تسهيلات يستفيد منها في النهاية كل الصحافيين وهذا أمر ما زال يحدث إلى اليوم فالتلفزيون الأمريكي يأتي ومعه أجهزة إرسال خاصة تعمل مباشرة بواسطة الأقمار الصناعية مما يجعل نشاطها يجري خارج إطار الرقابة الروتينية ومن هنا فإن الصحافيين الأجانب الآخرين يطلبون أن يعاملوا مثل زملائهم الأمريكيين"(٣٧).

الهوامش

(١) عمارة نجيب: الإعلام في ضوء الإسلام ١٩٨٠، ص ٢٤٧، وما بعدها.

(٢) انظر مقال البنا بجريدة الأهرام الصادرة في ١٨ ابريل ١٩٩١ نقلاً عن كتاب "مذكرات بعثي سابق" لمؤلفة سليمان فرحات، عضو حزب البعث السابق.

(٣) المصدر السابق.

(٤) محمد حلمي القاعود، الإعلام القومي بلاغة الكذب، مجلة الدعوة ٢٨ مارس ١٩٩١، ١٨، ١٩.

(٥) السيد ياسين، البعد الاعلامي في حرب الخليج، جريدة الاهرام ١٢ أبريل ١٩٩١.

(٦) المرجع السابق نفسه.

(٧) انظر يوسف كامل خطاب: محاور الدعاية العراقية.

(٨) سعد لبيب الخبير الإعلامي العربي، مجلة المجلة العدد ٥٨٢، ٣ . ١٩٩١/٤/٩.

(٩) انظر مجلة المجلة العدد ٥٥٥.

(١٠) مجلة المجلة العدد ٥٥٥.

(١١) مجلة الدعوة، العدد ١٢٨ ٢١ فبراير ١٩٩١ ص ٣٩.

(١٢) مجلة المجلة، زاوية كلمة إلى القارئ، العدد ٥٨٢ ٣ . ١٩٩١/٤/٩.

(١٣) مجلة الدعوة، العدد ١٢٨٠، ٢١ فبراير ١٩٩١ ص ٣٩.

(١٤) مجلة المجلة، العدد ٥٨٢، ٣ . ابريل ١٩٩١.

(١٥) السيد ياسين، الدور الإعلامي في حرب الخليج، الأهرام ١٩٩١/٤/١٢.

(١٦) انظر الحوار الذي نشرته جريدة المسلمون في العدد رقم ٣٢٢ الصادر في ١٥ ابريل ١٩٩١.

(١٧) جريدة السياسة، زاوية مجرد فكرة، ١١ أبريل ١٩٩١.

(١٨) مجلة المجلة، العدد ٥٨٢ ٣ . ١٩٩١/٤/٩ ص ٥٦.

(١٩) المصدر السابق. ص ٥٩.

(٢٠) المصدر السابق. ص ٥٨

(٢١) المصدر السابق.

(٢٢) د. خليل صابات، مجلة المجلة، العدد ٥٨٢، ٣ . ١٩٩١/٤/٩.

(٢٣) نقلاً عن مجلة المجلة، العدد ٥٨٢ ٣ . ١٩٩١/٤/٩.

(٢٤) انظر حديث العقيد الركن أحمد الربيعان، جريدة الجزيرة، العدد ٩٧٧، ١٢ ابريل ١٩٩١.

(٢٥) من تصريحات خبراء الإعلام، مجلة العدد ٥٨٢، ٣ . ١٩٩١/٤/٩.

(٢٦) انظر مجلة (الدعوة)، ١٤١١/٨/٢١هـ.

(٢٧) مجلة الدعوة، الصادرة في ١٤١١/٨/٢١هـ.

(٢٨) المجلة، العدد ٥٥٥.

(٢٩) المجلة، العدد ٥٥٥، ص٥٦.

(٣٠) مجلة المجلة، العدد ٥٥٥ ص٥٦.

(٣١) منيف علي القبلان، زاوية غربيل، جريدة الرياض، ١٠ ابريل ١٩٩١.

(٣٢) انظر هذا التحقيق الذي أجرته جريدة (صوت الكويت) حول موضوعية اذاعة لندن، العدد الصادر في ٩ مارس (آذار) ١٩٩١.

(٣٣) انظر تفاصيل الحوار الذي نشرته الزميلة المجلة، العدد ٥٨٢ ٣ . ١٩٩١/٤/٩ ص٦٤.

(٣٤) المرجع السابق.

(٣٥) راجع مقال السيد ياسين "البعد الاعلامي في حرب الخليج"، جريدة الأهرام، ١٩٩١/٤/١٢.

(٣٦) انظر نص الحوار بمجلة المجلة، العدد ٥٥٥.

(٣٧) انظر التصريح الذي أدلى به المراسل الفرنسي لمجلة المجلة العدد ٥٥٥.

الدعاية وادارة أزمة الخليج[1]

بقلم: ابتهاك مخلوف

---

[1] الحرس الوطني . الرياض . العدد ١٠٥، مايو ١٩٩١.

أبرزت أزمة الخليج منذ تفجيرها، أهمية الدعاية والحرب النسية، بصورة أعادت إلى الأذهان المسرح العالمي أثناء الحرب العالمية الثانية ودور "جوبلز" وزير الدعاية النازي. وتجسدت أمامنا البراهين العملية على الدور الخطير لهما في إعادة صياغة مواقف واتجاهات شعوب العالم، وفي تدعيم موازين القوي لدى دول عالمنا المعاصر.

والدعاية Propaganda هي: "مجهود علمي منتظم، للتأثير في معتقدات واتجاهات وسلوك الآخرين، عن طريق تقديم رموز وتكتيكات إقناعية، عبر وسائل الإعلام المختلفة.

وفي ذلك التعريف إشارة ضمنية إلى أن الدعاية عملية مقصودة لتحقيق أهداف القائم بالدعاية عن طريق إقناع الآخرين بنماذج سلوك أو آراء معينة. وترتبط الدعاية بالحرب النفسية ارتباطاً وثيقاً، سواء من ناحية الأهداف أو مجال التأثير، والأساليب الاقناعية أو الوظيفية، ولقد اعتبر بعض علماء الدعاية أنهما وجهان واحدة.

والحرب النفسية Psychological Warfare هي: عملية مخططة ومقصودة يستخدم فيها طرف أو عدة أطراف أساليب إقناعية لتدعيم أو تغيير اتجاهات آراء أو سلوك طرف آخر معاد أو تحطيم روحه المعنوية عن طريق التعامل بالبيئة الرمزية أو المادية أو الاثنيين معاً (عسكرية، ثقافية، سياسة..) للوصول إلى غاية نهائية".

ويرى أحد رواد الدعاية والاعلام "هارولد لازويل" أن الحرب النفسية اسم حديث الفكرة قديمة تتعلق بكيفية شن حرب ناجحة؛ أي أن الفكرة الرئيسية هي تحقيق أفضل نجاح في الصراع عن طريق تدمير الروح المعنوية لدى العدو.

ويعد الإعلام، وبوجه خاص الدعاية والحرب النفسية، وسيلة هامة من وسائل تنفيذ السياسة الخارجية وقد تتقدم على الوسائل الأخرى؛ فهي التي تهيئ المناخ للحديث السياسي أو العسكري.. وتبرره وتقنع الآخرين به، أي لابد من التكامل بين الدعاية والوسائل الأخرى للوصول إلى أقوى السياسات الدعائية "دعاية الأفعال Propagandaof the deed. فالعالم لم يكن ليقتنع بتقدم الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي في مجال الفضاء بدون رحلات فضائية وهبوط الإنسان على سطح القمر.

الدعاية والأزمة

وتشتد أهمية الدعاية إبان الأزمات والصراع الدولي، فالصراع في العلاقات الدولية له ثلاثة أبعاد كما أوردها "د. كارل دويتش" أستاذ العلاقات الدولية هي:

١) هل هو صراع الإبادة لطرف ما، أم بقاء طرفي الصراع؟!وفي أزمة الخليج، نجد إمكانية انتهاء الصراع ببقاء الشعب العراقي وذلك عن طريق انسحاب العراق غير المشروط من دولة الكويت وعودة الشرعية، ولكن النظام العراق خدع الرأي العام الداخلي في العراق وأوهمه بقدرة العراق على تدمير الأطراف الأخرى وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية وتبرر الدعاية العراقية ذلك الهدف بعدد من الأسباب الواهية مثل القضاء على الامبريالية الصهيونية أو حماية ثروات العرب.

٢) ديمومة الصراع: ويقصد بذلك البعد احتمال استمرار الصراع لأجيال عديدة وذلك لوجود أسباب وعوامل مختلفة، مثل العامل التاريخي أو الأيديولوجي، تساعد على استمراره. وعند تطبيق ذلك على أزمة الخليج، نجد أن الصراع فيها صراع مؤقت فلا توجد أسباب لدى الشعب العراقي تجبره على معاداة شعوب العالم سوى أن التعتيم الاعلامي والدعاية تفرض بذلك. وبصفة عامة فإن من أبرز سمات صراع القرن العشرين أنه ليس جامداً والبرهان على ذلك انتهاء الحرب الباردة وأصبح الفيصل في أي صراع دولي هو مصلحة الأمم والشعوب.

٣) إمكانية التحكم في الصراع: أي هل الصراع المستعجل لا يمكن السيطرة على أسبابه وأبعاده أم يمكن أيقافه ومعالجته؟ ففي الخليج نجد أن الصراع يتخذ شكل المباريات؛ فدول العالم لم يكن رد فعلها عشوائياً أمام غزو الكويت وتهديد العراق للأراضي السعودية وإنما اتسمت معالجة الأزمة بالعقلانية والمشاركة في دراسة أبعادها وبدائل انهائها، والقرارات التي اتخذها مجلس الأمن لادانة العراق وفرض العقوبات الاقتصادية والحصار الجوي والبري والبحري، لم تتخذ لأول وهلة، وإنما وفقاً لمبدأ الجرعات الدقيقة المحسوبة.

طبيعة الأزمة في الخليج

مع اقتراب عام ٢٠٠٠، نجد أن دول العالم تشترك في شبكة هائلة ومعقدة من المصالح والاهتمامات والعلاقات، ولذا فإن أي صراع بين دولتين أو أكثر يتسم بالشمول والتعقيد، فأطراف أزمة الخليج متعددة وتدخل شعوب العالم كافة طرفاً فيها. كذلك تتباين درجة تورط كل دولة وفي الأسباب والمبررات التي دفعتها إلى ذلك. وتضخمت أبعادها لتشمل كافة مظاهر الحياة على وجه الأرض، حيث تتراوح من الأبعاد الإنسانية والأمنية، الأبعاد الاستراتيجية وتوازن القوى في العلاقات الدولية، والاقتصادية من حيث تذبذب أسعار المواد الخام خصوصاً البترول، إلى الأبعاد

الدبلوماسية وتهديد الدبلوماسيين واستتنفار كل الجهود الدبلوماسية لاحتواء الأزمة وتشمل أيضاً البعد العسكري بما يحمله من مخاطر الحرب الكيماوية واستخدام تكنولوجيا حرب النجوم.

وكل تلك الأبعاد . وغيرها . جعلت الصراع محموماً تتداخل فيه قوى وأطراف عديدة، ولكل طرف نقاط قوة يتسلح بها في إدارة الأزمة سواء كانت اقتصادية، عسكرية، سياسية، أو إعلامية.. ويفتقر الجانب العراقي إلى كثير منها، وما يهمنا هو "القوة الدعائية". فكيف كان يدير كل طرف أزمة الخليج دعائياً وإعلامياً؟!

الدعاية وإدارة الصراع

إن إدارة الصراع في المجال الدولي هي عملية رشيدة تقوم بها مؤسسات صناعة القرار في دولة ما أو عدة دول، تنسق فيها من الامكانيات وعناصر القوى المادية والمعنوية، لاختيار أفضل البدائل المتاحة بهدف معالجة موقف دولي، لتحقيق هدف نهائي، سياسي، إقتصادي أو إجتماعي.

ووفقاً لذلك المفهوم، فإن الدعاية هي عملية إدارة الصراع الدولي عن طريق الاقناع. ومجال تأثيرها هو العقول، المعتقدات، الاتجاهات والآراء. أي أن للدعاية دوراً هاماً في معالجة الأزمة، باعتبار أن النظام الاعلامي ومكوناته عنصر هام من عناصر القوة في إدارة الصراع بين الدول المختلفة، يستمد أهدافه من أهداف السياسة الخارجية للدولة، وبوجه عام فأن الأهداف الدعائية هي:

ـ بناء اتجاهات ومشاعر مؤيدة للقضية أو الدولة ما أو لحدث ما لدى الرأي العام المحايد والصديق داخليا وخارجيا.

. تغيير اتجاهات ومشاعر الرأي العام المعادي للقضية أو الدولة الحدث.

. تقويض الروح المعنوية للعدو سواء بين أفراد شعبه أو بين قواته.

وتتحدد قدرة الدعاية على إدارة الأزمة وتحقيق أهدافها بفاعلية وفقاً لعدة محددات:

. طبيعة الأزمة وأبعادها وعواقبها الحالية والمستقبلية، وما الظروف السائدة في النظام العالمي ونظمه الفرعية والدول المشتركة في الصراع ودرجة تورطها؟

. ما المؤسسات الصانعة للقرار في الأطراف المتورطة في الأزمة؟ وهل تعتمد على القرارات الفردية أم نظام الشورى؟ وينسحب ذلك على المؤسسات الإعلامية والدعائية.

. ما الاستراتيجيات والبدائل المتاحة لإدارة الأزمة؟ وهنا يتم تحديد الاستراتيجية الدعائية ودور الدعاية وأهدافها والقائمين بتنفيذها.

ـ مدى قوة النظام الدعائي، واعتماده على التطور التكنولوجي الذي يمنح النظام تغطية وانتشاراً مثل النظام الاعلامي الأمريكي، الذي يعتمد على الأقمار الصناعية.

ـ مدى اعتماد النظام الدعائي على الأسلوب العلمي في تخطيط الحملات وقياس نتائجها والتنبؤ بالاجراءات الدعاية المضادة وكيفية مواجهتها.

ـ مدى قوة النظام الدعائي المعنوية، بمعنى توافر المصداقية وثبات الخط الدعائي والالتزام بالأخلاق.

الدعاية العراقية... بألوان السراب

وعند ملاحظة كيف أدارت الدعاية العراقية الأزمة نجد ما يلي:

. من حيث الأسس التي قامت عليها الجملة الدعائية لتبرير غزو العراق للكويت، فانها أسس متناقضة، مع عدم وجود إستراتيجية موحدة وخط أساسي صادق، فقد إدّت بأحقية العراق تاريخياً في الكويت وبأن الاحتلال جاء لمناصرة الحركة المعارضة فيها. ولقد أجهض زعماء المعارضة ذلك الزعم لرفضهم التعاون مع قوات الاحتلال، كذلك أدعت الدعاية العراقية أن زعيم النظام العراقي ينتسب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ـ الادعاء أن العراق تناصر الشعوب الفقيرة والقومية العربية ضد الصهيونية والاستعمار الغربي.

. واعتمد أيضاً على أساليب دعائية بعيدة عن أخلاق الدعاية الإسلامية الرشيدة مثل أسلوب الكذب والخداع، فقد كذبت أبواق الدعاية على الشعب العراقي بأن زعمت أن الجيش في طريقه لحرب إسرائيل، أيضاً أسلوب تحويل الانتباه بأن عمدت إلى تحويل انتباه الشعب العراقي عن خسائره في الحرب العراقية الإيرانية المريرة بالقيام بمغامرة أخرى.

. إطلاق بالونات اختبار مثل التسليم باتفاقية الجزائر عام ١٩٧٥ المتعلقة بحدودها مع إيران، بالاضافة إلى اللعب على التوتر الديني والغرائز مثل غريزة الخوف وذلك بتهديد حياة الرهائن والعاملين في الكويت والعراق.

ـ كذلك لم تتبع تلك الدعاية مبادئ الدعاية السليمة مثل مخاطبة كل جمهور مستهدف بمنطق يناسبه ويؤثر فيه؛ فالولايات المتحدة مثلاً ترتكز في مخاطبتها للأمريكيين على منطق حماية الرهائن ومنابع البترول والمصالح الاقتصادية لمنع التضخم وزيادة معدل البطالة بينما تخاطب دول العالم الثالث بمنطق تهديد الشرعية الدولية والنظام العالمي الجديد World Order New. أما دول أوروبا وشعوبها فتعتمد على أن صدام حسين هو نسخة عصرية من هتلر.

. ومن البراهين على فشل الدعاية العراقية أنها منحت للدعاية المضادة، تكنيكاً إقناعياً اكسبها المصداقية وهو تكنيك الاقناع من خلال الاشتراك في الأزمة . Role Playing Technque ويتلخص في أن الجمهور المستهدف (شعب . شعوب) يجد نفسه في أزمة أو موقف يؤثر عليه ويثير لديه مجموعة من العمليات النفسية ويفرض عليه أدواراً معينة ويؤدي ذلك إلى تغيير اتجاهات ذلك الجمهور المستهدف وفقاً لمصالحه. ولقد وجد العالم نفسه بين ليلة وضحاها . متورطاً في أزمة خطيرة تهدده وتلقي بظلها على كل إنسان ونشاط، مما جعل اتجاهات الرأي العام العالمي معادية للنظام العراقي وأكسب الدعاية المضادة ورقة رابحه في إدارتها للأزمة.

وكل تلك الشواهد تبرهن على أن الدعاية العراقية قد خسرت ذلك الصراع. والأسوأ من ذلك هو نتائج تلك الأزمة على المدى البعيد وتأثيرها على صورة العرب لدى الرأي العام العالمي واستغلال الدعاية الصهيونية لأخطاء الدعاية العراقية في تشويه صورة العرب الذهنية في الغرب. مما ألقى على عاتق الدعاية الإسلامية والعربية أعباء ثقيلة.

مسؤولية الدعاية الإسلامية والعربية

تبلور موقف الرأي العام العربي والإسلامي منذ بداية الأزمة، فلقد حصّن وعي الشعوب العربية اتجاهاتها ومشاعرها من زيف الدعاية العراقية والرموز التي اعتمدت عليها مثل أن زعيم النظام العراقي من سلالة نبوية وأنه يدافع عن المقدسات الإسلامية، ولم تجد صدى لديها.

لكن على أجهزة الدعاية الإسلامية والعربية مهام تجاه الرأي العام العالمي مثل:

ـ استغلال التعاطف الغربي تجاه قضية الكويت في تحييد الدول المعادية للعرب والإسلام وكسب دول صديقة لقضايانا.

ـ السعي لتغيير صورة العرب والمسلمين التي غرستها الدعاية الصهيونية في أذهان الغرب باتخاذ إجراءات علمية، اقتصادية، سياسية، واجتماعية وإبرازها إعلامياً.

ـ مخاطبة شعوب العالم بلغة تختلف باختلاف الرأي العام المستهدف ولكن يجمعها المصداقية وثبات الخط الدعائي والاعتماد على الحقائق والأرقام.

. تفنيد مزاعم النظام العراقي، وإظهار بعدها عن تعاليم الدين إسلامي وكشفت أخطاء العراق ضد الإسلام والعرب، بهدف إنهاء الارتباط المزيف بين جرائم العراق وبين المسلمين والعرب.

. تقديم الحقائق التاريخية والجغرافية والدينية التي تثبت زيف الدعاية العراقية.

وهكذا يتضح لنا دور الدعاية والحرب النفسية في أزمة الخليج، ويظل الرجال في أعماقنا أن تتوقف أبواق الدعاية العراقية عن جر الشعب العراقي إلى مغامرة لا يعلم الا الله عز وجل عواقبها.

الإعلام في حرب الخليج بين الصدق والمبالغة*

إعداد: محمد منصور

لسنا هنا بصدد البحث في جذور الأزمات والكوارث التي جلبها النظام العراقي للأمة العربية، لأن الحقائق كل الحقائق أصبحت معروفة ليس لأبناء الأمة العربية وحسب وإنما لجميع شعوب العالم، وموضوع بحثنا هنا يتناول أساساً (الإعلام ودوره بين الصدق والمبالغة) منذ بداية أزمة الخليج وحتى نهايتها وبدايةً نقول بأنه دارت حول حرب الخليج أحاديث وروايات كثيرة نقلتها وسائل الإعلام المختلفة وجاءت الروايات في أكثر من الأحيان متناقضة أو متباعدة لأن كل شريك في الحرب من الخصمين أراد أن يجعل من نفسه نداً ثم بطلاً صعق الخصم بالضربة الأولى، إذن فروح المبالغة والى حد كبير هي التي هيمنت على أجواء الأزمة منذ بدايتها وحتى انتهائها.

فمن ناحيتها أرادت الولايات المتحدة ومعها دول الغرب أن توحي بأن خصمها عنيد وقوي ولديه من الاستعدادات العسكرية ما يجعل الحرب معه صعبة وشاقة ومثلت شدة القصف الجوي، وقته، ونوعية الأسلحة التي استخدمت فيه. المقدمة لحرب برية وصفها الحلفاء "بالعالمية الثانية" . بينما أراد العراقيون أن يصفوها بحرب الحروب.

والحقيقة أن الولايات المتحدة وبعض الدول الغربية كانت على دراية تامة بامكانات الجيش العراقي وقدراته، إذ لا يخفى على الجانب الفرنسي ما يمتلكه الجيش العراقي من سلاح وعتاد فرنسي، وكذلك بريطانيا، التي كانت أيضاً على دراية تامة بما لديه حتى من الأسلحة غير البريطانية وذلك لبريطانيا من تداخل في السلكين المدني والعسكري في العراق.

ولم يبق من أسرار السلاح العراقي غير ذلك المتمثل في الصاروخ السوفييتي من طراز (سكود) وإن كانت سريته غير حقيقية بعد أن استخدمه العراق طويلاً في حربه ضد إيران، وبعد أن امتلكت إيران مثيله الكوري وردت به على القصف الصاروخي العراقي.

---

* . الإتحاد . أبو ظبي. ١٩٩٢/١/١٧.

ثم إن التداخلات بين السياستين الغربية والسوفييتية أثناء التسلح العراقي بالسلاح السوفييتي لم يبق ما يثير الغموض حول ما لدى العراق من أسلحة غير ذلك الذي يتعلق بالسلاحين الكيماوي والنووي واللذين لم يكونا بعيدين عن دراية الغرب بهما.

تؤكد التحقيقات التي جرت بين شركات أمريكية، وبريطانيا وأخرى المانية وايطالية أن الغرب قدم للعراق كل التسهيلات التي أوصلته إلى صناعة بعض الأسلحة الكيماوية بالاضافة إلى بعض التجهيزات، ونقلت القدرة النووية العراقية خطوات إلى الأمام لكن تلك القدرة ليست بالمستوى الذي أشاعه الغرب عنها.

دور الغرب في تسليح العراق

إن الادعاء الرسمي الغربي بأن العراق حصل على ما حصل عليه من أسلحة بطرق ملتوية وغير مشروعة يبقى إدعاء، والحقيقة أن كل الدول الغربية التي تورطت في تسليح العراق مباشرة كانت تعي ما نفعل، وكان هما استمرار الحرب العراقية . الإيرانية أول زمن ممكن، فعمدت لذلك إلى تسليح إيران والعراق معاً، وتؤكد فضيحة (إيران . جيت) الأمريكية ان الولايات المتحدة نفسها ساومت وسلحت إيران وكانت تعلم بكل قطعة سلاح تصل إلى المنطقة.

وبإيجاز نورد بعض الاشارات والأدلة على تورط الغرب رسمياً في تسليح إيران والعراق معاً فقد تأكد لدى بعثات التفتيش الدولية أن شركات المانية ذات سمعة دولية واسعة ساهمت في مدى مد العراق بالمواد الأولية للغازات السامة، وتثبيتاً لذلك عاقبت الحكومة الألمانية إحدى عشرة شركة متخصصة، وما زالت تبحث في دور شركات أخرى بانتظار ما ستتمخض عنه معلومات لجان التفتيش الدولية.

ودلت اعترافات وزير التجارة البريطانية على علم الحكومة البريطانية المسبق بما حصل عليه العراق وإيران من أسلحة بريطانية بما في ذلك مشروع المدفع العراقي العملاق.

وتقارير وزارة الزراعة الأمريكية أكدت بما لا يدع مجالاً للشك ان الإدارة الأمريكية حرصت على إبقاء الساحة الخليجية ملتهبة فتم تحويل اعتمادات شراء الحبوب، الأغذية التي تمول مواد عسكرية من بينها آلاف الأسطوانات الخاصة بتخصيب مادة اليورانيوم. وتعترف الولايات المتحدة لكنها تضع اللوم على البنوك الإيطالية في محاولة للتهرب من مسألة الكونجرس الذي ما فتئ يبحث في صلة الرئيس بوش في فضيحة "إيران . جيت" وفي تسليح النظام العراقي، لكن اتحاد المزارعين الأمريكيين يخالف الآراء الرسمية الأمريكية ويشير صراحة إلى معرفة الحكومة الأمريكية بالقروض الزراعية الممنوحة للعراق فعلاً والتي خصصت في مجملها لابتياع مواد زراعية وغذائية.

إذن فتسلح العراق كان مبالغاً فيه، وللغرب مصلحة في المبالغة والتضخيم، لكن ذلك لم يمنع من وجود أسرار لم يتم الكشف عنها بعد ضمن العلاقات السرية بين بغداد وعواصم غربية، سنتعرض لها في سطور لاحقة.

الإعلام العراقي والأكذوبة الكبرى:

من جانبه ساهم الإعلام العراقي والصديق له في التهويل، فكان الحديث عن القدرة العراقية ينصب على حالتين دعائيتين:

الأولى: ضخامة الجيش العراق من حيث عدد أفراده.

الثانية: كثرة عتاد هذا الجيش وقدرته على الانتقال السريع من خلال ما يسمى بالفرق المحمولة أو المؤللة.

بالإضافة إلى ذلك ركز الإعلام العراقي على ما يسمى بالجيش الشعبي واعتبره جيشاً رديفاً ومقاتلاً.

وطربت الدول الغربية لما روجه الإعلام المساند للنظام العراقي حول ما لدى هذا النظام من امكانيات تسليحية وخصوصاً تلك الأسلحة ذات مواصفات التدمير الشامل مثل الكيماوية والبيولوجية والنووية.

إن التهليل بوجود مثل هذه الأسلحة كان وراء:

أولاً: شدة قرارات مجلس الأمن.

ثانيا: حشد الغرب كل طاقاته من أجل مواجهة العراق الخطر على السلام الدولي.

ثالثاً: إن ذاك التهليل للعراق وسلاحه أعطى الذريعة للغرب كي يمد إسرائيل بما هو فوق حاجتها من السلاح كما ونوعاً.

وعلى عكس كل إدعاء، لم يأخذ الغرب الصواريخ العراقية بعيدة المدى على أنها من الأسلحة القتالية لأقتناع الخبراء الغربيين بضآلة الفعالية لهذه الصواريخ بسبب صغر شحنتها المتفجرة، لكن تلك الصواريخ جعلت الغرب أكثر جدية في الحشد وفي التضييق على العراق وأهله، وفي إفساح الفرص أمام إسرائيل وحدها في المنطقة وبذلك يتضح أن العراق ومسانديه اتبعوا سياسة إعلامية تهويشية أعطت مفعولاً عكسياً كما أعطت دول العالم الذريعة والسبب لاستصدار قرارات دولية قاسية بحق العراق فالعالم الذي انطلق بعيداً عن مخاطر الحروب بعد انتهاء الحرب الباردة لم يعد يحتمل سماع ما يمثله امتلاك العراق لأسلحة مزعومة من خطر على السلاح ومن عودة للحروب الأكثر تدميراً وأشد خطراً.

يقول تقرير ناقشه الكونغرس الأمريكي حول حجم ونتائج المعركة البرية بين الحلفاء والقوات العراقية أن المعركة لم تقع كما كان يعد النظام العراقي، وكل ما حدث هو انهيار القوات العسكرية العراقية على جميع جبهات المواجهة لا سميا بعد ان أبطل تماماً فعل القوات الجوية العراقية وكذلك تأثير الدفاعات الجوية بما فيها الصاروخية من طراز سام.

وكشف تقرير الكونغرس الأمريكي النقاب عن مبالغة غير معقولة في حجم القوة البرية للعراق.

وقدر التقرير مجموع الجيش العراقي الذي أعد للقتال والمواجهة بحدود ٣٥٠ ألف جندي وضابط، كان معظمهم في الخطوط الخلفية ما بعد الدفاعية كما ان عدد الدبابات التي حشدها العراقيون لتكون في ساحة المواجهة لم يصل إلى الألفي دبابة.

وحسب ما أوردته الصحف الأمريكية والبريطانية في تحقيقها مما أشيع عن دفن الجنود العراقيين أحياء في خنادق المواجهة الأولى على أرض الكويت، تبين أن الآلاف من أولئك الجنود كانوا قد استسلموا قبل بدء المعركة البرية وفي ساعاتها الأولى، وهذا يعني ان الخنادق كانت شبه خالية.

ولا نقول هنا إن القوات المتحالفة حاربت سراب الصحراء، لكن الحقيقة المؤكدة هي ان الضربات الجوية التي استمرت أكثر من شهر هلهلت الجيش العراقي وقطعت أوصاله، وجعلت الفوضى تدب في صفوفه.

وثبت عملياً ان الضربات الجوية التي بدأت ليل ١٩٩١/١/١٦ قد حققت:

أولاً: قطع خطوط الأمداد والاتصال بين وحدات الجيش العراقي وقياداته.

ثانياً: تدمير القدرة القتالية لسلاح الجو.

ثالثاً: إرباك الجبهة الداخلية.

رابعاً: تحقيق التفوق التكتيكي للقوات البرية الحليفة.

وفي ضوء هذا كله لم تن المعركة البرية حقيقية إلا من طرف واحد هو طرف الجيوش المتحالفة التي زحفت إلى أرض الكويت لتحريرها، واندفعت وراء فلول الجيش العراقي الهاربة لتبددها وليس لتقاتلها.

ويوحي التقرير الذي شاركت فيه قيادات ميدانية أمريكية وتمت دراسته بإمعان من قبل الكونجرس الأمريكي ان خسائر الجيش العراقي ضئيلة جداً إذا قيست بحجم القوة البرية التي واجهته والقوة الجوية التي لاحقته، والهالة الدعائية التي أحاط بها العراق قوته. جاء في التقرير المذكور ان

خسائر الجيش العراقي لم تتعدد ١٣ ألفا من القتلى، وشككت معلومات أخرى وردت إلى الكونغرس الأمريكي في هذا الرقم وافادت أن قتلي الجيش العراقي كانوا ثمانية آلاف جندي معظمهم سقطوا نتيجة الانسحاب الفوضوي من أرض الكويت.

فما الذي يعنيه هذا الرقم بالنسبة لمعركة تم تصويرها على انها كمعركة العلمين ثم إن الحشد الذي جرى لها كان أقوى حشد من نوعه في تاريخ معارك العصر الحديث.

كل هذا لا يجيز لأحد أن يبخس جيش العراق حق، فنحن في مجال تقييم معركة هي في الحقيقة غير متكافئة، ويجب الإعتراف بأن قوة التحالف كانت أضعاف القوة العراقية، وأن نوعية السلاح كانت أحدث ما أنتجه العقل البشري، ولا نغالي إذا قلنا ان معركة الخليج كانت معركة التكنولوجيا، أو أنها كانت معركة الكمبيوتر والأجهزة قبل ان تكون معركة الجند والأسلحة فعلى سبيل المثال استخدمت الولايات المتحدة في تلك المعركة كل ما أنجزه برنامج حرب النجوم والذي خصص لمحاربة قوة حلف وارسو، وما استخدام الطائرة الشبح وصاروخ كروز (توماهوك) إلا دليل على أن المعركة كانت مناسبة للاختيار، ولفحص السلاح الأمريكي على أرض الواقع العملياتي.

ولأننا نبحث في مجال عسكري أكثر منه سياسي لابد من الأخذ في الحسبان أن الحدود العراقية المغلقة، والحصار الجوي المتين المترافق بالقصف الجوي الذي أدته ألف وأربعمائة طائرة قاذفة مقاتلة، بالإضافة إلى أكثر من نصف مليون جندي من قوات التحالف الدولي كلها تؤكد أن المعركة لم تكن متكافئة.

المراجع

١) د. فؤاد عبد السلام الفارسي: الإعلام والصراع العالمي، الكتاب العربي السعودي، ١١٣، ١٩٨٧.

٢) د. محمد عبد القادر حاتم، الرأي العام وتأثره بالدعاية، بيروت، مكتبة لبنان ١٩٧٣.

٣) د. محمد عبد القادر حاتم، الإعلام في القرآن الكريم، القاهرة، ١٩٨٥.

٤) د. محمد علي العويني، الإعلام الدولي بين النظرية والتطبيق، القاهرة، الأنجلو، ١٩٨١.

5) Analysis of international Relations, Karl W. Deutsch, 1960.

6) Encyclopedia Britannica, 1987.

7) New Technitqes OF Persuasion, Gerald 8 Michael Buryoon, 1973.
8)Propaganda and Persuasion, Garth S. Jowett and Victoria C, Donrell, 1987.
9)Public opinion and Propaganda, Leonard, W.Doob, 1966.
10)Techiniques of Persuasion: From Propaganda To Brainwashing, J.A.C. Brown, 1977.

الفصل السادس

حرب الخليج ومستقبل

الكويت العسكري

تطهير حقول الألغام المنشرة على الأراضي الكويتية[1]

بقلم اللواء الركن المهندس: أحمد شوقي فراج

والألغام سلاح خطير ذو حدين، غالباً ما يتوسع العسكريون في استخدامه في مسارح العمليات في مرحلة التجهيز للدفاع لإعاقة القوات المتقدمة، ويزداد عدد الألغام المستخدمة كلما طالت فترة التجهيز، بالإضافة إلى ما يتم رصه أثناء القتال البري. وهذا ما حدث على مسرح عمليات الكويت الشقيقة أثناء الغزو العراقي لها، حيث بلغ عدد الألغام التي تم نشرها على الأرض الكويتية ما يزيد على نصف مليون لغم. وعندما انتهت الحرب برزت مشكلة التخلص من هذه الألغام وتطهير الأرض حتى لا تتوقف عجلة التنمية والتعمير، وحتى يعود أبناء الكويت إلى ممارسة حياتهم الطبيعية في كل أرجاء الكويت دون التعرض للحوادث والاصابات نتيجة انفجار الألغام، ودون أن تُفرض قيود على حركاتهم في بعض المناطق، حيث يجدون مثلثات حمراء معلقة على أسوار من السلك الشائك ومكتوب عليها: (ألغام).

وإذا نظرنا إلى مسرح عمليات الكويت بعد انسحاب المعتدي العراقي وجدنا أنه من الممكن تقسيم موانع الألغام فيه طبقاً لظروف وأسلوب رصها إلى الأنواع الآتية:

. حقول ألغام تم رصها بواسطة القوات العراقية طوال فترة التحضير للحرب أي بين احتلالها للكويت وقبيل بدء الهجوم البري للحلفاء. وغالباً ما تكون هذه الحقول مرصوصة بدقة طبقاً لنظام

---

[1] الحرس الوطني . الرياض، العدد ١١٥، مارس ١٩٩٢.

محدد حيث يتكون حقل الألغام من عدة صفوف من الألغام بين كل صفين متتالين مسافة محددة والصفوف متوازية. كما أن الفاصل بين كل لغمين متجاورين في الصف الواحد يكون ثابتاً ومحدداً في كل الحقل. وتكون أنواع الألغام المرصوصة المضادة للدبابات والمضادة للأفراد معروفة كما يكون هناك تحديد لأي لغم مجهز بشرك خداعي.

كل هذا يظهر بوضوح في تسجيل حقل الألغام الذي يعتبر وثيقة تحتفظ بها القوات التي قامت برص حقل الألغام وكذلك رئاسات القوات المسؤولة من المنطقة ويظهر في تسجيل حقل الألغام بداية الحقل ونهايته مع ربط موقعه بأغراض أرضية واضحة وذلك حتى يسهل على القوات التعامل مع هذه الحقول.

عانت مصر كثيراً . على سبيل المثال . من حقول الالغام التي رصتها القوات البريطانية . والألمانية والأيطالية في الصحراء الغربية المصرية خلال الحرب العالمية الثانية في الأربعينيات من هذا القرن، وقامت قوات المهندسين العسكريين المصرية بعد الحرب بتطهير مساحات كبيرة بهذه الصحراء من الألغام وأزالت مئات الألوف منها، ورغم ذلك لا زالت هناك مساحات مغطاة بالألغام التي صدئت وتغيرت معالمها وخواصها بل وأمكنها في مناطق تحرك الرمال، ينبغي إزالتها حتى لا تتعرض حركة التنمية والتعمير في الساحل الشمالي بالصحراء الغربية.

إن المعلومات الموضحة في تسجيلات حقول الألغام التي سلمتها القوات العراقية المهزومة لقوات التحالف بعد تحرير الكويت طبقاً لشروط وقف إطلاق النار تجعل إزالة هذه الحقول المسجلة بدقة أمراً سهلاً . إذا صدقت القيادة العراقية في معلوماتها . حيث يمكن للقوات التي تقوم بالتطير ان تفرد حبلاً موازياً لكل صف من صفوف الألغام ويبعد عنه مسافة متر، ويكون مثبتاً على الحبل علامات تبين وضع كل لغم في الصف طبقاً للمسافة المحددة بين الألغام، وتقوم القوات بتحديد مكان كل لغم مستعينة بالعلامات التي على الحبل وكذا باستخدام مجسات الألغام، ثم تزيح الأتربة عن الألغام بكل عناية مع ضرورة أن تكون العناية فائقة عند الكشف على ألغام مجهزة بشراك خداعية.

وهنا يصبح أمام القوات أسلوبان للتخلص من هذه الألغام: إما تأمينها وتخزينها ثم نقلها للإستفادة بها، أو نسف هذه الألغام في موقعها بالحقل وذلك بوضع عبوات صغيرة من المفرقعات بدائرة تفجير، ويتم تفجير حقل الألغام في لحظة واحدة.

النوع الثاني من حقول الألغام على أرض الكويت، تلك التي تم رصها بواسطة قوات التحالف أثناء قيامها بالعملية الهجومية البرية وكذا حقول ألغام قد يكون تم رصها بواسطة القوات العراقية

أثناء المعركة. عادة تكون المعلومات عن هذه الحقول غير دقيقة وتحتاج إلى مجهود أكبر لتحديد أماكن الألغام التي تم رصها على وجه السرعة، أثناء القتال، وهنا يقوم الأفراد المكلفون بالتطهير بتحديد موقع كل لغم وإزاحة الأتربة من فوقه، وإما أن تؤمن الألغام ثم يتم نقلها وتخزينها للاستفادة منها في أي عملية مقبلة، أو يتم تفجير الالغام في مكانها بحقل الألغام بواسطة المفرقعات ودائرة تفيجر.

. النوع الثالث من الألغام المنشرة على الأرض الكويتية هي ألغام مبعثرة حول حقول البترول وبعض الأهداف والمنشآت الهامة، ويتم تحديد الألغام بواسطة مكتشفات الألغام حيث يقوم الفرد حامل مكتشف الألغام بالتحرك في اتجاهات محددة مع تشغيل مكتشف الألغام، وعندما يصدر مكتشف الألغام صوت العثور على لغم تعطي الإشارة إلى الفرد للتقدم وإزاحة الأتربة عن اللغم والتأكد من خلوه من أي شرك خداعي، وعادة يتم تأمينها ونقلها حتى لا تؤثر تأثيراً ضاراً بحقل البترول أو بالهدف الهام.

ـ وأخر أنواع هذه الألغام هي ألغام شاطئية تم رصها بواسطة القوات العراقية على شاطئ الخليج ضد العمليات المحتلمة لقوات الإنزال البحري لقوات التحالف.

ويجب الاهتمام بتسجيل عدد الألغام التي يتم رفعها ومقارنتها بعدد الألغام التي سبق ان رصتها القوات العراقية (طبقاً للتسجيلات التي سلمها العراقيون لهذه الحقول) حتى يمكن تحديد عدد الألغام التي جرفتها الأمواج معها ومتابعة ظهورها بعد فترة بفعل الأمواج على الشاطئ.

المخاطر التي تتعرض لها القوات القائمة بإزالة الألغام

عملية إزالة الألغام التي سبق رصها عملية شاقة وخطيرة وتحتاج إلى عناية فائقة وإلا تعرضت القوات القائمة بإزالة الألغام إلى أخطار تكون عادة جسيمة في الأحوال الآتية:

. ضعف مستوى التدريب ونقص الخبرة اللازمة للقوات القائمة بالتطهير.

. عدم توفر المعدات والأدوات والمهمات الحديثة اللازمة للكشف عن الألغام وإزالتها.

. الثقة الزائدة للقوات القائمة بإلازالة قد تؤدي إلى الاستهتار أثناء التعامل مع هذه الألغام.

تكدس الأفراد القائمين بالتطهير في مسارات صغيرة أثناء العمل..

ونتيجة لهذه الحالات السابقة تقع حوادث جسيمة تؤدي إلى مقتل بعض الأفراد، أو بتر بعض أطرافهم خصوصاً اليدين، أو فقد البصر.. كل هذه الإصابات شديدة الأثر.

إلا أنه من المكن تقليل هذه الحوادث إلى أقل ما يمكن إذا راعينا الشروط الآتية.

. مستوى التدريب الجيد للقوات القائمة بإزالة الألغام.

بالنسبة لقوات المهندسين التي تكلف بمهمة إزالة الألغام، فمن المؤكد أنها مهما كانت جنسيتها سوف تكون على مستوى تدريب مرتفع بالنسبة للتعامل مع الألغام واستخدام المفرقعات لأنها مهمة لا يكتب لها النجاح إلا بتوفير هذا الشرط في القوات كنقطة بداية.

ـ الانضباط الكامل والعناية التامة في تعامل القوات مع الألغام، حيث أن الاستهتار أو الإهمال في التعامل مع الألغام ينتج عنه خطأ لن يتكرر مرة ثانية مع نفس الشخص الذي ارتكبه، لأنه من المؤكد سيتعرض لحادث جسيم وإصابة خطيرة تفقده إمكانية التعامل مرة أخرى مع الألغام.

ومن المؤكد أن الانضباط والعناية في التعامل مع الألغام سوف يؤديان إلى أن تكون الحوادث مع الألغام أقل ما يمكن أو تنعدم.

ـ عدم وصول الأفراد القائمين بإزالة الألغام إلى مرحلة الإجهاد. حيث أن اللياقة البدنية والذهنية شرطان أساسيان يجب توافرهما في القوات التي تعامل مع الألغام، حتى لا يتسبب الإجهاد البدني أو الذهني في حوادث وتصرفات غير سليمة من بعض الأفراد قد ينتج عنها غالباً حوادث خطيرة لا داعي لها لو راعينا عدم إجهاد الأفراد.

. توفر المعدات والأدوات والمهمات الحديثة اللازمة للكشف عن الألغام وإزالتها.

إن التكنولوجيا الحديثة قد ساعدت على تطوير واستخدام أنواع متميزة من مكتشفات الألغام الدقيقة الحساسة ومن مجسات الألغام سهلة الاستخدام، كما تم في بعض الجيوش تصنيع (مريلة) واقية مصنوعة من الياف مقواة ولها غطاء وجه شفاف من البلاستيك المقوى ويقوم أفراد المهندسين بارتدائها عند تعاملهم مع الألغام حتى تقلل من شدة الاصابة في حالة انفجار أحد الألغام.

ـ أن يكون انتشار الأفراد القائمين بتطهير الأرض من الألغام مناسباً وأن يكون الأفراد في معظم وقت عملهم راقدين على الأرض، وسوف يؤدي ذلك في حالة حدوث انفجار أحد الألغام إلى تقليل عدد المصابين قدر الإمكان بل قد يكون فرد واحد هو الذي يصاب نتيجة لعدم تكدس الأفراد بدون داع.

خاتمة

إن اهتمام القيادة برعاية وتدريب القوات عامل أساسي لرفع معنويات الجنود والضباط ولضمان الاتقان وحسن الأداء.. وقد كان ذلك هو اهتمام القيادة العربية والتحالفية المشتركة.. ونجحت القوات العرية والتحالفية المشتركة بعون الله في تحرير الكويت وعودة الشرعية.. والان، وقد بدأت الكويت تزيل آثار العدوان، كان لزاماً تطهير أرضها من الألغام حتى تتقدم مشروعات التنمية والتعمير فوق كل شبر من أرضها.

الكويت وإعادة بناء قواتها المسلحة[1]

إعداد: ديفيد سو

ترجمة: د. محمد أحمد محمد علي

في مواجهة واقع جديد تماماً بعد التحرير والنصر تبذل المؤسسة العسكرية الدفاعية في الكويت الشقيقة جهوداً ذات طابع خاص في بناء قواتها المسلحة ربما بمبدأ "البدء من حيث انتهى الآخرون" لتحقيق أكبر الفوائد من خيارات التسليح المتوفرة.

وبالطبع فإن عروض الدول المنتجة لا تنتهي عند حد لكسب عقود شراء جديدة ويحاول الكاتب "ديفيد سو" تقديم صورة من أفكاره واستنتاجه عن عملية إعادة بناء القوات المسلحة الكويتية، وباعتباره من كتاب الصحافة العسكرية البارزين فإن لاستنتاجاته التالية أهميتها الخاصة رغم أنها لا تخرج على إطار الإجتهاد الشخصي والتوقعات ليس إلا.

تشمل عملية إعادة بناء الكويت جميع وجوه التجديد للدولة العصرية وقد تحقق الكثير في هذا الصدد منذ التحرير، وبالطبع فإن القوات المسلحة تنال النصيب الأوفر من إعادة البناء لكي تستطيع الوفاء بمتطلبات الأمن القومي، وستشهد هذه العملية القوات المسلحة وهي تحقق ما هو أكثر من مجرد العودة لما كانت عليه قبل أغسطس ١٩٩٠ لتحقيق نمو هائل في القدرات الدفاعية.

وستركز هذه المقالة على برامج متطلبات الجيش الكويتي كما ستتطرق أيضاً لبعض عناصر متطلبات الدفاع الجوي، ولكن قبل الخوض في الخطط المستقبلية يبدو أنه من المناسب وصف حالة الجيش الكويتي في أغسطس ١٩٩٠، فقد كان الجيش يضم ١٦,٠٠٠ رجل منتظمين في ثلاثة الوية مدرعة ولواء مشاة آلي ولواء مدفعية ولواء احتياطي تكتيكي تحت الإنشاء.

أما المعدات الرئيسية، فقد كانت تشمل حوالي ٢٤٥ دبابة، ٦٠١ مركبة مدرعة و ٧٤ من المدافع المقطورة وذاتية الدفع، وفي مجال الدفاع الجوي فهناك النظام الرئيسي، نظام (هوك) المحسن، وبعض أنظمة الدفاع الجوي النقالة (٧ . أس. أي) و(١٤ . أس. أي).

وتمثل المشكلة الرئيسية بالنسبة للقوات المسلحة الكويتية في أن عدداً قليلاً جداً من عتادها العسكري بقي سليماً، ولذلك كان لابد من إعادة البناء على أساس شراء معدات جديدة بالكامل.

والى جانب رغبة الكويت في شراء أفضل المعدات، فقد كان عليها أيضاً أن تضع في الحسبان عوامل سياسية في برامج مشترياتها، وكان هذا يعني عمليات تقسيم العقود بين الولايات

---

[1] مجلة القوات الجوية . أبو ظبي، العدد ٤٧، مارس ١٩٩٣.

المتحدة وبريطانيا وفرنسا، على أن تنال الدول الأخرى نصيبها وفق مساهمتها في تحرير الكويت، ولا شك أن هذه الحقائق السياسية ستضاعف من تعقيد مهمة القوات المسلحة الكويتية.

وبالإضافة إلى ذلك كان على الجيش الكويتي أن يقرر أي تنظيم للقوات يتم اختياره، فما هو مستوى المنتسبين المطلوبين لدعم هذا التنظيم؟.

وكان أول عقد بري هام يتعلق بسلاح الدبابات، وحدث تنافس حاد بين الدبابة الأمريكية (MIA2 Abrahams) والبريطانية (Challenger2)، وجاء القرار لصالح الدبابة الأمريكية، وقررت الكويت شراء ٢٣٦ . ٢٥٦ دبابة لتوفير الأساس لثلاثة الوية مدرعة آلية.

وكان هناك عقد أخر يرتبط بالمركبات القتالية، وكانت الفاضلة بين مركبات (Bradley) الأمريكية و(Desert Warrior) البريطانية و(Mowag Piranha) التي تصنع في بريطانيا.

وكانت الدبابة (Abrams) مطلوبة ضمن مجموعة دفاعية كبيرة يجري النقاش بخصوصها مع الولايات المتحدة، وقد وضع هذا العقد وفق توصيات مجموعة المراجعة الدفاعية الأمريكية الكويتية التي وضعت خطة دفاعية للكويت على امتداد العقد القادم وتشير التقارير إلى ان قيمة العقد تبلغ ٤,٥ مليارات دولار.

وبالإضافة إلى الدبابات يشمل هذا العقد معدات أخرى منها ٤٦ مركبة نوع (٨٨ ام) مركبة قيادة (٥٧٧ أم) و١٢٥ مركبة قتالية (١١٣ أم) و٣٠ حاملة هاون (١٠٦ام) مع مدافع هاون عيار ١٠٧ ملم و١٣٢ شاحنة (٩٩٨ أم) و٤٦٠ مركبة نقل وشاحنة ومقطورة، و١,١٧٨ مدفع آلي و٩٦٧ جهاز راديو (SINCGARS) و١٣٠,٠٠٠ طلقة من ذخيرة الدبابات عيار ١٢٠ ملم بالإضافة إلى ذخيرة صغيرة وقطع غيار ومعدات تدريب زائد الدعم اللوجستي، وبما أن هذا واحد فقط من العقود المقترحة للجيش الكويتي فيمكن للمرء أن يكوّن فكرة عن حجم مهمة إعادة البناء.

أنظمة المدفعية:

أما الخطوة التالية فستختص بشراء أنظمة المدفعية، ويتوقع أن يشمل ذلك خليطاً من الأنظمة المقطورة وذاتية الدفع وأنظمة المدفعية الصاروخية، وسيتم شراء هذه الأنظمة الجديدة بكميات تزيد كثيراً عما كان متوافراً في الخدمة من قبل. فيما يتعلق بالأنظمة ذاتية الدفع فإن الأعداد المطلوبة غير مؤكدة، إلا أن عدداً يصل إلى ٨٠ قد اقترح، وهناك ثلاثة أنظمة حالياً في الإعتبار، وهي النظام الفرنسي (جي . سي . تي) والامريكي (N109A6 Paladin) والبريطاني

(٩٠ أي. اس) بالإضافة إلى نظام تشيكي عيار ١٥٥ ملم، يعتقد بأن هذا النظام الأخي قد اختبر بالفعل في الكويت.

أما فيما يختص بأنظمة المدفعية الأخرى فإن الكويت لا تزال ترغب في نظام (أم. ال. آر. أس) ويعتقد بأنها قد أبدت رغبة في أن تشتري أولاً ٩ أنظمة وهو ما يوفر أنظمة للكتيبة، أما المشتريات المستقبلية فستعتمد على شكل الجيش ولكن قد يكون من المحتمل أن تختار الكويت تكوين كتيبة من حوالي ١٨ وحدة بالإضافة إلى أنظمة اكتشاف الأهداف.

أما الجزء الأخير من قصة المدفعية فيدور حول مدافع الهاون، وكما ذكرنا من قبل فإن المجموعة الأمريكية تشمل ٣٠ مركبة طراز (١٠٦م) مع مدافع هاون عيار ١٠٧ ملم، ومن المحتمل شراء مجموعة مدافع هاون أخرى، وإذا ما رغبت الكويت في الأنظمة المقطورة فقد يتم الشراء من شركة (Thomson - Brandt) أما النظام المقطور فقد يكون من شركة (Royal Ordnance) وهو نظام الهاون الذي يلقم من الخلف ويمكن عندئذ تركيبه على مركبات (GKN Piranha).

أنظمة الدفاع الجوي:

وتشكل أنظمة الدفاع الجوي أولوية مشتريات رئيسة للكويت، وتتركز النية لتقديم عرض بقيمة ٢,٥ مليارى دولار للولايات المتحدة لشراء ٦ وحدات من نظام (Patriot) زائد ٤٥٠ صاروخاً و٦ كتائب من صواريخ (Hawk) المحسنة مع ٣٤٢ صاروخاً، وسيكون هناك عقد أخر لأنظمة الرادار وأنظمة القيادة والسيطرة اللازمة لنظام دفاع جوي مكتمل للكويت.

وباستخدام نظامي (Patriot) و(Hawk) ستصبح الكويت قادرة على تغطية مجال الصواريخ بعيدة ومتوسطة المدى ولكنها ستكون في حاجة للحصول على أنظمة صواريخ قصيرة المدى وأنظمة دفاع جوي نقالة لحماية الأهداف والجنود في الميدان.

وفي هذا المجال يبدو أن التنافس سينحصر بين نظامي (Crotale NG) و(Rapier 2000)، إلا أن إهتمام المملكة العربية السعودية بنظام (Oerlikon ADATS) قد يحفز الكويت في ذلك الإتجاه، كما أنه لا يمكن غض النظر عن الأنظمة الروسية.

كذلك يقال إن للكويت الرغبة في نظام متحرك ليعمل مع وحداتها المدرعة وقد ورد اسم النظام الروسي (Tunguska) في هذا المجال، أما في أنظمة الدفاع الجوي النقالة، فإن التنافس بين نظامي (Matra Mistral) و(Shorts Starburst) وهناك اهتمام بنظام (Boeing Avenger) في الدور المتحرك.

ومن الأمثلة القليلة التي أوردناها يتضح مستوى متطلبات القوات المسلحة الكويتية، وتجري في خط موازٍ لهذه البرامج أنشطة الشراء في مجالات أخرى تتراوح من أنظمة الإتصالات إلى المركبات اللوجستية، وتبدو برامج إعادة البناء والتكلفة التي تتطلبها من الضخامة بحيث أنه ليس بمستغرب مشاهدة مندوبي مصانع الدفاع محتشدين في مدينة الكويت للفوز بالعقود الأمريكية.

ولقد بذلت القوات المسلحة الكويتية الكثير من الوقت والجهد في تحديد تنظيم وبنية دفاعها المستقبلي، وقد بدأت بالفعل منح العقود لبناء قوات مسلحة جديدة، إلا أن عملية إعادة البناء تبدو بطبيعة الحال أصعب بكثير من مجرد شراء المعدات.